دروس عاشوراء

بسم الله الرحمن الرحيم

199

All rights reserved to Iraq Center for Studies

جميع الحقوق محفوظة لمركز العراق للدراسات

مـركز العـراق للدراسـات

Center Of Iraq For Studies

بغداد +964 7707961315

المكتبة . بغداد +964 7714023036

www.markazaliraq.net info@markazaliraq.net

تصميم الغلاف والإخراج الفني

أحمد هاشمي
Ahmad Al-hashemi

العنوان: العراق ـ النجف الأشرف ـ حي المعلمين

Tel: 07702781435 **Email:** ali.molaa14@gmail.com

دروس عاشوراء

مختارات من الكلمات العاشورائية

لسماحة الإمام القائد السيّد علي الخامنئي ظَلَّهُ

السيد عباس النوري

199

دروس عاشوراء

مختارات من الكلمات العاشورائية
لسماحة الإمام القائد السيّد علي الخامنئي

تأليف : السيد عباس النوري

صاحب الامتياز: محمد صادق الهاشمي

الناشر : مركز العراق للدراسات

المطبعة : الساقي للطباعة والتوزيع

رقم الاصدار: 199

سنة الطبع : 1446هـ_2025م

قطع الورق : وزيري 17 × 24

تصميم الغلاف والإخراج الفني : أحمد الهاشمي

The Opinions And Ideas In The Book Doesn't Represent Necessarily The Institute Of Iraq Center for studies

الآراء والأفكار الواردة في الكتاب لا تمثل بالضرورة رأي مركز العراق للدراسات

مـركز العـراق للدراســات

Center Of Iraq For Studies

المركز: العراق ـ بغداد ـ كرادة ـ العرصات

المكتبة: بغداد ـ شارع المتنبي ـ قيصرية مصرف الرشيد ـ البناية البغدادية

المقدمة

ليس من السهل الحديث عن عاشوراء أو الكتابة واستخلاص الدروس والعبر منها كما هي، فكثيرون تحدّثوا وكتبوا من زوايا نظرهم هم وحسب آفاق اطِّلاعهم، فما أكثر الأبحاث التي تطرّقت إلى عاشوراء كحادثة، أسبابها، نتائجها وتفاصيل حوادثها، لكن النظر إلى عاشوراء من زاوية مقاصد الدّين والحكومة واستمرار الرسالة أمر مختلف، كما إنّ ملاحظة مختلف أبعادها وتفاصيل أحداثها ودقائق حركات أصحابها - ما قبل وما بعد وفي الأثناء - هي شيء آخر. فالنظر إليها كواقعة مستمرّة بنتائجها وأهدافها، تطال عصرنا كما طالت عصوراً مضت، وتطال النّاس بخواصّهم وعوامّهم في كلّ عصر، لهو أمر بالغ الأهميّة ويدخل في متن الواقعة، فهي لم تحدث مرّة وحسب، بل هي مستمرّة بكلّ عناصرها وأهدافها وبأسبابها نفسها، هكذا تكون عاشوراء متّصلة بكلّ شيء في الإسلام، وقد اختصرها الإمام الخميني ﷺ بكلمتين: «**كلّ ما عندنا هو من عاشوراء**».

ما أروع أن يتحدّث عن عاشوراء أهلُها وخلّصُ السائرين في ركبها، فلها في كلّ عصر رايةٌ ومجدّدون، وهنا لبّ المسألة!

وما أروع أن يحلّل أبعادها، ويفصّل دروسها ويظهّر نتائجها، وليٌّ من أولياء عصرنا، قائدٌ عاشورائيّ شجاع، اقتفى أثر إمامه حذو النعل للنعل، فيشخّص مسؤوليّات تاريخيّة وواجبات شرعيّة وإلهيّة، فترى حديثه حسينيّاً ينقلك إلى ساحة كربلاء، فتسمع تحليلاً فريداً، مستخرِجاً وقائع عاشوراء من بطون الكتب والتاريخ وواضعها في مواضعها، محلّلاً لمواقف وعارضاً لمشاهد قد لا توجد في

كتاب وعلى لسان آخر، مشاهد مفعمة بالألم والمشاعر الصادقة، ابتداءً من مقدّمات الثورة (البعيدة والقريبة) ومآل الخلافة، ولوم بعض الأصحاب للإمام عليه السلام وتخلّفهم عنه، لهم من الوزن قلّما يتجرّأ الخطباء وأهل المنبر على الحديث عنهم، ربّما خوفاً من فهم القدح والذمّ. لكنّ الواقع هو واقع والحقّ حقّ، هكذا يعرضه الإمام الخامنئيّ بوضوح وبساطة. نعم لقد تخلّف عنه جمع من الصحابة المتقدّمين في اتّباع الرسالة، بل بعضهم لامه وعاتبه. لماذا؟ لأنّهم لم يمتلكوا الخطّة والرؤية، وربّما ركنوا إلى شيء من الدنيا، وتكفي الإشارة إلى ذكره لمُهُور بنات بعضهم التي فاقت مهر السنّة بكثير، دليلاً.. وهنا تبرز جرأة الحديث عن هذه الشخصيّات، فذِكرُ مواقف صحابة كبار - كالعبادلة الثلاثة مثلاً - يحتاج إلى جرأة وفيه نتيجة وخلاصة يريد إيصالها إلى كثيرين من الخواصّ والمقرّبين في زماننا وساحتنا..

كما أنّ فصلاً عميقاً من الحديث عن الإمام السجّاد عليه السلام وكذلك السيّدة زينب عليها السلام وتصوير شخصيّتهما ومواقفهما التي تجلّى فيها العشق والعاطفة والحكمة والتدبير، لَأَمْرٌ مدهش.. نحن نسمع عن زينب (ما بعد كربلاء) وتحمّلها للمصائب والآلام، لكن حكمة زينب، معرفتها، إدراكها للظرف والتكليف، صبرها، قيادتها لركب السفينة المضروبة بالطوفان- كما عبّر الإمام الخامنئيّ- لهي شيء آخر.

عندما تقرأ «**دروس عاشوراء**» بلسان الإمام الخامنئيّ تشعر أنَّك أمام قائد عاش حوادث كربلاء لحظة بلحظة، فكما يشعرك كلامه بالحزن على آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، تخال نفسك أيضاً أنّك أمام نبع فوّار من عشق الحسين وآله، وبركان ملتهب من الحماس والثورة على الباطل ورفض الذلّ، تقرأ مجلس عزاء من نوع آخر، مجلس عزاء وثورة، فتتراءى أمامك - عندها - مظاهر الحكمة والبصيرة والاستقامة والشجاعة والفداء والإيثار والثبات على

الموقف الحقّ وتحمّل المصائب وقيادة الركب والمعرفة بالله ومناجاته، في جبهة كلّما اقتربت لحظات الفداء من رجالها اشتدّ الوصال وفُتحت أبواب السماء.

يحلّل الإمام الخامنئيّ أحداث عاشوراء، بكلّ أبعادها المتّصلة بالدّين وحفظ الرسالة والحكومة، وساحاتها المتّصلة بمظاهر الفداء والشهادة والإيثار والعبادة والعشق لآل الرسول ﷺ، وزواياها المتّصلة بمتن الدّين والحياة والمجتمع، وأبطالها الثابتين الشجعان المطيعين العارفين بالظرف والزمان.

عاشوراء مدرسة ودروس لا عدّ لها ولا حصر، هكذا يعبر الإمام الخامنئيّ، وكلّ درس فيه حياة وعلم ورشاد، ودروس عاشوراء خالدة مدى الدهر، فكيف نتعلّم منها؟ هذا هو الدرس الأوّل والأساس.

دروس عاشوراء للجميع، للعوامّ والخواصّ، وقد يكون درس الخواصّ هو الأبلغ لدورهم الأبرز في توجيه الرأي العامّ وتثبيت النّاس وإرشادهم- فقد شكّلوا رؤوس القبائل سابقاً ووجوه النّاس حاضراً على الأغلب- فهم الذين ساهموا في الوصول إلى النتيجة الثانية- أي الشهادة- كما عبّر سماحته، إذ لم يكن هدف الإمام الحسين الشهادة ولا الانتصار حتماً، فهما نتيجة وليستا هدفاً، وكان الهدف أداء الوظيفة وحسب.

حول الكتاب:

١- «دروس عاشوراء»، كلمات الإمام الخامنئيّ حول عاشوراء وكلّ ما يتّصل بها، وقد جاءت في مناسبات عديدة ذات صلة.. وتمّ جمعها وتنظيمها بأسلوب موضوعيّ في عناوين ودروس.

٢- هذا الكتاب صادر باللغة الفارسيّة عن مؤسّسة «نشر الثورة الإسلاميّة» وقد تمّ تعريبه في معهد سيّد الشهداء ﷺ للمنبر الحسينيّ.

٣- ولا بدّ من التنويه أنّه تمّت المحافظة على نصّ الفقرات وتنظيم

الكتاب بدون التصرّف بالعبارات أو المعاني، ما عدا بعض الصياغات اللّازمة وحذف بعض الفقرات المتكرّرة أو العناوين القليلة التي ليس لها صلة بالموضوع.

٤- وتمّ في الكتاب الأصل تحقيق الروايات والمنقولات والأخبار كلّها التي اعتمد عليها الإمام الخامنئي دام ظله في كلماته وخطاباته، وقد حافظنا عليها في النسخة العربيّة، كما هي.

٥- وتتميماً للفائدة، أضفنا في نهاية الكتاب فقرة مهمّة كملحق، تتحدّث عن أوضاع المدينة والكوفة قبيل واقعة عاشوراء.

نسأل الله تعالى أن يكون هذا العمل من نتائج ثورة كربلاء وبركاتها، يستلهم منه عشّاق الحسين وخدّام المنبر الحسينيّ دروسهم، كما استفاد منها وليّ أمر المسلمين دروسه بيقين وها هو يقولها للعالمين.

نشكر كلّ من ساهم في هذا العمل ليبصر النور بهذه الحلّة.

تنـوّع دروس
عاشــوراء وخلــودها

المحاور التي تتوزّع إليها الدراسات العاشورائيّة

تتوزّع الأبحاث المرتبطة بواقعة عاشوراء إلى ثلاثة محاور أساسيّة:

المحور الأوّل: دراسة أسباب ودوافع أساس ثورة الإمام الحسين عليه السلام والعوامل التي حدت به إلى الثورة، أي تحليل الجوانب الدّينيّة والعلميّة والسياسيّة لهذه الثورة. وقد سبق لنا أن تحدّثنا عن هذا الموضوع بالتفصيل، إضافة إلى ما للفضلاء والأكابر من دراسات قيّمة فيه. ونحن لن نتطرّق لهذا البحث الآن.

المحور الثاني: البحث عن الدروس المستفادة من عاشوراء. وهو من الأبحاث الحيّة والخالدة والأبديّة التي لا تختصّ بزمان بعينه. فدروس عاشوراء هي دروس التضحية والشجاعة والمواساة، ودروس القيام لله، والإيثار والمحبّة والعشق، بل إنّ من دروس عاشوراء تلك الثورة العظيمة والكبيرة التي فجّرتموها أنتم أبناء الشعب الإيرانيّ امتثالاً لنداء حسين العصر وحفيد أبي عبد الله الحسين عليه السلام. هذا في نفسه واحد من الدروس التي استفدناها من عاشوراء.

المحور الثالث: العبر المستقاة من عاشوراء.

سبق وتحدّثنا عن هذا الموضوع قبل سنوات وأشرنا إلى أنّ لعاشوراء - فضلاً عن الدروس المستقاة منها - عبراً أيضاً.

والبحث عن العبر المستفادة من عاشوراء خاصّ بالزمن الذي تكون فيه الحاكميّة للإسلام. لا أقلّ من أن نقول: إنّ أهمّ جوانب هذا البحث مختصّة بهذا الزمان، أعني: زماننا هذا، وفي بلدنا هذا، كي نأخذ العبرة منها[١].

وقائع عصر الإمام الحسين عليه السلام: دروس ورسائل متنوّعة

يمكن الحديث عن واقعة كربلاء من زاويتين، الأولى: وصف الوقائع التي حدثت وتبيانها، ذلك أنّ تبيان الوقائع في حدّ نفسه يحمل في طيّاته الكثير من الرسائل. كيف عاش الإمام الحسين عليه السلام تلك الحقبة الطويلة من الزمن بعد أخيه الإمام الحسن عليه السلام، والتي دامت لعشر سنوات[٢]، كانت مليئة بالمصاعب والمحن؟ كيف تصرّف؟ ما الرسائل التي كُتبت له؟ ماذا كان ردّه على هذه الرسائل؟ ما هي ردّة الفعل التي أبداها بعد مجيء يزيد إلى الحكم؟ وقد كانت بداية حركة الإمام عليه السلام من المدينة، فما هي الحوادث التي جرت له في المدينة؟ وقد قدم إلى مكّة، فماذا حدث في مكّة؟ وهو قد تحرّك من مكّة، فما هي الحوادث التي حصلت معه في كلّ منزل من المنازل التي حلَّ فيها؟ هذا نوع من البيان المثاليّ (الذي يتكفّل بشرح الأهداف والمقاصد)، يُبحث عادة بهذا الشكل. وهو بذاته يحمل رسائل وبيانات كثيرة.

وهناك نوع آخر من البيان، يتمثّل في جمع واقعة عاشوراء وتلخيصها، تلخيص كلّ هذه الحوادث وهذه الخطابات والكلمات، ليتسنّى لنا أن نفهم من مجموعها أسباب قيام الإمام الحسين عليه السلام وثورته[٣].

---

(١) خطبة الجمعة، ١٨/ ٢/ ١٣٧٧ش ١١/ محرّم/ ١٤١٩ - ٨/ ٥/ ١٩٩٨م-.

(٢) روضة الواعظين، ص١٩٥، كشف الغمّة، ج٢، ص٢٥٠، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٠٠.

(٣) كلمته في ٤/ ٨/ ١٣٦١ش - ٢٦/ ١٠/ ١٩٨٩ م.

عاشوراء، مشهد مكتمل عن الحياة

تُقدِّم عاشوراء مشهداً مكتملاً عن الحياة الإسلاميّة التي يعيشها إنسان ما. ففي عاشوراء تتجلّى كافّة الأركان الإسلاميّة اللّازمة لحياة الإنسان، كما تتجلّى فيها الأبعاد المعنويّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة. في عاشوراء: الدفاع والهجوم والغضب والعشق والمحبّة، في عاشوراء: الموعظة والتبليغ والنصيحة، الترهيب والتهديد، التعاضد والإيثار والجهاد والشهادة والرسالة والتوحيد. في عاشوراء كلُّ شيء، الدعاء والمناجاة مع الله أيضاً[١].

كثرة دروس عاشوراء

فيما يتعلّق بواقعة عاشوراء ينبغي القول إنّها تحمل دروساً كثيرة جدّاً. فمهما بحث الإنسان وفكّر سيجد أنّ دروسَ عاشوراء هي أكثر بكثير ممّا يفكّر به[٢].

عاشوراء، الأنموذج والقدوة في مختلف الساحات

اعرفوا قدر هذه الأيّام، في هذه الليالي ومع اقتراب قلوبكم من الحسين بن عليّ عليه السلام، عليكم أن تتعلّموا من هذا العظيم ومن عاشوراء أيضاً. أيّها الشباب أنتم الأمل لمستقبل بلادنا وثورتنا، ثبّتوا أنفسكم قوّوا عزائمكم لحمل ثقل الأمانة الملقاة على عواتقكم. تلك الأمانة نفسها التي حملتموها في جبهات الحرب وحتّى اليوم، وهي غداً من الممكن أن تظهر بشكل آخر وفي جبهة أخرى. كلّ ذلك من دروس عاشوراء ودروس الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام[٣].

---

(١) خطبة الجمعة، ٥/ ٧/ ١٣٦٤ش- ٢٧/ ٩/ ١٩٨٦ م.

(٢) كلمة في جمع من منتسبي مركز دعم الحرب قوّة الجنوب- ٢٩/ ٥/ ١٣٦٧ش- ٢٠/ ٧/ ١٩٨٨ م.

(٣) كلمته في حشد من فيلق ١٩ فجر شيراز، ٢٤/ ٤/ ١٣٦٧ش- ١٥/ ٦/ ١٩٨٨ م.

دروس متنوّعة من عاشوراء

أنتم أيّها الشباب وكلّ أجيال ثورتنا الشعبيّة ينبغي أن تنظروا إلى الحوادث التي جرت للإمام الحسين بن عليّ عليه السلام على أنّه درس. أَخرِجوا هذه الحوادث عن الخواطر العاطفيّة الصرفة، فإنّها دروس ترينا الطريق أمامنا. هي حوادث يمكن أن تشكّل بالنسبة إلى شعبنا قدوة ومثالاً من مختلف الأبعاد، وكلّما فكّر الإنسان وبحث في مسألة عاشوراء، ومن أيّ زاوية نظر إلى هذه القضيّة، سيرى فيها دروساً! حقّاً نحن أصغر من أن نتمكّن من الإلمام بتلك الحادثة بنظرة واحدة أو أن نستطيع تبيانها. قد نفهم من زواياها بعض الأشياء، أي أنّها تشعّ فنفهم ونتعلّم، نرى شرارات تلك الحادثة ونقتطف منها[1].

بيان وظيفة المسلمين في مختلف الظروف

توجد نقاط كثيرة جدّاً في قضيّة ثورة عاشوراء بحيث لو بُحثت في العالم الإسلاميّ وتناولها المفكّرون الإسلاميّون من أبعادها المختلفة، ودقّقوا النظر في مقدّماتها ولواحقها وما أحاط بها من أحداث، فسيصبح بالإمكان تحديد سبل الحياة الإسلاميّة وبيان وظائف الأجيال المسلمة في مختلف الظروف[2].

خطاب الإمام الحسين عليه السلام إلى التاريخ كلّه

إنّ دماء الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام والحركة التي قام بها، على مرّ التاريخ بالنسبة إلينا نحن - البعيدين عن وطننا الإسلاميّ الحقيقيّ، وعن النصوص الدّينيّة التي كانت في عصر النبيّ وآل بيت الرسالة -، تحمل رسالة وبلاغاً. يبيّن لنا الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام بعمله: أنّكم إذا أردتم أن تحفظوا الإسلام في أيّ عصر من العصور وفي أيّ زمان من الأزمنة فهذا هو الطريق. ونحن قد قمنا

---

(١) كلمة في مقر كربلاء في الأهواز، ٢/ ٦/ ١٣٦٧ ش - ٢٤/ ٩/ ١٩٨٨ م.

(٢) كلمته في لقاء العلماء وطلبة العلوم الدينيّة، ٧/ ٥/ ١٣٧١ ش - ٢٩/ ٧/ ١٩٩٢ م.

بهذا العمل، وشعبنا قد[١] قام به، وقد رأينا نتيجته أيضاً.

إذاً، اعرفوا قدر عاشوراء، ولا تنسوا دروس عاشوراء أبداً[٢].

درس عاشوراء، درس خالد

درس عاشوراء الحسين بن عليّ عليه السلام درس خالد، لا ينبغي نسيانه، ينبغي فهمه بشكل جيّد، كما ينبغي للمحاضرات ومجالس العزاء التي تُذكر فيها مصائب كربلاء، تسليط الضوء على مسألة الفداء، وتضحية الإنسان من أجل دين الله وفي سبيل الله، حتّى لا يخرج هذا الدرس من أذهاننا أبداً.

كربلاء، النموذج الدائم والمجرّب

عليكم أن تعرفوا أنّ كربلاء هي النموذج الدائم لنا، كربلاء مثال وقدوة لنا في أنّه لا ينبغي للإنسان أن يشكّ أو يتردّد في الوقوف مهما كان العدوّ شديداً أو كبيراً. هي نموذج قد تمّ اختباره وتجربته. صحيح أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد مضى واستشهد مع ٧٢ من أصحابه في صدر الإسلام، لكنّ هذا لا يعني أنّ كلّ من يسير على درب أبي عبد الله عليه السلام وكلّ الذين يسيرون على درب المواجهة ينبغي أن يستشهدوا، لا، ليس كذلك، فالشعب الإيرانيّ اليوم قد اختبر بحمد الله، طريق الإمام الحسين عليه السلام وهو يحضر بشموخ وعظمة بين الشعوب المسلمة وبين أمم العالم.

ما قمتم به قبل الثورة (الإسلاميّة) ومضيتم عليه، هو طريق الإمام الحسين عليه السلام، أي عدم الخوف من العدوّ والخصم، والتقدّم لمواجهته. وهكذا كان الأمر في مرحلة الحرب[٣].

---

(١) أي الشعب الإيرانيّ.

(٢) كلمته في جمع من جنود فيلق عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ٢٣/ ٥/ ١٣٦٧ش- ١٤/ ٨/ ١٩٨٨ م.

(٣) الحرب التي فرضت على الجمهوريّة الإسلاميّة في ثمانينيّات القرن الماضي. المترجم-.

لقد أيقن شعبنا أنّ الشرق والغرب وكلّ المستكبرين وقفوا في مواجهته، لكنّه لم يخف. بالطبع قدّمنا شهداء كباراً. فقدنا أحبّة أعزّاء. وقدّم أعزّاء منّا سلامتهم وصحّتهم وأصبحوا في عداد الجرحى. وأمضى أعزّاء آخرون نيّفاً من أعمارهم في السجون.. لكن أمّةً مع هذه التضحيات وصلت إلى أوج عزّتها وعظمتها، لقد غدا الإسلام عزيزاً، وارتفعت راية الإسلام. كلّ ذلك ببركة ذلك الصمود والمقاومة[١].

الإمام الحسين عليه السلام النموذج الحيّ والساطع

تحتضن هذه الأمّة - من بين عشرات، بل مئات الخصائص التي تنفرد بها الأمّة الإسلاميّة بفضل القرآن والإسلام وأهل البيت عليهم السلام- نماذج كبيرة ومشرقة. ولهذه النماذج القدوة أهمّيّتها في حياة الشعوب، فإنّ الشعوب على اختلافها ما إن تجد شيئاً من نفحات العظمة في واحدة من شخصيّاتها، فإنّها لا تنفكّ عن تمجيد تلك الشخصيّة والتغنّي بها وتخليد اسمها، بغية توجيه المسار العامّ لأجيالها في الاتجاه الذي يريدونه لها. وأحياناً قد لا تكون هذه الشخصيّة واقعيّة أصلاً، لكنّهم يتحدّثون عنها (هذه الشخصيّة الخياليّة) في القصص والأشعار والأساطير الشعبيّة، وهذا كلّه نابع من حاجة الشعوب لأن تجد فيما بينها نماذج عظيمة من أبنائها. لكنّ هذا الأمر موجود واقعاً في الإسلام على نحو واسع ومنقطع النظير، ومن بين هذه الشخصيّات العظيمة التي يُحتذى بها: شخصيّة أبي عبد الله عليه السلام إمام المسلمين وسبط الرسول صلى الله عليه وآله، ذلك الشهيد الكبير[٢] في تاريخ الإنسانيّة[١].

---

(١) كلمته في حشود من مختلف شرائح الشعب بمناسبة قدوم محرّم الحرام، ١٠/ ٤/ ١٣٧١ش- ١/ ٧/ ١٩٩٢م.

(٢) كامل الزيارات، ص١٤٢، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٢٣٨.

عالميّة دروس الإمام الحسين عليه السلام

ليس الإمام الحسين عليه السلام حكراً على الشيعة أو المسلمين، بل رسالته عامّة لكلّ أحرار العالم. وهذا زعيم نهضة الحرّيّة في الهند قبل ٦٠ أو ٧٠ عاماً يذكُر اسم الحسين بن عليّ عليهما السلام، ويقول إنّه قد تعلّم منه، مع أنّه كان من الهندوس ولم يكن مسلماً. وكذلك الأمر بين المسلمين، فالأحداث التي جرت للإمام الحسين عليه السلام هي هذه. أنتم تكنزون مثل هذه الجوهرة النفيسة التي يمكن للبشريّة جمعاء أن تنهل وتستفيد منها[٢].

الدرس الأساس المستفاد من عاشوراء

لو نظرنا بدقّة إلى واقعة عاشوراء، ابتداءً من خروج أبي عبد الله عليه السلام من المدينة ثمّ توجّهه نحو مكّة إلى أن ارتوى بكأس الشهادة في كربلاء، لأمكننا القول إنّ باستطاعة الإنسان عدّ أكثر من مائة درس مهمّ في هذا التحرّك الّذي لم يدم أكثر من أشهر معدودة فقط. لم أقل: آلاف الدروس وإن كان بالإمكان قول ذلك، فمن الممكن أن تكون كلّ إشارة من ذلك الإمام العظيم درساً، لكن عندما نقول ١٠٠ درس، أي أنّه لو أردنا التدقيق والتمحيص في هذه الأعمال لأمكننا استقصاء مائة عنوان وفصل، وكلّ فصل يعتبر درساً للأمّة وللتاريخ وللبلد ولتربية النفس ولإدارة المجتمع وللتقرّب إلى الله، هكذا هو الحسين بن عليّ (أرواحنا فداه وفداء اسمه وذكره) في هذه الدنيا كالشمس الساطعة بين المقدّسين في العالم. انظروا إلى الأنبياء والأئمّة عليهم السلام والشهداء والصالحين، فإذا كانوا كالأقمار

---

(١) في لقاء جموع كبيرة من الحرس والتعبئة بمناسبة ولادة الإمام الحسين عليه السلام ويوم الحرس، ٢/ ٩/ ١٣٧٧ش- ٢٣/ ١١/ ١٩٩٢ م.

(٢) خطبة الجمعة في طهران ١٩/ ٣/ ١٣٧٤ش ١٠ محرّم ١٤١٦هـ-.

والأنجم، فالحسين عليه السلام يشعّ كالشمس الطالعة.

وإلى جانب هذه الدروس المائة، هناك درس أساس في هذا التحرّك وهذه النهضة، وهو الأصل والأساس. وهو أنّه لماذا ثار الحسين عليه السلام ؟ هذا درس.

كان يقال للإمام الحسين عليه السلام: لماذا خرجت يا حسين رغم كونك شخصيّة لها احترامها في المدينة ومكّة، ولك شيعتك في اليمن؟ اذهب إلى مكان لا يكون لك فيه شأن بيزيد[١] ولا شأن له بك، اذهبوا - أنت وشيعتك - إلى هناك جميعاً، لتعيش هناك وتعبد الله وتبلّغ. لماذا قمتَ وخرجت؟ ما الخبر؟ وما هي قضيّتك؟ هذا هو السؤال الأساس. وهذا هو الدرس الأساس[٢].

إنّ ما اجتمع في كربلاء من حوادث، ومن خطب وكلمات وأقوال، يمكن من خلاله معرفة وفهم لماذا نهض الإمام الحسين عليه السلام وقام بثورته[٣].

الدافع، الهدف والغاية من نهضة عاشوراء

لو أردنا أن نبيّن هدف الإمام الحسين عليه السلام، فينبغي أن نقول: إنّ هدف ذلك العظيم كان واجب عظيم من واجبات الدّين لم يؤدِّه أحدٌ قبله، لا النبيّ صلى الله عليه وآله ولا أمير المؤمنين عليه السلام ولا الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، واجب يحتلّ مكاناً مهمّاً في البناء العامّ للنظام الفكريّ والقيميّ والعمليّ في الإسلام. ومع أنّ هذا الواجب مهمّ وأساسيّ، فلماذا لم يتمّ العمل به إلى زمن الإمام الحسين عليه السلام ؟ كان يجب على الإمام الحسين عليه السلام أن يبادر هو للقيام بهذا الواجب ليكون درساً على مرّ التاريخ، كما صار تشكيل الحكومة الإسلاميّة على

(١) أنساب الأشراف، ج٣، ص١٦١-١٦٢، اللهوف، ص٣٩-٤٠، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩.
(٢) خطبة الجمعة في طهران ١٩/ ٣/ ١٣٧٤ش- ٩/ ٦/ ١٩٩٥ م.
(٣) كلمته في ٤/ ٨/ ١٣٦١ش- ٢٦/ ١٠/ ١٩٨٢ م.

يدي النبيّ ﷺ درساً على مرّ تاريخ الإسلام، ومثلما أصبح جهاد النبيّ ﷺ في سبيل الله درساً على مرّ تاريخ المسلمين وتاريخ البشريّة إلى الأبد، كذلك كان ينبغي أن يُودّى هذا الواجب على يد الإمام الحسين عليه السلام ليصبح درساً عمليّاً للمسلمين على مرّ التاريخ.

نعم، لقد نهض الإمام الحسين عليه السلام لتأدية واجب عظيم هو إعادة بناء النظام والمجتمع الإسلاميّ، أو القيام في وجه الانحرافات الكبرى في المجتمع الإسلاميّ[1].

(١) خطبة الجمعة في طهران ١٩/ ٣/ ١٣٧٤ ش ١٠ محرّم ١٤١٦ هـ-.

التكليف

معرفة التكليف الأساس، الدرس المهمّ في عاشوراء

ثَمَّةَ نقاط كثيرة جدّاً في قضيّة ثورة عاشوراء بحيث لو بُحثت في العالم الإسلاميّ وتناولها المفكّرون الإسلاميّون من أبعادها المختلفة، ودقّقوا النظر في مقدّماتها ولواحقها وما أحاط بهذه الحادثة، فسيصبح بالإمكان تحديد سبل الحياة الإسلاميّة ووظائف الأجيال المسلمة في مختلف الظروف.

وأحد هذه الدروس هو هذه النقطة المهمة: أنّ الحسين بن عليّ عليه السلام قد شخّص في فصل حسّاس جدّاً من تاريخ الإسلام، الوظيفة الأساس من بين الوظائف المتنوّعة والتي لها مراتب متفاوتة في الأهمّيّة، وقام بإنجازها. ولم يخطئ أو يشتبه في معرفة ما كان العالم الإسلاميّ في ذلك اليوم بحاجة إليه.

في حين كان تشخيص الوظيفة الرئيسيّة دائماً يمثّل إحدى نقاط الخلل والضعف في حياة المسلمين في المراحل الزمنيّة المختلفة، والخلل في تشخيص هذه الوظيفة يعني أن يخطئ أفراد الأمّة والمرشدون والشخصيّات البارزة في العالم الإسلاميّ- في مقطع من الزمن- في تشخيصها، بمعنى أنّهم لا يعلمون ما هي الوظيفة الأساس التي يجب البدء بها، والتضحية بسائر الأمور في سبيلها إذا لزم الأمر، ولا يعلمون ما هي الوظيفة الفرعيّة والتي تأتي في الدرجة الثانية، وأن يعطوا كلّ عمل وكلّ حركة من الأهمّيّة بقدره وأن يسعوا في سبيل تحقيقه.

أكابر ووجوه بلا بصيرة

في الوقت عينه الذي تحرّك فيه أبو عبد الله الحسين عليه السلام، كان هناك أشخاص إذا نوقشوا في الأمر وقيل لهم: «الآن وقت النهوض والقيام» وعلموا أنّ هذا الأمر سيجلب لهم المشاكل والمتاعب فإنّهم كانوا سيتّجهون نحو تكاليف من الدرجة الثانية، مثلما رأينا بعضهم قد قام بهذا العمل فعلاً.

ولقد كان هناك أشخاص مؤمنون وملتزمون بين الذين لم ينهضوا مع الإمام الحسين عليه السلام، فليس من الصحيح اعتبارهم جميعاً من أهل الدنيا، وكان بين زعماء المسلمين ورموزهم في ذلك الوقت أشخاص مؤمنون وأشخاص يرغبون بالعمل وفقاً للتكليف، لكنّهم لم يدركوا ما هو تكليفهم، ولم يشخّصوا أوضاع ذلك الزمان، ولم يعرفوا العدوّ الرئيسيّ، وكانوا يخلطون بين الوظيفة الرئيسيّة المحوريّة والوظائف التي هي من الدرجة الثانية أو الثالثة. ولقد كان هذا الأمر أحد الابتلاءات العظيمة للعالم الإسلاميّ، ونحن - اليوم - يمكن أن نُبتلى بذلك أيضاً. من الممكن أن نخطئ في تشخيص التكليف الأهمّ نسبة إلى الأشياء الأقلّ أهمّيّة. يجب اكتشاف تلك الوظيفة الأساس والتي يعتمد عليها قوام المجتمع وحياته[1].

معرفة الحركة اللّازمة والمتعيّنة على المجتمع في مواجهة العدوّ

في كلّ زمان ثمّة حركة مطلوبة (متعيّنة) للمجتمع الإسلاميّ. ففي كلّ عصر، يوجد عدوّ وجبهة وخصم يهدّد الإسلام والمسلمين، ويجب أن يُعرف ذلك العدوّ. فلو اشتبهنا في معرفة العدوّ والجهة التي يتعرّض الإسلام منها للأذى والهجوم فستكون الخسارة كبيرة لا يمكن جبرانها، وستضيع من أيدينا فرص كثيرة. نحن اليوم مكلّفون بأن نتدارك، بأعلى درجة ممكنة، تلك

(١) في لقاء العلماء وطلّاب العلوم الدينيّة، ٧/ ٥/ ١٣٧١ش - ٢٩/ ٧/ ١٩٩٢ م.

اليقظة والتنبّه والاهتمام ومعرفة الأعداء ومعرفة التكاليف بالنسبة للأمّة الإسلاميّة وشعبنا والعالم الإسلاميّ[١].

عندما قدم الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، لم يأت بقصد الحكومة، ولا الشهادة، إنّما كان الهدف أداء التكليف. وقد ذكرنا هذا الأمر مراراً.. فإنْ كانت الحكومة هي الخاتمة فنعمّا هي، وهذا أمر حسن جدّاً، أن يذهب ويقيم الحكومة ويهزم يزيدَ في المعركة ويقضي عليه. وإذا كانت الشهادة هي خاتمة الثورة فهي إحدى الحُسنيين، وهو كان قد أعدّ نفسه للشهادة. لذلك فقد خطب تلك الخطب ليبيّن جمال الشهادة في أعين أصحابه، مثلما هي جميلة[٢].

التسليم أمام الله والتكليف

في واقعة عاشوراء وما حدث للإمام الحسين عليه السلام، ثمّة أمرٌ تحفل به جميع الأقوال والتصرّفات والحركات، وهو التسليم أمام الله، أي التسليم في قبال التكليف. عندما يُقال للإمام عليه السلام: إنْ تذهب وتَثُر فمن الممكن أن تُقتل، كان الجواب: إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه من رأى منكم سلطاناً جائراً يعمل كذا وكذا ويظلم، فعليكم مواجهته والوقوف بوجهه[٣]، (أي) استناداً إلى تكليف![٤].

بيان «التكليف الأهمّ» على لسان الإمام عليه السلام

في ذلك الوقت الذي تحرّك فيه أبو عبد الله عليه السلام، جرى الحديث وقيل لهم: «**الآن وقت النهوض**»، ولكنّهم أدركوا أنّ هذا الأمر سيجلب لهم

---

(١) في لقاء العلماء وطلّاب العلوم الدينيّة، ٧/ ٥/ ١٣٧١ش - ٢٩/ ٧/ ١٩٩٢ م.

(٢) في لقاء عوائل الشهداء، ٢٠/ ٩/ ١٣٦١ش - ١١/ ١٢/ ١٩٨٣ م.

(٣) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٠٤، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٨٢.

(٤) كلمته في ١٦/ ٨/ ١٣٥٩ش - ٧/ ١١/ ١٩٨١ م.

المشاكل والمتاعب، ومن هنا اتّجهوا نحو التكاليف من الدرجة الثانية، وقد رأينا بعضهم قام بهذا العمل فعلاً.

لقد أوضح الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام في خطابه للجميع، أن أوجب واجبات ووظائف العالم الإسلاميّ في تلك الظروف هو مواجهة رأس السلطة الطاغوتيّة والقيام من أجل إنقاذ النّاس من سلطتها الشيطانيّة.

من البديهيّ أنّ الحسين بن عليّ عليه السلام لو كان قد اختار البقاء في المدينة وبلّغ الأحكام الإلهيّة ومعارف أهل البيت عليهم السلام لكان ربّى جماعة على يديه، لكنّه عندما آثر أن يتّجه إلى العراق لأجل القيام بوظيفته، فإنّه كان يحرم نفسه من كلّ هذه الأعمال، من تبليغ الأحكام الإلهيّة للأُمّة وبيان معارف أهل البيت عليهم السلام وتعليم وتربية المسلمين، فلم يكن بإمكانه أن يُعلّم النّاس الصلاة وأن ينقل إليهم أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله، وبالطبع سوف تتعطّل حوزته العلميّة ونشره للمعارف، وسوف يُحرم من تقديم العون للأيتام والمساكين والفقراء في المدينة. كلّ أمر من هذه الأمور كان وظيفة يقوم بها الإمام عليه السلام قبل تحرّكه باتّجاه العراق، ولكنّه جعلها جميعاً فداءً للوظيفة الأكثر أهمّيّة، حتّى إنّه ضحّى بحجّ بيت الله في سبيل ذلك التكليف الأعلى[1] وكان هذا في وقت شرعت فيه النّاس بالوفود إلى بيت الله الحرام. فماذا كان ذلك التكليف؟ لقد كان - كما عبّر هو عليه السلام - مواجهة الجهاز الحاكم الذي هو منشأ الفساد: «**أُريد ان آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي**»[2].

أو كما قال في خطبة أُخرى وهو في بعض الطريق: «أيّها النّاس، إنّ رسول الله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلّاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله... فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله»[3].

---

(١) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٢٨٩، إعلام الورى، ج١، ص٤٤٥، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٦٣.

(٢) بحار الأنوار ج٤٤، ص٣٢٩.

(٣) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٠٤.

أي التغيير لسلطان الظلم والجور، تلك السلطة التي تنشر الفساد، والجهاز الذي يجرّ النّاس نحو الهلاك والفناء الماديّ والمعنويّ، هذا هو سبب قيام الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام[١].

التكليف (المطلق) بدون قيد أو شرط

ربّما يقول قائل إنّه لا تكليف بالثورة إلى هذا الحدّ، فعندما يشاهد الإنسان طفلاً صغيراً كعليّ الأصغر قد شارف على الموت من شدّة العطش، يقول: الآن سقط التكليف عنّي، أو أنّه عندما يرى أن مجموعة من نساء النبيّ صلى الله عليه وآله وبناته يقعْنَ في الأسر سيقول: سقط التكليف عنّي إلى هنا! لا، ليس كذلك! إنّ تكليف الإمام ثورة غير محدودة وغير مشروطة١.

لقد لقّن الإمام الحسين عليه السلام بحركته العظيمة هذه البشريّة درساً أنّه كلّما كان الحقّ في مواجهة وضع خطير ومؤلم كهذا، يجب على أتباع الحقّ النهوض والقيام ولو كانوا أمام بحر من الأعداء. لا تقولوا إنّ الأعداء أقوياء، وهم يملؤون العالم، وماذا نستطيع أن نعمل في مواجهة العالم؟ الدرس هو أنّه ينبغي القيام والحركة مهما كان العدوّ قويّاً، بالطبع لهذا الطريق نهايتان، إحداهما الانتصار الظاهريّ والأخرى الانكسار الظاهريّ، فإحدى هاتين النهايتين هي حتماً في انتظار الإنسان[٢].

لمّا نزل عليه السلام منزل «عذيب الهجانات» التحق به أربعة رجال، كان للإمام عليه السلام كلام آخر، حيث قال لهم: «أما والله إنّي لأرجو أن يكون خيراً ما أراد الله بنا، قُتلنا أم ظفرنا»[٣].

---

(١) كلمته في لقاء العلماء وطلّاب العلوم الدينيّة، ٧/ ٥/ ١٣٧١ش- ٢٩/ ٧/ ١٩٩٢ م.

(٢) في لقاء العاملين في الجهاد الجامعيّ، ١٠/ ٦/ ١٣٦٦ش- ١/ ٩/ ١٩٨٨ م.

(٣) خطبة الجمعة في طهران، ٥/ ٧/ ١٣٦٤- ٢٧/ ٩/ ١٩٨٦ م.

وهذا مؤيّد لما ذكرناه من أنّه لا فرق، سواء انتصر أم قُتل، التكليف تكليف، ويجب القيام به[١].

نتيجة تقصير الخواصّ في العمل بالتكليف

نلاحظ في وقائع عاشوراء نفسها، أنّه عندما تحرّك الإمام الحسين عليه السلام كان بإمكان مجموعة، من خلال التحاقها به، أن تحوّل تلك النهضة إلى ثورة بنّاءة، لا إلى نهضة دمويّة انتهت بالقتل والشهادة، كان بإمكانهم ذلك! فلو أنّ عبد الله بن عبّاس وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر، هذه الشخصيّات التي كانت بارزة في عالم المسلمين في ذلك اليوم، وكانت تسكن في مكّة والمدينة، وهي جميعها من أبناء شخصيّات معروفة في صدر الإسلام، ابن جعفر الطيّار ابن عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله[٢]، ابن الزبير، ابن عمر، ابن عبّاس، لو أنّ هؤلاء الأربعة والذين اسم كلّ واحد منهم عبد الله خرجوا برفقة الإمام الحسين عليه السلام، لوجدت حركة عظيمة، لم يكن باستطاعة يزيد ولا أعوان يزيد، بدون شكّ، أن يقفوا في وجهها.

انظروا، فهؤلاء وآباؤهم كانوا من الشخصيّات المعروفة في الإسلام. وهذا الأمر كان مؤثّراً جدّاً، فالشخصيّة والسمعة كانتا لَتُسَهِّلانِ له كثيراً من الأمور والأعمال. فهل كان بالإمكان منازعة كلّ هذه الوجوه المعروفة، التي لكلّ واحدة منها عشيرة وأصدقاء ومؤيّدون في عالم الإسلام؟ إذاً لقامت النّاس وتبدّلت[٣] تلك الحركة وأحدثت تحوّلاً في السلطة والحكومة.

---

(١) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٠٥-٣٠٦.

(٢) خطبة الجمعة في طهران عاشوراء ١٤١٦-، ١٩/ ٣/ ١٣٧٤ش- ٩/ ٦/ ١٩٩٥ م.

(٣) أسد الغابة، ج١، ص٣٤١.

لولا تراخي هؤلاء الذين ذكرتُهم وأمثالهم، لكان الإمام الحسين عليه السلام قد خرج بعدّة آلاف، بدلاً من الخروج من مكّة ببضع مئات، تركه بعضهم أثناء الطريق[١]، والقليل بقي في كربلاء. وإذ ذاك هل كان للحرّ بن يزيد في هذه الحالة، أن يقف في الطريق ويمنع الإمام الحسين من الوصول إلى الكوفة؟[٢] ولو وصل إلى الكوفة، هل كان لعبيد الله بن زياد- الوالي الجديد للكوفة- أن يقف أمام هذا الجيش الكبير الذي على رأسه نجباء وشخصيّات معروفة من قريش وبني هاشم؟ و (لكانت) سقطت الكوفة. وبسقوط الكوفة، تسقط البصرة، ما يعني سقوط العراق. ومع سقوط العراق، فمن المتيقّن به أن تلحقه المدينة ومكّة وتسقط الشام أيضاً، وتتغيّر الحكومة، ويتبدّل تاريخ الإسلام. وعوض قرنين من الضغط والتضييق، كانت ستعود حكومة آل النبيّ صلى الله عليه وآله، و لو عادت حكومة النبيّ صلى الله عليه وآله، لكان من المحتمل جدّاً أن يبلغ الإسلام الذروة في العالم، بدلاً من ١٤ قرناً من الانزواء، ولعلّ الحضارة اليوم والصناعة، والتكنولوجيا، والعلم والثقافة كانت ستكون مختلفة كلّيّاً عمّا هي عليه الآن.

ولعلّه لو حصل ذلك الأمر، لما عانت البشريّة عندها من كلّ هذا الشقاء والبؤس، ومن كلّ هذه الآلام والغصص والفقر وانعدام الأخلاق والجهل، والحروب وسفك الدماء. وكان العالم اليوم متقدّماً ١٠٠ سنة عمّا هو عليه حاليّاً. فأيّ شخص باستطاعته أن ينكر حجم الاستعدادات والقدرات التي أبادتها الضغوط والمحن على مرّ هذه السنوات المتمادية؟ فلولا المحن والضغوط، ولولا الحكومات الطاغوتيّة، لتفتّحت هذه الاستعدادات وانطلقت وأثمرت، ولعمرت الدنيا وتبدّلت عمّا هي عليه حالياً.

---

(١) الأخبار الطوال، ص٢٤٧-٢٤٨، إعلام الورى، ج١، ص٤٤٧، بحار الأنوار،ج٤٤، ص٣٧٤.
(٢) تجارب الأمم، ج٢، ص٦١-٦٤، اللهوف، ص٤٧، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٧٦-٣٧٨.

كيف سُدّ هذا النبع، الذي لو جرى لكان بإمكانه أن يروي الدنيا بأسرها؟ هناك في ذلك الموقف عندما شاهدت بعض هذه الشخصيّات الكبيرة الإمام الحسين عليه السلام يتحرّك وقال لهم: هيّا تحرّكوا، ضربوا كفّاً على كفّ وقالوا له: الآن، الظروف ليست مؤاتية[1]!! الآن العدوّ قويّ، ولا يصحّ. وعندما قالوا له: الآن، فهم جعلوا الزمان دخيلاً، وجعلوا الظروف دخيلةً.

لم يقل الإمام الحسين «**الآن**»، لا! بل قال: هي وظيفتي، ينبغي أن أقف وأقول الحقّ، يجب أن أنير الأذهان وأذكّرها. فلو نجحت فهو، وإلّا فإنّي بعملي هذا أُذكّرهم بما عليهم القيام به، هذا هو منطق الإمام الحسين عليه السلام، فيا ليتهم مضوا معه![2].

ضرورة العمل بـ«تكليف اللحظة»

انظروا ما هي حاجة اللحظة؟ هذا هو الفنّ. تعرفون أنّه كان في العالم الإسلاميّ آنذاك الآلاف ممّن يحبّون الحسين بن عليّ عليهما السلام وأباه وأمّه وعائلته وآله عليهم السلام، ويعادون يزيدَ واليزيديّين وكلّ الذين شاركوا في واقعة كربلاء، وكانوا حاضرين للجهاد والسعي في ركاب الحسين بن عليّ عليهما السلام، إلّا أنّهم لم يصبحوا حبيبَ بن مظاهر أو زهيراً، أو ذلك الغلام الذي أسلم حديثاً، و كان هناك أشخاص في بني هاشم، لم يصبحوا عليّ الأكبر وأبا الفضل العبّاس عليهما السلام، لماذا؟ لأنّهم لم يكونوا حاضرين في لحظة الحاجة. فعندما أرى أن الدّين محتاج إليّ، ولم أعرف حاجة ذلك الوقت (أي الوقت الذي احتاجني فيه) ولم ألبِّ ولم أجب، فما هي الفائدة من أن أعتبر نفسي مستعدّاً وحاضراً لنصرة الدّين؟

---

(١) الفتوح، ج٥، ص٢٣-٢٦، مقتل الحسين، الخوارزمي، ج١، ص٢٧٨-٢٨١.

(٢) في لقاء اتحادات الطلبة الإسلاميّة في مختلف مناطق البلاد، ١٢/ ٨/ ١٣٦٤ش- ٣/ ١١/ ١٩٨٦م.

عندما يحتاج المريض إلى ذلك العلاج الفوريّ والدواء الفوريّ، يمكنك التباهي إذا أعطيته ذلك الدواء في تلك اللحظة، وإلّا إذا انقضت اللحظة، فلو أحضرت مئة ضعفٍ من هذا الدواء، فما هي فائدته؟ هذا هو المهمّ[١].

معرفة الإمام عليه السلام للزمان

لم يخطئ الإمام الحسين عليه السلام في معرفة الظرف. فقبل واقعة كربلاء، كانت الإمامة والمسؤوليّة في عهدته لمدّة عشر سنوات[٢]. وكان في المدينة يقوم بالأعمال الأخرى، ولم يقم بعمل كربلائيّ، لكنّه بمجرّد أن أتيحت له الفرصة للقيام بهذا العمل المهمّ، أدرك الفرصة وتلقّفها، فقد عرف الوقت ولم يفرّط به[٣].

تجنّب تأخير التكليف

بعض النّاس لا يقومون بأداء التكليف الذي عليهم في وقته، وأداؤه في أيّ وقت آخر لن تكون له تلك النتيجة، وهذا هو الفرق بين شهداء كربلاء والتوّابين. فشهداء كربلاء استُشهدوا وكذلك التوّابون استُشهدوا أيضاً، ولم تكن الفاصلة الزمنيّة بينهما كبيرة[٤]. إلّا أنّ شهداء كربلاء أصبحوا في قمّة الإنسانيّة، وشهداء التوّابين ليسوا كذلك، والفرق كبير بين مقام هؤلاء مقارنة بأولئك، لماذا؟ لأنّ شهداء

---

(١) في جامعة العلوم الإسلاميّة الرضويّة، ١١/ ٦/ ١٣٦٥ - ٢/ ٩/ ١٩٨٧ م.

(٢) الهداية الكبرى، ص٢٠١، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٠١.

(٣) في لقاء حشود كبيرة من الحرس والتعبئة بمناسبة ولادة الإمام الحسين عليه السلام، ويوم الحرس، ٢/ ٩/ ١٣٧٧ش - ٢٣/ ١٢/ ١٩٩٩ م.

(٤) المنتظم، ج٦، ص٣٥-٣٧، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٥٨-٣٦٢.

كربلاء قد لبّوا نداء الإمام الحسين عليه السلام في وقته (وقت النداء)، لكنّ التوّابين لبّوا النداء بعد مضيّ الوقت. وهذا هو الفرق[١].

ترك الحجّ من أجل قيام عاشوراء

في جميع الواجبات الشرعيّة، هناك مهمّ وأهمّ. فقد يكون هناك أمر واجب لكنّه مع ذلك يُجعل في الدرجة الثانية ويُترك جانباً، فالحجّ واجبٌ، لكنّ الإمام الحسين عليه السلام استعاض عنه بالعمرة المفردة[٢].

حتّى لو فُرض أنّ الإمام الحسين كان قد حجّ سابقاً، وأنّ هذا لم يكن حجّه الأوّل ولم يكن واجباً عليه، لكن، من المتيقّن أنّه كان هناك أشخاص من بين أصحابه، كان هذا الحجّ واجباً بالنسبة إليهم، لكنّهم تركوه، وقدِموا معه. فما الذي حدث؟ ولماذا جاؤوا؟

لقد كان السبب هو هذا القيام وهذه المواجهة[٣].

عاشوراء ومعرفة «حاجة الزمان»

إنّ مشكلة بعض الأفراد والجماعات هي أنّهم ليسوا بلا إيمان، وبلا شوق ومحبّة، لكنّهم ليسوا من أهل معرفة الزمان. ينبغي معرفة اللحظة، ينبغي معرفة الحاجة. لنفرض أنّ أشخاصاً في الكوفة كانت قلوبهم تفيض بالإيمان بالإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام، قلوبهم عامرة بالمحبّة، إلّا أنّهم وردوا الميدان متأخّرين بضعة أشهر[٤] وقد استُشهدوا جميعاً، وعند الله أجرهم، إلّا

---

(١) في لقاء عوائل شهداء قائن، ٨/ ٦/ ١٣٧٨ش- ٣٠/ ٨/ ١٩٩٩ م.

(٢) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٢٨٩، الإرشاد، ج٢، ص٦٧، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٩٩.

(٣) في جلسة أسئلة وأجوبة، ٢٦/ ٢/ ١٣٦٠ش- ٢٦/ ٤/ ١٩٨١ م.

(٤) أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٦٦.

أنّ العمل الذي كان عليهم أداؤه لم يكن ذلك العمل الذي قاموا به، لم يعرفوا اللحظة، لم يعرفوا عاشوراء، لم يؤدّوا العمل في الزمان (المطلوب). فلو أنّ التوّابين قاموا بما قاموا به - أي نهضتهم بعد عاشوراء بمدّة - عند مجيء مسلم إلى الكوفة لكانت الأوضاع قد تغيّرت، وكان ممكناً أن يتغيّر مجرى الأحداث بشكل آخر.

إنّ معرفة الوقت وتشخيص اللحظة والقيام بالعمل في وقت الحاجة لَهي أُمورٌ في غاية الأهمّيّة[1].

(١) في لقاء أعضاء شورى تبليغات إسلامي، ٢٩/ ١٠/ ١٣٨٨ش- ١٩/ ١/ ٢٠١٠ م.

التغيير على السلطان الجائر

أهمّيّة مواجهة فساد المجتمع

حادثة عاشوراء هي عبارة عن حركة جهاديّة عظيمة على كلتا الجبهتين:

• جبهة المواجهة مع العدوّ الخارجيّ والذي هو جهاز الخلافة الفاسد نفسه والملتصقون به من طلّاب الدّنيا، الذين أرادوا استخدام السلطة - التي استخدمها الرسول الأكرم ﷺ لإنقاذ النّاس - في الاتجاه المعاكس لمسير الإسلام ونبيّ الإسلام المكرّم.

• وكذلك على الجبهة الداخليّة والعدوّ الداخليّ، حيث كان المجتمع في ذلك اليوم يتحرّك عموماً باتجاه ذلك الفساد الداخليّ نفسه. وهذه الجبهة الثانية برأيي هي الأهمّ[1].

القيام والتغيير: تكليف إسلاميّ

تولّى الحكمَ في عصر الإمام الحسين عليه السلام نظامٌ فاسدٌ بكلّ معنى الكلمة، فألحق الظلم بالضعفاء، ودمّر القيم الإنسانيّة، وتجاهل دين الله كلّيّاً، الدّين الذي يمثّل الإطار الأفضل والأمثل لتحقيق العدالة الاجتماعيّة، وداس على إنجازات النبيّ الأكرم ﷺ وتضحياته، وأدخل المجتمع بتمامه في

---

(١) كلمته في لقاء أعضاء من الحرس الثوريّ وقوى الأمن بمناسبة الثالث من شعبان، ٦/ ١١/ ١٣٧١ش - ٢٦/ ٧/ ١٩٩٣ م.

الضياع. في ظلّ هكذا ظروف، برزت وظيفة كبيرة وثقيلة في طريق كلّ إنسان حرّ وشريف ومسلم حقيقيّ، وهي استنهاض النّاس وتوعيتهم، من خلال الوقوف والصمود في وجه ذلك النظام المتسلّط الجبّار المتعطّش للظلم والبعيد عن المعنويّات والقيم الأخلاقيّة ومواجهته، كانت هذه هي القضيّة الأساس في عصر الإمام الحسين عليه السلام.

كانت وظيفة الإمام الحسين عليه السلام وظيفة إسلاميّة، من يظنّ أنّ هذا العمل الذي قام به الإمام عليه السلام لم يكن واجباً على أيّ شخص آخر سواه، فهو مخطئ، فقد كان على الجميع التصدّي والقيام بهذه المهمّة، وأن ينصروا ويؤازروا الحسين بن عليّ عليهما السلام. «**أيّها النّاس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلّاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله**»[1]. وهذا يعني أنّه وظيفة الجميع، وهو التكليف الإسلاميّ[2]. كما ذكر هو نفسه في أحد منازل الطريق:

التصدّي لنظام الظلم، المواجهة الحقيقيّة لأبي عبد اللّه عليه السلام

قبل مجيء يزيد إلى الحكم وقبل أن يبلغ الظلم والطغيان والانحراف ذروته كان الحسين بن عليّ عليهما السلام ساكتاً، ولم يقم في زمن معاوية وخلال السنوات العشر بأيّة حركة كفاحيّة اعتراضيّة كالتي قام بها في كربلاء، إلّا أنّي أرى - وهذا رأيي الشخصيّ، وهو نتيجة أُنسي بالمسائل المرتبطة بحياة الأئمّة العظام عليهم السلام - أنّه لو بقي معاوية لسنوات أخرى على قيد الحياة ولم يأت ابنه يزيد إلى الحكم، لكان

---

(١) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٠٤.

(٢) خطبة الجمعة، ٢١/ ٦/ ١٣٦٥ش - ١٢/ ٩/ ١٩٨٧ م.

الإمام الحسين عليه السلام قام بهذه الثورة، ولم يكن نهوض الإمام عليه السلام مرتبطاً فقط بمجيء يزيد إلى الحكم، لا، المسألة كانت أعلى من ذلك، لم تكن المشكلة مع يزيد، إنّما مع نظام الظلم[1].

مواجهة الظلم، الركن الإسلاميّ المهمّ

للظلم ثلاثة أبعاد: الظالم، وهو ذلك الشخص الذي يمارس الظلم. والمظلوم، وهو ذلك الشخص الذي يقع عليه الظلم لكنّه يتحمّل الظلم ويقبل به. والثالث: الشاهد غير المبالي. فهؤلاء الثلاثة هم شركاء في الظلم، فالظالم مُدان وملعون عند الله تعالى، وكذلك المظلوم الذي يأتي عليه الظلم فيقبل به ولا يحرّك ساكناً في مواجهته، وكذلك المتفرّج اللامبالي، الذي يرى ممارسة الظلم لكنّه لا يتحرّك ولا ينطق بكلمة. هذه ثلاثة أبعاد لتشكّل الظلم وحصوله، فعندما لا يتحقّق أيّ منها لن يكون هناك ظلم في الدنيا. فلو لم يكن هناك ظالم، ولو لم يكن هناك من يرضخ للظلم، لن يكون هناك ظلم. ولو أنّ الشعوب والأمم والنّاس التي تُحكم وتُقاد بالظلم لم تقبل الظلم، بل رفضته وتصدّت للدفاع عن نفسها لما بقي هناك ظلم، ولما كان للظلم أن يستمرّ. فالظلم عبارة عن حركة ومسار على خلاف الطبيعة وعلى خلاف سُنن العالم البسيطة، ولذا ليس من شأنها الاستمرار والبقاء. كما أنّ الطرف الثالث (المتفرِّجين) أيضاً كذلك، أي أنّه لولا وجود الـ«المتفرّجين» اللّامبالين لن يبقى هناك ظلم في هذا العالم. فلو افترضنا أنّ شعباً ما وقع عليه الظلم، لكنّ الشعوب الأخرى، أو زعماء البلدان الأخرى، وأصحاب الشأن والمؤسّسات الإعلاميّة لم يسمحوا بذلك ولم يبقوا مكتوفي الأيدي، فإنّهم أيضاً يكونون قادرين على الحؤول دون وقوع الظلم. وعليه، فهذه الأصناف الثلاثة

---

(١) خطبة الجمعة، ٢١/ ٦/ ١٣٦٥ش - ١٢/ ٩/ ١٩٨٧ م.

جميعاً شريكة في ارتكاب هذا الجرم أمام الله تعالى، الظالم، والراضخ للظلم، والشاهد اللامبالي.

هذا هو الدرس الذي علّمنا إيّاه الإمام الحسين عليه السلام. ينبغي أن نبحث عن هذا الدرس في كلمات الحسين بن عليّ عليهما السلام. لا نطلق كلمات من عندنا. فمنذ بداية حركة الإمام من المدينة وحتّى آخر لحظة حيث عرجت روحه المقدّسة المطهّرة إلى أعلى علّيّين، صدرت عنه وصايا وتوجيهات كثيرة، كلّها ناظرة إلى هذا الموضوع.

عندما أراد الوليد بن عتبة - حاكم المدينة - أن يأخذ البيعة من الإمام. كان سلام الله عليه جالساً في المسجد يتحدّث مع عبد الله بن الزبير. عندما وصل الخبر، أنّ الوليد قد أرسل في طلبه، قال له عبد الله: ليس الآن وقت لقاء الوليد، ماذا ترون؟ لماذا استدعانا الوليد؟ أجابه الإمام: أظنّ أنّ معاوية قد مات، وأنّهم يدعوننا لأخذ البيعة. نهض الإمام مع مجموعة من شباب بني هاشم وبعض العساكر الشجعان، وأخذهم معه، حتّى لا يغدر به الوليد ويحاصره وحسب. قال الإمام لأصحابه إن حدث شيء ما داخل القصر وعلا صوتي ادخلوا وواجهوا[1]، وهذا يعني أنّ الإمام الحسين منذ اليوم الأوّل لم يرزح تحت الضغط، وقد قرّر منذ البداية أن يواجه ويعارض وأن يصرّ على الحدّ من هذا الظلم الذي كان يعمّ العالم يوماً بعد يوم، وبقي كذلك حتّى اللحظات الأخيرة من حياته. هذا هو الدرس

(١) الأخبار الطوال، ص٢٢٧، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٤٠، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٤: نصّ الرواية:... لمّا مات معاوية وذلك لنصف من شهر رجب سنة ستّين من الهجرة كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وكان على المدينة من قبل معاوية أن يأخذ الحسين عليه السلام بالبيعة له ولا يرخّص له في التأخير عن ذلك، فأنفذ الوليد إلى الحسين في الليل فاستدعاه فعرف الحسين عليه السلام الذي أراد، فدعا جماعة من مواليه وأمرهم بحمل السلاح، وقال لهم: "إنّ الوليد قد استدعاني في هذا الوقت، ولست آمن أن يكلّفني فيه أمراً لا أجيبه إليه، وهو غير مأمون، فكونوا معي فإذا دخلت إليه فاجلسوا على الباب، فإن سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه لتمنعوه عنّي"المترجم-.

العظيم الذي قدّمه لنا الإمام الحسين عليه السلام الكبير هو هذا[١].

عاقبة السكوت واللاّمبالاة في وجه السلطان الجائر

في منزل من المنازل التي مرّ بها، ألقى الإمام الحسين عليه السلام، خطاباً مزلزلاً ومدوّياً، قال فيه: «أيّها النّاس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلّاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله»[٢].

فالإمام عليه السلام يخطب في النّاس، الذين هم من جهة، أنصاره وأتباعه الذين سمعوا جيّداً منطق الحسين بن عليّ عليهما السلام ووعوا رأيه ليصبح أكثر رسوخاً في أذهانهم. ويخاطب، من جهة أخرى، أتباع الحرّ بن يزيد، الذين قلّما طرقت هذه الأمور أذهانهم (قلّما سمعوا بها)، ولم يدركوا بشكل صحيح لماذا جاء الإمام الحسين عليه السلام. كما إنّ الحرب الإعلاميّة والدعائية ضدّ الإمام الحسين عليه السلام كانت شديدة وقويّة. يقول: «**أيّها النّاس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلّاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول: «كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله»**»، أي أنّه كان حقّاً على الله وفرضاً أن يدخله في المكان نفسه الذي أدخل فيه ذلك الجائر، ويبتليه بعذاب الجائر نفسه، لأنّ الذي لا يكترث للظلم والفساد والانحراف، هو في الحقيقة قد أبعد نفسه عن الاتصال بخالق هذا الكون وبالقدرة الإلهيّة، وعن ذلك التيّار الذي أنيطت به مهمّة إحقاق الحقّ وتطبيق الأحكام الإلهيّة[٣].

---

(١) في خطبة الجمعة، طهران ١٣٦٥ش- ١٩٨٧ م.

(٢) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٠٤.

(٣) كلمته في ٤/ ٨/ ١٣٦١ش - ٢٦/ ١٠/ ١٩٨٣ م.

معاتبة سيّد الشهداء عليه السلام للنّخب الساكتة عن مواجهة الظلم

اخترت كلاماً للإمام الحسين عليه السلام قلّما يُقرأ أو يُبيَّن في المجالس، ولكن بما أنّه كلام طويل فقد اخترت فقرات منه.. هذا الحديث الطويل، الذي صدر عن الإمام الحسين عليه السلام في مكّة، وبحسب المصادر التي قُمت بمراجعتها لم أجد تحديداً صريحاً وواضحاً للأشخاص الذين كانوا هم المعنيّين بهذا الخطاب، وأين حصل هذا الأمر، إلّا أنّه يفهم من الحديث نفسه ومن القرائن المحيطة به أنّ الخطاب كان موجّهاً لمجموعة من نخبة المجتمع وصفوته، من العلماء والمحدّثين وأبناء الصحابة، وأصحاب النفوذ والشأن بين النّاس.

وقد خاطبهم الحسين بن عليّ عليهما السلام بنحو صريح وحاسم، وخلاصة خطابه عليه السلام: أنّ أساس شقاء النّاس وتعاستهم هو أنتم، فأنتم من لديكم الوعي المعرفة، وأنتم كان يمكنكم بثّ الوعي فيهم، أنتم من كان لديكم السلطة والنفوذ، وكان بإمكانكم إيجاد الحركة بين النّاس، أنتم من كنتم أصحاب الجاه وكان باستطاعتكم منع النظام المتجبّر والظالم من استغلال سلطتكم ووجاهتكم، أنتم من كانت لديكم القدرة على القيام والدفاع عن حقوق الضعفاء والمستضعفين والمحرومين، ولكنّكم لم تفعلوا ذلك كلّه.

واليوم، فإنّ هذا هو الخطاب الذي يُوجَّه إلى كلّ أصحاب النفوذ في العالم الإسلاميّ، هذا هذا هو الخطاب الذي توجّهه أمّتنا اليوم، وشعبنا، وثورتنا، إلى كلّ أصحاب الفكر النيّر في العالم، إلى السياسيّين، إلى رؤساء البلدان الإسلاميّة، إلى المفكّرين والمصلحين في البلدان الإسلاميّة، إلى علماء البلدان الإسلاميّة، إلى الشعراء، إلى الخطباء المسلمين، وهذه هي الرسالة التي نوجّهها، فهؤلاء الذين كان عليهم القيام والنهوض، لم يكن لديهم - مع بداية النهضة والثورة- الجرأة والاندفاع، ولم يكن جمهور النّاس وعامّتهم يدركون في بداية الأمر أنّه يمكن القيام والثورة. ففي البلدان الإسلاميّة وفي

العالم الإسلاميّ، القادة والمسؤولون والنخب والطليعة هم من يتحمّلون مسؤوليّة الحديث إلى النّاس ومخاطبتهم، وتشجيعهم، وأصحاب النفوذ وأهل القلم والبيان هم مَنْ يجب عليهم تعريف النّاس بوظائفهم.

وهذا ما تمّت تجربته فعلاً في بلادنا، حيث تصدّى الخطباء والعلماء وأهل القدوة والريادة، والقادة والمسؤولون، والمفكّرون الملتزمون والعلماء المجاهدون لإرشاد النّاس وتوعيتهم، حتّى إذا ما أصبح الشعب على دراية ومعرفة بالقضيّة، انتفض هذا السيل الهادر والمهيب، ولم يعد الوقوف بوجه الشعب مجدياً، إذ يمكن القضاء على ألف عالم ومفكّر، ولكن لا يمكن القضاء على ملايين النّاس، هنا انكسر الظلم، وهنا تحطّمت أركانه وتلاشت.

إذاً، إنّ تكليف استنهاض النّاس والسير بهذا السّيل المتدفّق واستثارة هذا البحر العظيم من القوى الإنسانيّة تقع على عاتق النخبة، وإنّ كلام الإمام الحسين عليه السلام في هذا الخطاب كان موجّهاً لتلك النخبة التي كانت في عصره، وهذه هي الكلمات التي قالها لهم.

من جملة كلماته التي وردت في هذا الخطاب العظيم، والذي نُقل في تحف العقول، هذا الكتاب الشريف: «**فأما حقّ الضعفاء فضيّعتم وأمّا حقَّكم بزعمكم فطلبتم**»[1].

أنتم تسعون وراء مقامكم، وراء حقوقكم، وامتيازاتكم ومصالحكم، فقد قصّرتم وتهاونتم لكي تنالوا ذلك الشيء الذي تظنّون أنّه حقّكم، لكنّكم غفلتم عن النّاس، ضيّعتم حقوق النّاس وتركتم النّاس المستضعفين والفقراء والمحرومين والمظلومين لشأنهم ولحالهم.

ويشير في مكان آخر من كلامه العجيب والمؤثّر جدّاً إلى ضعف هؤلاء النخب، أنّكم لستم مستعدّين للتنازل والتخلّي عن أيّ شيء، لا عن أرواحكم،

(١) تحف العقول، ص ٢٣٨.

ولا عن أموالكم، ولا عن وجاهتكم وماء وجهكم، لستم مستعدّين لاتخاذ أيّ موقف (ولو عبسة واحدة)، لستم مستعدّين لتلقّي صفعة واحدة في سبيل إحقاق حقوق الضعفاء، «**فلا مالاً بذلتموه**»، «**ولا نفساً خاطرتم بها للّذي خلقها، ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله**».

لستم مستعدّين لأن تغضبوا في وجه عشيرتكم وبطانتكم إنِ انحرفوا عن جادّة السبيل ولستم مستعدّين لأن تعادوهم في هذا السبيل.

ويشير الإمام الحسين عليه السلام إلى مدى اللامبالاة وعدم الاكتراث عند هؤلاء إزاء القيم الحقيقيّة ودين الله، أمّا فيما يتعلّق بأمورهم الشخصيّة فهم حاسمون متعصّبون.

«وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون».

ترون أنّ هؤلاء ينقضون العهود والمواثيق الإلهيّة، وأنتم ساكتون، لا تقولون شيئاً تخافون من إبداء آرائكم.

كيف يُنقض عهد الله؟: يُنقض عهد الله عندما يُجعل المتجبّرون على رأس الأعمال، ليضيّعوا حقوق النّاس، وهم أصلاً لا يعملون بوظائف الوالي والحاكم، ويرون أنفسهم أصحاب حقوق وامتيازات، ويعتبرون النّاس عبيداً وأرقّاء لهم. هكذا يُنقض عهد الله.

«وأنتم لبعض ذمم آبائكم تفزعون».

أنتم غير مبالين بالعهد الإلهيّ إلى الحدّ الذي لو وجدتم أن تعصبّكم الجاهليّ وعهود آبائكم وأجدادكم في معرض الزوال، لرفعتم أصواتكم وصيحاتكم.

«وذمّة رسول الله صلى الله عليه وآله محقورة والعمي والبُكم وأصحاب العاهة في المدائن مهملة».

لقد نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وتركوا النّاس المستضعفين العاجزين والفقراء لحالهم ومصيرهم، فلا أحد يدافع عن حقوقهم، أنتم تركتم كلّ

ذلك، ولا تقومون بأيّ عمل لأجلهم. وأنتم لا تكترثون لهذا الظلم الكبير الذي ينتشر في هذا العالم.

«لا ترحمون ولا في منزلتكم تعملون ولا من عمل فيها تعينون وبالإدهان والمصانعة عند الظَلمة تأمنون»[١].

لا ترحمون أنفسكم، ولا تعملون بتلك المنزلة وهذا المقام الذي أُعطي لكم، ولا تقدّمون يد العون لمن أراد النهوض والثورة. وتوقّعون على صحّة أعمالكم بتملّقكم للظَّلَمة ومماألأتكم لأصحاب السلطة والمال والمتغطرسين.

وهذا الوضع نفسه اليوم هو الوضع الذي عليه بعض رؤساء البلدان الإسلاميّة والبلدان غير الإسلاميّة المستضعفة في مقابل أمريكا، وفي مقابل القوى العظمى في هذا العالم، يعمل المتجبّرون على تخويفهم، من دون أن يكون هؤلاء على استعداد للإتيان بأيّ حركة في مواجهة الظلم والقهر الذي ابتُلي به هذا العالم، وكذلك الأمر بالنسبة للعلماء والمفكّرين والشعراء والخطباء في العالم الإسلاميّ الذين يرون هذا الوضع ويختمون على أفواههم بختم السكوت ولا يأتون بحركة، هذا الدرس خطاب لهم[٢].

هدف الثورة على الظالم

بعد هذه الكلمات[٣] الحاسمة والقاسية للإمام الحسين عليه السلام التي نزلت على رؤوس مخاطبيه كالسّوط، ليبيّن لهم أنّ هذه النهضة التي قام بها ليست حركة دنيويّة، وإنّما هي حركة من أجل هذه القيم، يترك الإمام

---

(١) تحف العقول، ص ٢٣٨.

(٢) في خطبة صلاة الجمعة ٢١/ ٦/ ١٣٦٥ش - ١٢/ ٩/ ١٩٨٧ م.

(٣) إشارة إلى حديث الإمام الخامنئيّ في الفقرة السابقة - لوم سيّد الشهداء للنخب الساكتة أمام الظلم - الوارد في الصفحات السابقة.

مخاطبتهم ويوجّه خطابه إلى السّماء واللّه:

«اللهمّ إنّك تعلم أنّه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فضول الحطام»، اللهمّ إنّك تعلم أنّ حركتنا وثورتنا ومواجهتنا للظلم والاستكبار ليست من أجل الوصول إلى مقام، وليست لأجل كسب شيء لأنفسنا، ولا لكي نكسب بضعة صباحات إضافيّة نتمتّع بها في حياتنا الزهيدة والسريعة الانقضاء، بل: «**ولكن لنُرِيَ المعالم من دينك، ونُظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك ويُعمل بفرائضك وسُننك وأحكامك**»[١].

هذا هو هدف الإمام الحسين عليه السلام. يريد أن يحكم الإسلام في المجتمعات كعلاج شاف للأمم، يمكنه أن يؤمّن العدالة والحياة الحقيقيّة والإنسانيّة، وأن يرتقي بالإنسان في مدارج الكمال المعنويّ، وأن يقلع أساس الظلم من تلك المجتمعات. هذا هو درس الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام، هذه رسالة الحسين عليه السلام وبلاغه. حقّاً وإنصافاً إنّ هذا الدرس هو من الدروس الحيّة، وإنّ العالم اليوم بحاجة إلى مثل هذا الدرس، ونحن أيضاً نحتاج إليه[٢].

حرمة القبول بالذلّة

لا ينبغي للمؤمن القبول بالذلّة بأيّ نحو كان، قال الإمام الحسين عليه السلام: «**هيهات منّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك**»[٣]. يأبى الله لنا الذلّ، لا يحقّ للمؤمن القبول بذلّ الاستسلام أمام الكفار، أو أن يرضخ لضغوطهم وإملاءاتهم. التنازل بالنسبة للمؤمن هو قبول بالذلّ، وهذا غير جائز[٤].

---

(١) تحف العقول، ص٢٣٩.

(٢) في خطبة الجمعة، طهران ٢١/ ٦/ ١٣٦٥ش- ١٢/ ٩/ ١٩٨٧ م.

(٣) الاحتجاج، ج٢، ص٢٤، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٨٣، وقد جاء هذا التعبير في مصادر أهل السنّة، تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص٢١٩.

(٤) كلمته في ١٠/ ٦/ ١٣٦٢ش- ١/ ٩/ ١٩٨٤ م.

عاشوراء، إقامة العدل والقضاء على الطواغيت

إنّ أفدح الأخطاء التي ارتكبتها البشريّة - على مرّ التاريخ - وأكثر زلّاتها وأكبر معاصيها كانت في مجال الحكم، وإنّ الزلّات والخطايا التي صدرت عن الحكام ومَنْ بيدهم زمام الأمور والمتسلّطين على مصائر الشعوب ممّا لا يمكن مقارنتها بأعظم الذنوب الصادرة عن بسطاء النّاس وعامّتهم. وفي هذا المجال، قلّما تحلّى الإنسان بالتعقّل والأخلاق والحكمة، وقلّما عمّ المنطق فيه قياساً إلى سائر ميادين الحياة البشريّة.

وإنّ الذين دفعوا ضريبة هذا التجرّد عن التعقّل والمنطق وهذا الفساد والانغماس في الخطيئة هم عموم النّاس، تارة أبناء المجتمع الواحد، وتارة أخرى شعوب مجتمعات متعدّدة. هذه الحكومات تشكّلت بادئ الأمر على هيئة استبداد فرديّ لتنتقل بعد ذلك إلى حالة الاستبداد الجماعيّ المنظّم بفعل التطوّر الحاصل في المجتمعات البشريّة، لهذا فإنّ أهمّ وظائف أنبياء الله تمثّلت في التصدّي للطواغيت ومواجهة أولئك الذين فرّطوا بالنعم الإلهيّة، ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾[1]، تتحدّث الآية القرآنيّة بهذا العبارات المؤثّرة التي تهزّ أعماق الإنسان عن هذه الحكومات الفاسدة التي سعت إلى أن يستشري الفساد، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾[2]، فهؤلاء بدّلوا النعم الإلهيّة والإنسانيّة والطبيعيّة كفراً، أدخلوا النّاس - الذين كان يُفترض بهم التنعّم بهذه النعم - النّار التي هم أوجدوها بكفرهم وطغيانهم وأحرقوهم فيها. وقد وقف الأنبياء عليهم السلام بوجه هؤلاء وحاربوهم، ولو أنّ الأنبياء لم يتصدّوا لمواجهتهم لما كان هناك من داعٍ لمحاربتهم

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٥.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٨-٢٩.

ومجادلتهم. يصرّح القرآن الكريم: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ**﴾[١].

فما أكثر الأنبياء الذين دخلوا مع المؤمنين من عباد الله ميادين القتال والحرب، فضدّ مَنْ كانت هذه الحروب؟ إنّ الطرف الآخر الذي استهدفه الأنبياء في مواجهتهم إنّما هو تلك الحكومات الفاسدة والقوى المخرّبة وطغاة التاريخ الذين أهلكوا البشريّة وجرّعوها الشقاء والتعاسة وأهلكوها.

فالأنبياء هم منقذو الإنسانيّة، ولذا ذكر القرآن الكريم إقامة العدل بوصفها واحدة من الأهداف الكبيرة التي تسعى إليها النبوّات والرسالات: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾[٢]، فإنزال الكتب وإرسال الرسل إنّما كانا في الأصل ليسود العدل والقسط البشريّة، واقتلاع مظاهر الظلم والغطرسة والفساد من الوجود.

وهكذا كانت حركة الإمام الحسين عليه السلام، فقد قال عليه السلام: «**إنّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمّة جدّي**»[٣].

وقال أيضا: «مَنْ رأى سلطاناً جائراً مستحلّاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنّة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، ثمّ لم يغيّر عليه بقول ولا فعل، كان حقّاً على الله أن يُدخله مدخله»[٤].

أي مَنْ رأى مصدراً للظلم والفساد ولم يكترث له، فعاقبته عند الله هي نفس عاقبة ذلك الظالم والمفسد فهو عند الله قد قرن مصيره بمصيرها. لقد

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٣) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩.

(٤) رجال النجاشيّ، ص١٤٤، تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٠٤.

صرّح الإمام الحسين عليه السلام بأنّه لم يخرج ظالماً ولا أشراً، ولقد كانت دعوة أهل العراق للإمام الحسين عليه السلام من أجل أن يقدم إليهم ويتولّى الحكم فيهم، وقد استجاب الإمام عليه السلام لدعوتهم هذه. ولم يكن الأمر بحيث إنّ الإمام الحسين لم يكن يفكّر بالحكومة، بل إنّ ما كان يصبو إليه عليه السلام هو القضاء على الحكومات الطاغوتيّة، سواء حصل ذلك عن طريق الإمساك بالحكم أم بالاستشهاد وبذل الدماء[١].

استمرار (خطّ) النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله

لقد كانت حركة الإمام الحسين عليه السلام من أجل إقامة الحقّ والعدل: «إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي محمّد أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»[٢].

ونقرأ في زيارة الأربعين التي هي من أهمّ الزيارات: «ومنح النصح وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة»[٣].

وكان عليه السلام قد ذكر في الطريق حديثاً مشهوراً عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: «أيّها النّاس، إنَّ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله قالَ: مَن رأى منكُم سُلطاناً جائِراً مُستحلّاً لحرم اللّه، ناكثاً لعهد اللّه، مُخالِفاً لسنّةِ رسولِ اللّه، يَعملُ في عبادِه بالإثمِ والعدوانِ، فلم يُغيّر عليهِ بقولٍ ولا بفعلٍ، كان حَقّاً على اللّه أن يُدخِله مَدخلَه»[٤].

إنّ كلمات ذلك الإمام العظيم كلّها وكذلك الروايات التي وصلت إلينا حوله عن المعصومين عليهم السلام، تبيّن هذه القضيّة بشكل واضح، وهي أنّ

---

(١) في لقاء المسؤولين والعاملين في النظام الإسلاميّ ٢٧/ ١٢/ ١٣٨٠ش - ١٧/ ٣/ ٢٠٠١ م.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩.

(٣) مصباح المتهجّد، ص٧٨٨، بحار الأنوار، ج٩٨، ص٣٣١.

(٤) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٠٤.

الهدف هو: إقامة الحقّ والعدل ودين الله وتمكين حكومة الشريعة وتحطيم بنيان الظلم والجور والطغيان. الهدف: استمرار طريق النبيّ ﷺ وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، حيث إنّه عليه السلام: «**يا وارث آدم صفوة الله.. يا وارث نوح نبيّ الله**»[١].

ومعلوم أيضاً لأيّ أمر جاء الأنبياء: ﴿**لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾[٢].

أي إقامة القسط والحقّ وإيجاد الحكومة والنظام الإسلاميّين[٣].

مواجهة الإمام عليه السلام لمحاولات تحويل الإمامة إلى سلطنة

من هو الذي وقف في الجهة المقابلة للحسين بن عليّ عليهما السلام ؟ إنّها تلك الحكومة الظالمة الفاسدة المنحرفة (المتجسّد عملها في): «**يعمل في عباد الله بالجور والعدوان**»[٤]، العلامة الأساسيّة لهذه الحكومة أنّها كانت تتعامل مع الأمّة الرّازحة تحت سلطتها ومع عباد الله وخلقه بالظلم والعدوان والغرور والتكبّر والأنانيّة والاستعباد، وهذه كانت هي الخصوصيّة البارزة لتلك الحكومة. فهي قد تنكّرت للمعنويّات والالتزام بحقوق النّاس. وكانت قد بدّلت الحكومة الإسلاميّة إلى تلك الحكومة الطاغوتيّة نفسها التي كانت سائدة في الأرض قبل الإسلام وخلال مختلف المراحل التاريخيّة، في حين أنّ من أبرز مزايا النظام الإسلاميّ هي الحكومة، وأنَّ من أبرز مظاهر المجتمع المثاليّ الذي يريد الإسلام تشييده هو شكل الحكومة وطبيعتها وسيرة

---

(١) كامل الزيارات، ص٣٧٥، بحار الأنوار، ج٩٨، ص١٩٩.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٣) في لقاء أئمّة الجمعة والجماعة ولقاء أعضاء مجتمع روحانيّون مبارز وجامعه روحانيّون مبارز في طهران، والشورى المساعدة لمؤسّسة التبليغات الإسلاميّة محرّم الحرام - ١١/ ٥/ ١٣٦٨ش- ٢/ ٨/ ١٩٩٠ م.

(٤) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٠٤، بحار الأنوار، ج٤، ص٣٨٢.

الحاكم. وكما عبّر شخصيّات بارزة في ذلك العصر أنّ سلاطين الجور كانوا قد بدّلوا الإمامة إلى سلطنة.

والإمامة إنّما تعني قيادة ركب الدّين والدّنيا، في قافلةٍ يسير فيها الجميع نحو هدف سام وباتجاه واحدٍ، وهناك شخص يرشد الباقين، فإن ضلَّ أحدهم عن مسار القافلة انتشله وأعاده إليها، وإذا تعب أحدهم حثّه على مواصلة الطريق، وإن جُرحت قدم واحد منهم داواها، وهو من يرفد الجميع بالعون المعنويّ والماديّ، وهذا ما يُسمّى في الإصطلاح الإسلاميّ باسم «الإمام»، أي إمام الهدى، وأمّا السلطنة فهي في الجهة المقابلة. والسلطنة التي بمعنى الملكيّة الموروثة هي أحد أشكال السلطنة، لذلك لا يطلق على بعض السلاطين في العالم اسم سلطان، لكن بواطنهم سلطويّة تختزن التسلّط على البشر، فأيّما شخص جاء وفي أيّة حقبة تاريخيّة وأيّاً كان اسمه، إذا ما قابل شعبه أو الشعوب الأخرى بمنطق القوّة فذاك هو ما يسمّى «سلطنة».

وفي عصر الإمام الحسين بدّل هؤلاء الإمامة الإسلاميّة إلى ذلك الشيء الذي: «يعمل في عباد الله بالجور والعدوان».

فكان أن انبرى الإمام الحسين لمقارعة هكذا وضع[1].

(١) في حشود غفيرة من زوّار الجبهة ومختلف شرائح الشعب في مقر "دوكوهة" ٩/ ١/ ١٣٨١ش- ٢٩/ ٣/ ٢٠٠١م.

الإصلاح

وجوب النهوض لإصلاح المجتمع الإسلاميّ

السؤال الذي يبقى هنا[1] هو: لو أنّ يداً أو حادثةً ما، أدّت إلى حرف ذلك القطار الّذي سيّره النبيّ الأكرم ﷺ عن مساره، فما هو التكليف؟ لو انحرف المجتمع الإسلاميّ وبلغ الانحراف درجةً خيف معها على أصل الإسلام والمعارف الإسلاميّة من انحرافها جميعاً، فما العمل؟

لدينا نوعان من الانحراف: تارة تفسد النّاس، لكن تبقى أحكام الإسلام سليمة، ومثل هذا الإنحراف يحصل في كثير من الأوقات. وتارة أخرى ينحرف النّاس ويفسد أيضاً الحكّام والعلماء ومبلّغو الدّين! وأساساً لا يصدر الدّين الصحيح عن الفاسدين، فهم يحرّفون القرآن والحقائق، ويبدّلون الحسنات سيّئات والسيّئات حسنات. ويصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، وينقلب الخطّ الذي رسمه الإسلام - في هذا الاتجاه مثلاً - ١٨٠ درجة! فلو ابتلي النظام والمجتمع الإسلاميّ بمثل هذا الأمر، فما هو التكليف حينئذٍ؟

وقد ظهر الانحراف في زمن الإمام الحسين عليه السلام وكانت الفرصة مناسبة للقيام، لذا كان على الحسين عليه السلام أن يثور، فالانحراف قد ظهر، لأنّ الشخص الّذي تولّى السلطة بعد معاوية لم يراع الإسلام حتّى في الظاهر،

---

(١) مع الإشارة هنا إلى أنّ النبيّ الأكرم ﷺ قد أقام النظام الإسلاميّ وكان هدفه إيصال الناس إلى الكمال ومقام عبوديّة الله تعالى، وهنا يطرح سؤال، وهذا القسم من البحث هو في صدد بيان السؤال والإجابة عليه.

فكان منغمساً في الخمر والمجون والفحشاء وينتهك الحرمات علناً[١]، ويطعن في القرآن وينشد الشعر المخالف له المنكرة علناً[٢]، ويجاهر بمخالفة الإسلام! غاية الأمر لكونه كان يسمّى رئيس المسلمين، فهو لم يُرد أن يقضي على اسم الإسلام. لكنّه لم يكن عاملاً بالإسلام، ولا محبّاً له ولا مهتمّاً به، بل كان بعمله هذا كنبع الماء الآسن (العفن)، الذي يرشح منه الماء باستمرار ويسيل خارجاً ويفسد ما حوله، فوجوده بمثابة الماء الآسن الذي سيعمّ المجتمع الإسلاميّ! هكذا يكون الحاكم الفاسد، فلأنّ الحاكم يتربّع على رأس القمّة، فما يصدر عنه لا يبقى في مكانه - خلافاً للناس العاديّين - بل يسيل ليملأ ما حوله ويغمر الهرم بأسره!

كلّ واحد من النّاس العاديّين لديه موقعه الخاصّ به. وكلّما ارتفع الإنسان أكثر كلّما ارتفعت منزلته في المجتمع، وكان فساده وضرره أكثر. وأمّا فساد النّاس العاديّين فمن الممكن أن يقتصر على أنفسهم، أو على البعض ممّن حولهم، لكن لو فسد من هو قائم على رأس السلطة فإنّ فساده ينتشر ويعمّ كلّ الأرض، كذلك لو صلُح، فإنّ صلاحه ينتشر ويعمّ الدنيا.

فشخصٌ بهذا الفساد أصبح، بعد معاوية، خليفة للمسلمين! خليفة رسول الله ﷺ، فهل هناك انحراف أكبر من هذا؟![٣].

وجوب الثورة عند ظهور فساد جذريّ

قال الإمام الحسين عليه السلام في خطبته الأولى بعد وصوله إلى كربلاء: «قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون»، ثمّ قال: «ألا ترون إلى الحقّ لا يُعمل به وإلى

---

(١) أنساب الأشراف، ج٥، ص٢٨٦-٢٨٨، مروج الذهب، ج٣، ص٦٧-٦٨.

(٢) روضة الواعظين، ص١٩١، تذكرة الخواص، ص٢٦٠-٢٦١.

(٣) من خطبة الجمعة في طهران، عاشوراء ١٤١٦هـ- ١٩/ ٣/ ١٣٧٤ش.

الباطل لا يُتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقّاً..»[١] إلى آخر الخطبة.

الخلاصة: أنّ الإمام الحسين قد نهض للقيام بواجب. وهذا الواجب متعلّق بآحاد المسلمين فرداً فرداً على طول التاريخ. وهذا الواجب هو بمعنى أنّه كلّما واجه نظام المجتمع الإسلاميّ فسادٌ بنيويٌّ وخيف على أحكام الإسلام من أن تتبدّل كلّيّاً فعلى كلّ مسلم النهوض[٢].

انحراف المجتمع الإسلاميّ، أرضيّة موجبة للثورة

السؤال الذي يبقى هنا[٣] هو: لو أنّ يداً أو حادثةً ما، أدّت إلى حرف ذلك القطار الّذي سيّره النبيّ الأكرم ﷺ عن مساره، فما هو التكليف؟ لو انحرف المجتمع الإسلاميّ وبلغ الانحراف درجةً خيف معها على أصل الإسلام والمعارف الإسلاميّة من انحرافها جميعاً، فما العمل؟

لدينا نوعان من الانحراف: تارة تفسد النّاس، لكن تبقى أحكام الإسلام سليمة، ومثل هذا الانحراف يحصل في كثير من الأوقات. وتارة أخرى ينحرف النّاس ويفسد أيضاً الحكّام والعلماء ومبلّغو الدّين! وأساساً لا يصدر الدّين الصحيح عن الفاسدين، فهم يحرّفون القرآن والحقائق، ويبدّلون الحسنات سيّئات والسيّئات حسنات. ويصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، وينقلب الخطّ الذي رسمه الإسلام - في هذا الاتجاه مثلاً - ١٨٠ درجة! فلو ابتلي النظام والمجتمع الإسلاميّ بمثل هذا الأمر، فما هو التكليف حينئذٍ؟

وقد ظهر الانحراف في زمن الإمام الحسين عليه السلام وكانت الفرصة

---

(١) اللهوف، ص٤٨، بحار الأنوار، ج٤٤، ص١٩٢، الطبريّ مع اختلاف بسيط-، ج٤، ص٣٠٥.

(٢) في خطبة الجمعة في طهران عاشوراء ١٤١٦-، ١٩/ ٣/ ١٣٧٤ ش- ٩/ ٦/ ١٩٩٥ م.

(٣) مع الإشارة هنا إلى أنّ النبيّ الأكرم ﷺ قد أقام النظام الإسلاميّ وكان هدفه إيصال الناس إلى الكمال ومقام عبوديّة الله تعالى، وهنا يطرح سؤال، وهذا القسم من البحث هو في صدد بيان السؤال والإجابة عليه.

مناسبة للقيام، لذا كان على الحسين عليه السلام أن يثور، فالانحراف قد ظهر، لأنّ الشخص الّذي تولّى السلطة بعد معاوية لم يراع الإسلام حتّى في الظاهر، فكان منغمساً في الخمر والمجون والفحشاء وينتهك الحرمات علناً[1]، وكان ينشد الشعر المخالف للقرآن والدّين علناً ويجاهر بمخالفة للإسلام! غاية الأمر لكونه كان يسمّى رئيس المسلمين، فهو لم يُرد أن يقضي على اسم الإسلام. لكنّه لم يكن عاملاً بالإسلام، ولا محبّاً له ولا مهتمّاً به، بل كان بعمله هذا كنبع الماء الآسن (العفن)، الذي يرشح منه الماء باستمرار ويسيل خارجاً ويفسد ما حوله، فوجوده بمثابة الماء الآسن الذي سيعمّ المجتمع الإسلاميّ! هكذا يكون الحاكم الفاسد، فلأنّ الحاكم يتربّع على رأس القمّة، فما يصدر عنه لا يبقى في مكانه - خلافاً للناس العاديّين - بل يسيل ليملأ ما حوله ويغمر الهرم بأسره!

كلّ واحد من النّاس العاديّين لديه موقعه الخاصّ به. وكلّما ارتفع الإنسان أكثر، كلّما ارتفعت منزلته في المجتمع، وكان فساده وضرره أكثر. وأمّا فساد النّاس العاديّين فمن الممكن أن يقتصر على أنفسهم، أو على البعض ممّن حولهم، لكن لو فسد من هو قائم على رأس السلطة فإنّ فساده ينتشر ويعمّ كلّ الأرض، كذلك لو صلُح، فإنّ صلاحه ينتشر ويعمّ الدنيا.

فشخصٌ بهذا الفساد أصبح، بعد معاوية، خليفة للمسلمين! خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، فهل هناك انحراف أكبر من هذا؟![2].

وظيفة المجتمع في مقابل الانحراف عن النظام الإسلاميّ

عن أبي عبد الله الحسين عليه السلام في وصيّته لأخيه محمّد بن الحنفيّة: «وإنّي

---

(١) أنساب الأشراف، ج٥، ص٢٨٦-٢٨٨، مروج الذهب، ج٣، ص٦٧-٦٨.

(٢) من خطبة الجمعة في طهران، عاشوراء ١٤١٦هـ - ١٩/ ٣/ ١٣٧٤ش.

لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي ﷺ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي»[١]، وعنه عليه السلام أيضاً أنّه قال: «من كان باذلاً فينا مهجته وموطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنّني راحل مصبحاً إن شاء الله»[٢].

يبيّن عليه السلام في الجملتين الأُوليَيْن أهداف التحرّك، وهو الإصلاح في أمّة النبيّ ﷺ، أي إصلاح وتصحيح الحركة المنحرفة التي أصابت المجتمع الإسلاميّ بالاعوجاج، كحال القطار الذي سيّره رسول الله ﷺ على سِكَّته في اتجاه، ولكنّ بعضهم بخيانتهم وجهلهم وأغراضهم قد غيّروا مساره كلّيّاً، في البداية غيّروا مساره بضع درجات ثمّ زادوا ذلك أكثر فأكثر حتّى استطاعوا أن يبدّلوا مساره كلّيّاً.

أراد الإمام الحسين عليه السلام بحركته العظيمة وبخروجه من المدينة أن يقول: «**إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي**». لقد طرح قضيّة إصلاح وتصحيح اتجاه الحركة وتثبيت النظام الإسلاميّ واستحكامه، أي وضع تلك القيم الإسلاميّة نفسها في موضعها تحت راية الحكومة الإلهيّة، والتي هي بذاتها إحدى القيم الإسلاميّة.

لم يكن هدف الإمام الحسين عليه السلام هو تشكيل الحكومة حتماً، بحيث إذا علم أنّ ذلك لا يمكن أن يتحقّق صرف نظره عن التحرّك، ولم يكن هدفه أيضاً هو الشهادة حتماً، بحيث لو فُرض أنّه حدث خلال مسيره أمور تحول دون شهادته، لم يقبل، بل قال: ينبغي أن استشهد. لا! لم يكن أيّ من هذين الأمرين هدفاً للإمام الحسين عليه السلام، وإنّما كان الهدف شيئاً آخر.

كان الهدف أن يبيّن للعالم في عصره، للمسلمين الذين تناسوا

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩.

(٢) اللهوف ص٣٨، نزهة الناظر، ص٨٦.

الحقائق الإسلاميّة، وللأجيال القادمة، أنّه كلّما وُجدت ظروفٌ كهذه، فهذه هي الوظيفة. فكلّما كان النظام والتشكيلات الاجتماعيّة ونمط الحياة على هذه الشاكلة - التي شاهدتموها والتي بيَّنها الإمام عليه السلام في سائر كلماته - فوظيفتكم هي هذا العمل الذي قمت أنا به، الخروج، والثورة، وعدم الاستكانة، وعدم السعي وراء المزيد من الأصحاب كمقدّمة لازمة للقيام بالعمل، بل عليكم أن تضعوا أرواحكم على أكفّكم والمضيّ قدماً. والنتيجة في مثل هذه الثورة، بحسب الظاهر هي إمّا نيل الحكومة، أو أنّها ستُهزم- ظاهريّاً- أو أنّها ستُفضي إلى الشهادة، والتي هي نصرٌ أيضاً.

الأصل والأساس هو إيصال هذه الرسالة. وبيان التكليف بصورة (عمليّة) تجسيديّة. إذاً، نهضة الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام نهضة ملهمة ملقّنة للدروس، وحركة مجسّدة للتكليف والوظيفة الإسلاميّة. هذه الثورة كانت لبيان هذه المقاصد[1].

الإصلاح في المجتمع الإسلاميّ، الواجب الكبير

الهدف عبارة عن: إعادة المجتمع الإسلاميّ إلى الخطّ الصحيح. متى يكون هذا؟ يكون عندما يتبدّل الطريق ويعمّ الجهل والظلم والاستبداد، وعندما تؤدّي خيانة أشخاص إلى انحراف المسلمين، وتوفّر الأرضيّة والظروف لذلك.

إذاً يمكن الاستنتاج والقول: إنّ الإمام الحسين عليه السلام نهض ليقوم بذلك الواجب الكبير الذي هو عبارة عن تجديد بناء النظام والمجتمع الإسلاميّ، أو النهوض في مواجهة الانحرافات الكبيرة في المجتمع الإسلاميّ[2].

---

(١) في ملتقى أئمّة الجمعة والجماعات لمحافظة طهران الفيلق الأوّل ثار الله- ١/ ٦/ ١٣٦٦ش- ٢٣/ ٨/ ١٩٨٨م.

(٢) خطبة الجمعة في طهران عاشوراء ١٤١٦-، ١٩/ ٣/ ١٣٧٤ش- ٩/ ٦/ ١٩٩٥ م.

بيان الأرضيّة المناسبة للثورة الإصلاحيّة

لم ينحرف المجتمع الإسلاميّ في زمن النبيّ الأعظم ﷺ وزمن أمير المؤمنين ﷺ بذلك الشكل، وفي زمان الإمام الحسن ﷺ عندما كان معاوية على رأس السلطة، وبالرغم من أنّ علامات الانحراف قد ظهرت، لكنّه آنذاك لم يصل إلى الحدّ الذي يُخاف منه على التبديل الكلّيّ للإسلام. لكنَّ هذا الانحراف قد ظهر في زمان الإمام الحسين ﷺ وكانت الفرصة متاحة أمام الإمام ﷺ، فكان على الإمام الحسين ﷺ أن يقوم: إذ قد وُجد الانحراف.

وكانت الأرضيّة ممهّدة أيضاً. ما معنى أنّ الأرضيّة ممهّدة؟ هل معناه عدم وجود الخطر؟ كلّا، فالخطر موجود. فهل من الممكن أن يبقى من هو على رأس السلطة ساكتاً أمام معارضيه ولا يخلق لهم المخاطر؟ إذاً هي الحرب. تريد أن تنزله عن عرش السلطة وهو يجلس متفرّجاً عليك! من الطبيعيّ أنّه سيسدّد لك الضربات أيضا. إذاً الخطر موجود.

فعندما نقول: الوقت مناسب، فمعناه أنّ الظروف في المجتمع الإسلاميّ مواتية لأن يُبلّغ الإمام الحسين ﷺ نداءه إلى النّاس في ذلك العصر وعلى مرّ التاريخ.

فلو أراد الإمام الحسين ﷺ الثورة في عصر معاوية لطُمس نداؤه، وذلك لأنّ الحكم والسياسات كانت بشكل لا يمكن للناس فيها سماع حقّانيّة قول الحقّ، لذلك لم يُقدم الإمام الحسين ﷺ على شيء ولم يثُر أيّام خلافة معاوية، وكان إماماً لمدّة ١٠ سنوات[1]، لأنّ الظروف لم تكن آنذاك مؤاتية. وقبله ﷺ، كان الإمام الحسن ﷺ موجوداً، ولم يثُر أيضاً، لنفس

(١) دلائل الإمامة، ص١٧٧.

السبب، أي عدم مؤاتاة الظروف. ليس لأنّ الإمامين الحسنين عليهما السلام لم يكونا - آنذاك - أهلاً لهذا العمل.

فلا فرق بين الإمام الحسن عليه السلام وبين الإمام الحسين عليه السلام، ولا بين الإمام الحسين عليه السلام وبين الإمام السجّاد عليه السلام، ولا بين الإمام الحسين عليه السلام وبين الإمام عليّ الهادي عليه السلام أو الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام. بالطبع، إنّ الإمام الحسين عليه السلام حيث أنّه قام بهذا الجهاد فله من هذه الناحية مقام أرفع ممّن لم يقم به، وأمّا من ناحية الإمامة فالكلّ متساوون، ولو وقع هذا الأمر في عصر أيّ واحد منهم لثار وأدّى تلك الوظيفة ونال تلك المنزلة.

فالإمام الحسين عليه السلام أصبح في مواجهة هكذا انحراف، والظروف كانت مواتية له عليه السلام، فلا محيص من تأدية هذا التكليف، ولا عذر.

لهذا فعندما قال له عبد الله بن جعفر ومحمّد بن الحنفيّة وعبد الله بن عبّاس- الّذين كانوا من العالمين بالدّين والعارفين بأحكامه، ولم يكونوا من عامّة النّاس -: إنّ تحرّكك فيه خطر فلا تذهب[1]، أرادوا أن يقولوا: إنّ التكليف قد سقط عنك لوجود الخطر في طريق أدائه. فهؤلاء لم يدركوا أنّ هذا التكليف ليس بالتكليف الّذي يسقط بوجود الخطر، لأنّ الخطر موجود في مثل هذا التكليف دوماً، فهل يمكن لإنسان أن يثور ضدّ هكذا سلطة مقتدرة في الظاهر ولا يواجه خطراً؟! فهذا التكليف دائماً يستبطن الخطر. وهو التكليف ذاته الذي قام به الإمام الخميني رحمه الله. كانوا يقولون له (رضوان الله عليه) إنّ الخطر هو في

(١) رسالة عبد الله بن جعفر إلى أبي عبد الله عليه السلام، الفتوح، ج٥، ص٦٧، الإرشاد، ج٢، ص٦٨-٦٩. بحار الأنوار، ج٤٤، ٣٦٦ و ص٣٢٦-٣٢٧. حديث محمّد بن الحنفيّة مع أبي عبد الله عليه السلام، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٦-١٧. اللهوف، ص٣٩-٤٠. حديث عبد الله بن عبّاس مع أبي عبد الله عليه السلام، الطبقات الكبرى، الخامسة، ١، ص٤٥٠، دلائل الإمامة، ص١٨١-١٨٢، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٦٤-٣٦٥.

مواجهتكم للشاه، أَفلم يكن الإمام لا يعلم بالخطر؟ ألم يكن الإمام يعلم أنّ جهاز الأمن البهلويّ كان يعتقل الإنسان ويعذّبه ويقتل أصدقاءه وينفيهم؟ ألم يكن الإمام يعلم كلّ ذلك؟!(١).

الإصلاح في كلام الإمام الحسين عليه السلام

في مجال الإصلاح، رُوى عن الإمام الحسين عليه السلام عبارتان:

«خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي»(٢).

«لنُرِيَ المعالم من دينك ونُظهر الإصلاح في بلادك»(٣).

أي أريد الإصلاح في الأمّة الإسلاميّة والبلاد الإسلاميّة. كان هذا شعار الإمام الحسين عليه السلام(٤).

الإصلاح، صعب لكنّه ممكن

هل ينبغي أن يحلّ اليأس عندما ينحرف القطار عن سكّته؟ هل بالإمكان إعادته إلى خطّه؟ الجواب: نعم! وإن كان أمراً صعباً حيث إنّه يحتاج إلى حركة كحركته ومسيره في المرّة الأولى، وقد كانت حركة الإمام الحسين عليه السلام كهذه الحركة، حيث أعاد الإمام عليه السلام من خلال ثورته ونهضته قطار دين الإسلام والمجتمع الإسلاميّ- الذي انحرف عن مساره وكان يتّجه نحو الماديّة والفساد التامّ - إلى حالته الأولى(٥).

---

(١) في خطبة الجمعة، طهران، عاشوراء١٤١٦-، ١٩/ ٣/ ١٣٧٤ش- ٩/ ٦/ ١٩٩٥ م.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩.

(٣) تحف العقول، ص٣٢٩، بحار الأنوار، ج٩٧، ص٨١.

(٤) خطبة الجمعة ٢٦/ ١/ ١٣٧٩ش- ١٥/ ٤/ ٢٠٠١ م.

(٥) في حشد من عناصر ومنتسبي فيلق عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ٢٣/ ٥/ ١٣٦٧ش- ١٤/ ٨/ ١٩٨٩م.

نتيجة النهوض والثورة الإصلاحيّة

أحياناً تتوفّر الظروف (للقيام والثورة)، وأحياناً لا تكون كذلك. لكنّها في زمن الإمام الحسين عليه السلام كانت مهيّأة، وفي زماننا كانت أيضاً مهيّأة، حيث قام الإمام الخميني بهذا العمل نفسه. كان الهدف واحداً. بالنتيجة، عندما يسعى الإنسان وراء هذا الهدف ويريد القيام والثورة ضدّ الحكومة الباطلة ومركز الفساد، إنّما ذلك لكي يعيد الإسلام والمجتمع والنظام الإسلاميّ إلى مركزه الصحيح، ففي زمن قد يتمّ النهوض والثورة وينتهي الأمر بالحكومة، وهذا أحد أشكاله، فقد حصل بحمد الله في زماننا على هذا النحو، وفي وقت آخر قد لا تنتهي الثورة بالحكومة، بل بالشهادة، ففي هذه الصورة الثانية ألا تكون الثورة واجبة؟ أو لا يكون فيها فائدة إن كانت نتيجتها الشهادة؟ كلّا، إنّ الثورة واجبة وإن انتهت بالشهادة، فلهذه الحركة ولهذه النهضة فائدة في كلا الصورتين - سواء انتهت بالشهادة أم بالحكومة- غاية الأمر أنّ لكلّ منهما نوعَ فائدة مختلفة.

يجب القيام والتحرّك. هذا هو العمل الذي قام به الإمام الحسين عليه السلام، لكن في النتيجة كان الإمام عليه السلام أوّل من قام بهذه الحركة. وهي لم تحدث قبله، إذ في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله وزمن أمير المؤمنين عليه السلام لم يحدث مثل ذلك الانحراف، ولو أنّه كان قد وقع انحراف في بعض الموارد، إلّا أنّه لم تكن الأرضيّة المناسبة متوفّرة ولم يكن المقتضي موجوداً. وقد توفّرا في زمن الإمام الحسين عليه السلام. هذا هو أصل القضيّة فيما يتعلّق بأصل النهضة الحسينيّة[1].

---

(١) في حشد من عناصر ومنتسبي فيلق عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ٢٣/ ٥/ ١٣٦٧ش- ١٤/ ٨/ ١٩٨٩م.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

روح ثورة عاشوراء

«أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»[1].

إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما روح هذه الحركة وحقيقتها. فالإمام علي عليه السلام يقول: أريد أن أنهى عن ذلك الفساد والمنكر وأدعو النّاس إلى معروف الإسلام وآمرهم به. هذه هي حقيقة حركة الإمام الحسين عليه السلام[2].

الإصلاح في إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يقول الإمام الحسين عليه السلام: «**أريد أن آمر بالمعروف**»، بمعنى أنّه لا إمكانيّة لتحقّق هذا الإصلاح[3] بدون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسير بسيرة النبيّ صلى الله عليه وآله، أي السير بهذه السيرة نفسها وفي هذا المسير ذاته[4].

ثورة أبي عبد الله عليه السلام مصداق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الثورة أو التغيير على سلطان الظلم والجور، تلك السلطة التي تنشر الفساد والجهاز الذي يسوق النّاس نحو الخسران والفناء الماديّ

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩.

(٢) كلمته في ٤/ ٨/ ١٣٦١ش - ٢٦/ ١٠/ ١٩٨٣ م.

(٣) إشارة إلى قسم من الرواية التي تقول:" إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي محمّد أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر.." بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩.

(٤) في مؤتمر أئمّة الجمعة والجماعات، طهران، ١/ ٦/ ١٣٦٦ش - ٢٣/ ٨/ ١٩٨٨ م.

والمعنويّ، تلك الثورة والتغيير كانت السرّ في حركة الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام، والذي هو بالتأكيد مصداق للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث ينبغي الاهتمام بهذه النقاط في باب التكليف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١].

يمكننا تلخيص القضيّة بهذه الصورة، وهي: أنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت لتأدية واجب عظيم هو إعادة تجديد بناء النظام والمجتمع الإسلاميّ، أو الثورة ضدّ الانحرافات الخطيرة في المجتمع الإسلاميّ. وهذا ما يتمّ من خلال الثورة وعن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل إنّه مصداق عظيم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والثورة قد تكون نتيجتها إقامة الحكومة، وقد تكون نتيجتها الشهادة، وقد كان الإمام الحسين عليه السلام مستعدّاً لكلتا النتيجتين.

«وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي»[٢].

إذاً، عنوان هذا العمل هو الإصلاح ذاته، أريد الإصلاح.

هذا الإصلاح هو عن طريق الخروج، أي النهوض والثورة.

وهذا ما ذكره الإمام عليه السلام في وصيّته تلك، هو تقريباً صرّح بهذا المعنى. فقال أوّلاً: أريد الخروج والقيام، وهذا القيام قيام من أجل الإصلاح، وليس قياماً من أجل الحكومة حتماً، كما أنّه ليس قياماً من أجل أن أسقط شهيداً حتماً، بل إنّما أريد الإصلاح.

وبالطبع فإنّ الإصلاح ليس بالأمر الهيّن، فقد تكون الظروف، حيناً، بصورة بحيث يصل الإنسان إلى سدّة الحكم ويمسك بزمام السلطة، وحيناً آخر لا يمكنه القيام بهذا العمل ويُستشهد. فالثورة في

(١) في لقاء العلماء وطلّاب العلوم الدينيّة، ٧/ ٥/ ١٣٧١ ش- ٢٩/ ٧/ ١٩٩٢ م.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩.

كلتا الحالتين تكون لأجل الإصلاح. ثمّ يقول عليه السلام: «**أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي**»[١]. وهذا الإصلاح هو مصداق للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٢].

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩.

(٢) خطبة الجمعة في طهران عاشوراء ١٤١٦-، ١٩/ ٣/ ١٣٧٤ش- ٩/ ٦/ ١٩٩٥ م.

وجوب النهوض لحفظ الإسلام

إحياء سنّة النبيّ ﷺ والنظام الإسلاميّ

عندما كان الإمام عليه السلام بمكّة، بعث كتابين، الأوّل إلى رؤساء البصرة والثاني إلى رؤساء الكوفة، جاء في الكتاب الذي بعث به الإمام عليه السلام إلى رؤساء البصرة: «وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه، فإنّ السنّة قد أُميتت والبدعة قد أُحييت، فإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أَهدِكم سبيل الرشاد»[1].

أي: أريد أن أزيل البدعة وأحيي السنّة، فإنّ السنّة قد أميتت والبدعة قد أحييت! فإن تسمعوا قولي وتتّبعوني فطريق الحقّ معي، أي: أريد القيام بهذا التكليف العظيم الذي هو إحياء الإسلام وإحياء سنّة النبيّ ﷺ والنظام الإسلاميّ[2].

النهوض لرفع الخطر عن الدّين

إنّ الشيء الذي دفع الإمام الحسين عليه السلام إلى هذا الجهاد الصعب أنّه كان يشعر أنّ دين الله في خطر. كلّما شعر الإنسان أنّ الدّين بحاجة إليه، إلى روحه، إلى ماله، إلى قوّته، إلى لسانه وإلى مشاعره، وجب عليه أن يقدّمها[3].

---

(١) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٢٦٦.

(٢) في خطبة الجمعة في طهران عاشوراء ١٤١٦-، ١٩/ ٣/ ١٣٧٤ش- ٩/ ٦/ ١٩٩٥ م.

(٣) في جموع عناصر فيلق فجر١٩-شيراز، ٢٤/ ٥/ ١٣٦٧ش- ١٥/ ٨/ ١٩٨٩ م.

تحمّل الأخطار في سبيل مواجهة أعداء الإسلام

أحد دروس عاشوراء، أنّه كلّما شعر الإنسان بأنّ الإسلام في خطر، وكلّما شعر أنّ العدوّ قد حاك للإسلام مخطّطاً خطيراً، يجب النزول إلى الميدان، ينبغي أن يعدّ نفسه لتقبّل الأخطار. مهما كان هذا الخطر، حتّى القتل! لأنّ هذا القتل شهادة في سبيل الله وافتخار، هو موجب لبياض الوجه وأساس للسعادة، وهو أساس السعادة[١].

وجوب السعي لإبقاء الإسلام حيّاً

اختيار الزمان، بمعنى أنّه في أيّ زمان يكون الفداء والتضحية؟ وأين؟ وفي أيّ ميدان؟ هذا مهمّ جدّاً. لقد اختار الحسين بن عليّ عليه السلام الزمان بدقّة، فتحرّك تحديداً عند ذلك الحدّ الفاصل بين موت الإسلام وحياته. فإلى أحد جانبي هذا الحدّ كان موت الإسلام، وإلى الجانب الآخر كانت حياة الإسلام، والإمام الحسين عليه السلام بحركته هذه، أبقى الإسلام حيّاً. هذه هي المسألة، وهي أنّه من أجل بقاء الإسلام حيّاً، على الإنسان أن يستفيد من كلّ الإمكانات في سبيل التضحية، من أجل التضحية والفداء في حدّه الأعلى[٢].

لقد تغيّرت أوضاع الإسلام - خلال تلك السنوات الخمسين أو الستّين بعد وفاة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله - ووصلت إلى ذلك الوضع بحيث إنّهم قيّدوا فلذة كبد رسول الله وقتلوه، قتلوا وأسروا أبناء وفلذات كبد النبيّ صلى الله عليه وآله علناً وعلى الملأ، أمثال الإمام الحسين عليه السلام وزينب الكبرى عليها السلام. فلو لم يقم الإمام الحسين عليه السلام بهذا العمل، لم تكن ستمضي برهة وجيزة من الزمن حتّى يزول الإسلام من أساسه. فالإمام الحسين عليه السلام كان - في الواقع - بمثابة ذلك

---

(١) في حشد من لواء " فتح ٤٨"، ٢٧/ ٥/ ١٣٦٧ ش - ١٨/ ٨/ ١٩٨٩ م.

(٢) في مقر كربلاء في الأهواز، ٢/ ٦/ ١٣٦٧ ش - ٢٤/ ٨/ ١٩٨٩ م.

الوتد العظيم الذي حفظ بدمائه هذه الخيمة التي ضربها الطوفان. وهذا العمل ليس أكبر ملحمة في تاريخ الإسلام وحسب، بل هو أكبر ملحمة في التاريخ قاطبة[١].

ضرورة إنقاذ المجتمع من الضلال والجهل

في إحدى زيارات الإمام الحسين عليه السلام التي تُقرأ في الأربعين توجد جملة ذات معنى عظيم وهي: «**وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة**»[٢].

إنّ فلسفة تضحية الإمام الحسين عليه السلام مكنوزة في هذه الجملة. فالزائر لله تعالى يخاطب الله تعالى: عبدك هذا، حسينك، قد أراق دمه لينقذ النّاس من الجهالة «**وحيرة الضلالة**». انظروا إلى هذه الجملة كم هي معبّرة وذات مفهوم راقٍ ومتقدّم[٣].

إنّ ثورة الإمام الحسين هي لإزالة سحب الجهل والغفلة من آفاق الحياة الإنسانيّة ليبثّ العلم فيها، وليرشدها إلى الهداية الحقيقيّة[٤].

من الذي يمكنه مدّ يد النجاة إلى البشريّة؟ أولئك اللاهثون وراء المطامع والأهواء والشهوات ليس بمقدورهم ذلك، فهم أنفسهم ضالّون. ليس بمقدور أسرى الأنانيّة والإنيّة إنقاذ البشر، ينبغي أن يكون هناك شخص يقوم بإنقاذهم، أو أن يدركهم لطف من الله، لتقوى إرادتهم ويتمكّنوا

---

(١) في نهاية درس البحث الخارج، ٢/ ١٢/ ١٣٨٠ش- ٢١/ ٢/ ٢٠٠٢ م.

(٢) تهذيب الأحكام، ج٤، ص١١٣، بحار الأنوار، ج٩٨، ص٣٣١.

(٣) في لقاء الأبناء المتفوّقين شاهد، لجرحى مدن طهران مشهد ومحافظة كردستان، وحشد من تلامذة طهران، وأساتذة مراكز التعليم، وجمع من رياضيّي ومسؤولي مؤسّسة التربية البدنيّة، ٢١/ ٦/ ١٣٦٩ش- ١٩٩١١/ ٩/ ١٢م.

(٤) مراسم الذكرى السابعة عشرة لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره، ١٤/ ٣/ ١٣٨٥ش- ٤/ ٦/ ٢٠٠٧ م.

من إنقاذ أنفسهم. وذلك الشخص الذي يمكنه إنقاذهم هو من لديه سوابق وتاريخ، يمكنه التضحية والإيثار، وترك الشهوات، والخروج من الأنانيّة وحبّ الذات والأنا والحرص والطمع والهوى والحسد والبخل وبقيّة الآفّات التي يقع الإنسان العاديّ فيها، حتّى يتمكّن من إضاءة شمعة تنير دروب البشريّة[١].

هذا واحد من أبعاد القضيّة، وهو مرتبط بصاحب النهضة نفسه، أي الحسين بن عليّ عليه السلام. وأمّا الجانب الآخر للقضيّة فيرد في الفقرة التالية التي تقول: «**وقد توازر عليه من غرّته الدنيا وباع حظّه بالأرذل الأدنى**»[٢]، الواقفون على الجهة المقابلة، هم الذين غرّهم خداع الدنيا والمطامع الماديّة والزخارف والشهوات والأهواء النفسيّة، فباعوا حظّهم - الذي جعله الله تعالى لكلّ إنسان في خلقته العظيمة - من السعادة الدنيويّة والأخرويّة بالأرذل الأدنى. وهذه هي خلاصة النهضة الحسينيّة[٣].

التصدّي لفصل الدّين عن السياسة

إنّ لشهر محرّم الحرام أهمّيّة، كمناسبة لبداية العام الهجريّ، منذ بزوغ شمس الإسلام وحتّى اليوم. وقد تضاعفت هذه الأهمّيّة بعد فاجعة عاشوراء. وكلّما توغّلنا في التاريخ نجد حوادث مختلفة وقضايا متعدّدة، قد زادت من أهمّيّة هذا الشهر وضاعفت منها.

إنّ مسألة الهجرة في تاريخ الإسلام وهجرة النبيّ صلى الله عليه وآله مهمّة جدّاً وذات

---

(١) في لقاء الأبناء المتفوّقين شاهد، وجرحى مدن طهران مشهد ومحافظة كردستان، وحشد من تلامذة طهران، وأساتذة مراكز التعليم، وجمع من رياضيّي ومسؤولي مؤسّسة التربية البدنيّة، ٢١/ ٦/ ١٣٦٩ش- ١٢/ ٩/ ١٩٩١ م.

(٢) تهذيب الأحكام، ج٦، ص١١٣، بحار الأنوار، ج٩٨، ص٣٣١.

(٣) في خطبة الجمعة، طهران، ٢٦/ ١/ ١٣٧٩ش- ١٥/ ٤/ ٢٠٠١ م.

مغزى. فقد بدأت مع هجرة النبيّ ﷺ، أي المرحلة الثانية (للدعوة)، مرحلة أساسيّة جدّاً ومهمّة للدعوة الإسلاميّة. تبرز أهمّيّة هجرة النبيّ ﷺ في أنّ دين الله ليس فقط إيماناً قلبيّاً، وليس سلسلة أعمال فرديّة كالصلاة والصوم والذكر والعبادة وحسب، دين الله هو الإطار لحياة النّاس وشكل النظام الاجتماعيّ للمؤمنين. إنّ تحقّق الدّين والانتصار الحقيقيّ لأيّ دين هو بمعنى أن يتمكّن من إدارة مجتمع ومجموعة من النّاس.

الدّين ينظّم الحياة: الحياة الاجتماعيّة، الاقتصاديّة، الحرب والسلم، العلاقات الفرديّة، العلاقة ببقيّة الشعوب، ويُطلقَ على مجموع هذه الأمور «السياسة». عندما يأخذ دينٌ بزمام أمور المجتمع، أي أن يتمكّن من توجيه وتنظيم سياسة حياة النّاس، سواء في الأمور الفرديّة أم الأمور الاجتماعيّة، عندها يكون قد وصل هذا الدّين إلى غرضه وإلى مرحلة تحقّقه الواقعيّ. ثمّ تأتي مرحلة أن يوصل أفرادَ المؤمنين إلى كمالهم، في ظلّ هذا النظام الاجتماعيّ من خلال التربية والتهذيب التي أعدّها للإنسان.

وعليه فإذا تمّت البعثة ولم تتحقّق الهجرة، بالتأكيد لن يُكتب النجاح لدين الإسلام.

الإسلام دين لا تنفصل فيه الديانة عن السياسة، وهذا ما صرّح به كلّ العلماء والمفكّرين والمصلحين وأهل البصيرة طوال التاريخ.

كذلك الأمر في المسيحيّة ودين اليهود، فالديانة فيهما توأم للسياسة ومصاحبة لها، إلّا أنّ هذين الدّينيْن قد حُرِّفا. لكنّ الإسلام الذي هو دين متكامل، متى يمكنه أن يطبّق ويتحقّق في ساحة حياة النّاس؟ عندما تتحقّق الهجرة.

إذاً، الهجرة هي الجزء الأخير للعلّة التامّة وهي متمّم للبعثة. (لو لم تحصل الهجرة)، فإنّ البعثة لن يكون لها فائدة، وإمّا أنّها لم يكن من الممكن

أن تصل إلى مقاصدها إلّا بعد قرون متمادية من خلال حركة أو ثورة، هذه هي أهمّيّة الهجرة.

وهنا تظهر أهمّيّة مسألة عاشوراء والبعد الآخر لشهر محرّم، وذلك لأنّ هجرة الحسين بن عليّ عليه السلام من المدينة إلى مكّة، ثمّ من مكّة إلى كربلاء، وتلك الثورة الملحميّة وتلك الحادثة المفجعة التي جاءت مباشرة كتتمة لهجرة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله. إذ كانت المسألة في زمن الإمام الحسين عليه السلام: أن تمّ الفصل بين الدّين والسياسة.

ففي زمن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن هناك من يلاحق النّاس ويضعهم تحت الضغوط بسبب إيمانهم، أو لمنعهم من الصلاة إذا كانوا يصلّون. ففي المرحلة التي نهض فيها الإمام الحسين عليه السلام لم يكن الإيمان بالله والاعتقاد بأصول الدّين وبقيّة الأعمال العباديّة والفرديّة في خطر وتهديد، نعم كان هناك خطر على المدى البعيد، إلّا أنّه في ذلك الوقت كانت النّاس تؤمن بالإسلام بحرّيّة وتمارس أعمالها العباديّة والفرديّة بحرّيّة أيضاً، كالأعمال العباديّة التي يمارسها (عامّة النّاس) اليوم في مختلف البلدان الإسلاميّة تقريباً. الذي كان في معرض الخطر والتهديد في عصر الإمام الحسين عليه السلام هو حاكميّة الإسلام، الحكومة السياسيّة للإسلام، الحكم طبقاً للأحكام الإسلاميّة، حيث جُعلت على رأس الجهاز الحاكم والسلطة السياسيّة مجموعة لا تستلهم من الإسلام والمبادئ الإلهيّة، وإنّما تعمل بوحي من أهوائها وشهواتها وأغراضها الخبيثة. فهؤلاء هم من واجههم الإمام عليه السلام، وعليه فيمكن لنا أن ندّعي، بنحو قاطع، أنّ حركة الإمام الحسين عليه السلام كانت في الحقيقة حركة دامية ضدّ فصل الدّين عن السياسة. وما جرى في عاشوراء والواقعة الدامية التي حدثت عام ٦١ للهجرة، لم تكن سوى تتمّة لهجرة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، غاية الأمر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أراد تأسيس هذا

النظـام والإمـام الحسـين عليه السلام أراد إصـلاحه، بعـد أن انحـرف عـن مسـاره الأساس على يد حكومة بني أميّة وأعداء الدّين.

هـذا هـو التفسـير الصـحيح لحادثـة عاشـوراء والفهـم الصـحيح لمسـألة الهجرة[1].

(١) في خطبة الجمعة، طهران، ٦/ ٦/ ١٣٦٦ش- ٢٨/ ٨/ ١٩٨٨ م.

الجهاد والمقاومة

المقاومة، درس الحسين بن عليّ عليه السلام للمسلمين

لدينا أكبر وأقوى مظهر للنشاط وعدم الرضوخ للتعب، وهو تلك المقاومة في الجبهات، وهذا النصر نفسه، وهذا الدرس نفسه الذي تعلّمه المسلمون من الحسين بن عليّ عليه السلام.

أنتم تعلمون أنّ هذه الليلة أوّل ليالي محرّم، وغداً بداية الأيّام التي كانت بالنسبة إلى شعبنا على الدوام خلال القرون المتمادية الدافع والمحفّز للمقاومة والصمود[1].

تبلور الفكر الثوريّ والجهاديّ عند الشيعة ببركة عاشوراء

إنّ حادثة القتل حادثة مريرة في العادة. وإنّ مقتل القادة والمسؤولين عادة ما يبعث على اليأس، هكذا هو الوضع بين كلّ شعوب العالم. لكن ما أروع الفكر الشيعيّ الثوريّ المتمرّد، ومدرسة الفداء والجهاد والشهادة التي استطاعت أن تصنع من هذه الحادثة الأليمة نشاطاً وابتهاجاً وعشقاً في قلوب الشيعة، وأن تفجّر من حادثة وواقعة - هي بالنسبة للجميع حادثة موجبة لليأس - نبعاً فوّاراً بالأمل انسابَ إلى قلوب الموالين والمحبّين.

لقد ضحّى الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه بأنفسهم، في مرحلة حالكة شديدة الظلمة مليئة بالقمع لا يمكن تحمّلها في مواجهة سلطة متجبّرة. فأمّا

---

(١) في مراسم العرض الصباحيّ، قصر الشهيد مطهّري، ٤/ ٧/ ١٣٦٣ش- ٢٦/ ٩/ ١٩٨٥ م.

العيون التي لا ترى سوى الظاهر، فهي ترى أنّ الحسين عليه السلام والحالة الحسينيّة قد انتهيا، إلّا أنّه عليه السلام بقي كبذرة ترقد تحت التراب لتنبت من جديد وتؤتي ثمارها، وكشتلة متفتّحة تموج بها الحياة، نمت من فوق الأرض، لتعطي الحياة والنشاط لكلّ الشعوب المسلمة، وتعطي الأمل لكلّ أحرار العالم، تقدّم الدروس، وتضخّ الحماس، ورفض الخمول، والجهاد والشهادة، وفي النهاية تمنحهم النصر[١].

الجهاد وعدم الخوف من الغربة والوحدة

لقد ثار هذا النور المشعّ وحيداً في صحراء لا متناهية من الظلمة. وحتّى لو بقي الإمام الحسين عليه السلام وحيداً في ذلك اليوم وتركه هؤلاء الـ٧٢ نفراً لم يكن مستعدّاً لترك ثورته. هذا واحد من الدروس. نتعلّم من الحسين بن عليّ عليهما السلام أنّه لا ينبغي ترك الجهاد في سبيل الله بسبب الضغوط والغربة، في أيّ ظرف كان. إنّ الدرس الذي يقدّمه لنا الحسين بن عليّ عليهما السلام هو أنّه لا تترك هذه الفريضة وهذا الواجب بسبب الوحدة والقلّة والغربة وندرة الأصحاب ووجود المعارضين ووجود العدوّ. هذا واحد من دروس الحسين بن عليّ عليهما السلام. لقد قاتل الإمام الحسين عليه السلام في غربة تامّة، ولم يكن أحدٌ ليجرؤ - خلال سنوات متمادية - حتّى على ذرف الدموع على الحسين بن عليّ عليهما السلام. كان الإمام الحسين عليه السلام يعرف ذلك، لكنّ الغربة لم تستطع أن تلقي الرعب والوحشة في قلبه[٢].

مواجهة العدوّ الخارجيّ والوهن الداخليّ

الإسلام ظاهرة، وهو كغيره من الظواهر يتعرّض للتهديدات والأخطار، ويمتلك الوسيلة لمواجهتها. وقد جعل الله تعالى هذه الوسيلة في الإسلام

(١) في حشد من فيلق الإمام الرضا عليه السلام، ٢٣/ ٥/ ١٣٦٧ش - ١٤/ ٨/ ١٩٨٩ م.
(٢) في جمع من فيلق فجر١٩ - شيراز، ٢٤/ ٥/ ١٣٦٧ش - ١٥/ ٨/ ١٩٨٩ م.

نفسه. لكن ما هو هذا الخطر؟ ثمّة خطران أساسيّان يواجهان الإسلام:

أحدهما، خطر العدوّ الخارجيّ، والآخر الانحطاط والاضمحلال الداخليّ.

عندما يتحدّث أسدُ ميدان الحرب، أمير المؤمنين عليه السلام، يتوقّع المرء أن يكون نصف حديثه أو أكثره مرتبطاً بالجهاد والحرب والبطولة والشجاعة، إلّا أنّه عندما نرجع إلى خطب وكلمات نهج البلاغة نرى أن أغلب أحاديثه ووصاياه هي حول التقوى والزهد والأخلاق وذمّ الدنيا وتعظيم القيم المعنويّة والإنسانيّة الرفيعة.

عاشوراء، جهاد العدوّ والنفس

ما حدث مع الإمام الحسين عليه السلام هو جمع لهذين الأمرين، بمعنى أنّنا نجد أنّ الجهاد ضدّ العدوّ وجهاد النفس يتجلّيان في أعلى مراتبهما في واقعة عاشوراء، أي أنّ الله تعالى يعلم أنّ هذه الحادثة ستقع وينبغي أن يظهر نموذجها الرفيع، ويصبح هذا النموذج السامي قدوة، كما يحدث - مثلاً - في البلدان مع الأبطال الذين يبرزون في لعبة رياضيّة، ويصبح البطل محفّزاً لغيره في هذه الرياضة. بالطبع هذا مثال لتقريب الفكرة إلى الأذهان.

إنّ واقعة عاشوراء هي عبارة عن حركة جهاديّة عظيمة على كلتا الجبهتين:

- جبهة مواجهة العدوّ الخارجيّ الذي هو جهاز الخلافة الفاسد نفسه، وطلّاب الدنيا الملحقين بجهاز السلطة، تلك السلطة التي استخدمها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لنجاة البشريّة، لكنّ هؤلاء قد اختاروا السير عكس الاتجاه الذي رسمه الإسلام والنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله.

- والجبهة الداخليّة، حيث كانت حركة المجتمع في ذلك اليوم أيضاً

تسير بشكل عامّ نحو الفساد الداخليّ.

النقطة الثانية والّتي هي الأهمّ برأيي: أنّه قد مرّت فترة من الزمن، طُويت خلاله مرحلة الشدائد الأولى للدعوة. فحصلت الفتوحات، وتمّ الحصول على الغنائم، واتّسع نطاق الدولة، وتمّ القضاء على أعداء الخارج هنا وهناك، وتدفّقت الغنائم الوفيرة إلى داخل البلاد، واستغنت جماعة من النّاس وأضحت من أصحاب الأموال وطبقة الأثرياء، أي أنّه بعد أن حارب الإسلام هذه الطبقة وقلعها، عادت وتشكّلت طبقة جديدة منها في العالم الإسلاميّ. وتورّطت عناصر باسم الإسلام وبعناوين إسلاميّة- ابن فلان الصحابيّ، أو ابن فلان تابع النبيّ ﷺ، وابن فلانٍ قرابة النبيّ ﷺ في أعمال غير لائقة وغير مناسبة. وقد سجّل التاريخ أسماء بعض هؤلاء. فقد ظهر أشخاص وضعوا لبناتهم مهوراً فاحشة - مليون درهم - بدل مهر السنّة (٤٨٠ درهماً) الّذي اعتمده النبيّ الأكرم ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام ومسلمو صدر الإسلام[١]. من هم هؤلاء؟ هم أولاد صحابة أجلّاء كمصعب بن الزبير[٢]، وأمثاله[٣].

عندما نتحدّث عن فساد السلطة من الداخل، فإنّ هذا معناه: ظهور أفراد في المجتمع ينقلون أمراضهم الأخلاقيّة المعدية والمهلكة- الدنيويّة

---

(١) ذكرت الكتب الروائيّة أنّ معدل مهر السنّة تراوح بين ٤٠٠ و٥٠٠ درهماً: ٤٠٠ درهماً-، المصنّف، عبد الرزاق الصنعانيّ، ج٦، ص١٧٧، مسند أحمد، ج٢، ص٣٦٧-٣٦٨ ٤٢٠ درهماً-، أنساب الأشراف، ج١، ص٤٤٥، الطبقات الكبرى، ج٨، ص١٢٨، المستدرك، ج٢، ص١٧٦، بحار الأنوار، ج١٦، ص١٠-١٢، ٥٠٠ درهماً- مسند أحمد، ج٦، ص٩٣-٩٤، الكافي، ج٥، ص٣٧٥-٣٧٧، بحار الأنوار، ج٩٠، ص١٧٠.

(٢) المعارف، ص٢٣٣، المبسوط ج٤، ص٢٧٢.

(٣) المصنّف، ابن أبي شيبة الكوفيّ، ج٣، ص٣٢٠، الطبقات الكبرى، ج٦، ص١٤٣، السنن الكبرى، ج٧، ص٢٣٣.

والشهوانيّة - تدريجيّاً إلى باقي أفراد المجتمع.

في مثل هذه الحالة، من هو صاحب القلب والمبادرة والرويّة الذي سيمضي لمواجهة جهاز يزيد بن معاوية؟! هل كان سيحدث مثل هذا الأمر حينها؟ ومن ذاك الّذي كان يفكّر بمواجهة الجهاز اليزيديّ الظالم والمفسد في ذلك الزمان؟

في مثل تلك الأوضاع حدثت النهضة الحسينيّة العظيمة، الّتي واجهت العدوّ مثلما واجهت روحيّة السعي للراحة والرضا بالفساد المهلك المنتشرة بين المسلمين العاديّين وعامّتهم. وهذا أمرٌ مهمٌّ.

بمعنى أنّ الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام قام بعمل أيقظ وجدان النّاس. لذلك نرى أنّه بعد شهادته، توالت الثورات الإسلاميّة الواحدة تلو الأخرى، وهي وإن تمّ القضاء عليها، إلّا أنّه ليس مهمّاً أن يجري إخماد هذه الثورات من قبل العدوّ، وإن كان ذلك مرّاً بالطبع، ولكن ما هو أكثر مرارة منه أن يصل المجتمع إلى حدّ لا يُظهر فيه أيّة ردّة فعل مقابل العدوّ، هذا هو الخطر الكبير.

لقد قام الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام بعملٍ أدّى إلى ظهور أشخاصٍ في مختلف عهود الحكومات الطاغوتيّة التي تلت - بالرغم من أنّهم كانوا أكثر بعداً عن عصر صدر الإسلام - ولكن كانت لديهم الإرادة والعزم على مواجهة أجهزة الظلم والفساد أكثر من عصر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

كان يتمّ القضاء عليهم جميعاً. بدءاً من نهضة أهل المدينة المعروفة بواقعة «الحرّة»[1]، إلى الأحداث اللّاحقة وقضايا التوّابين[2] والمختار[3]

---

(١) مروج الذهب، ج٣، ص٦٨-٧١، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١١-١٢١.

(٢) الطبقات الكبرى، الخامسة ١، ص٥٠٩-٥١٠، تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٤٥١-٤٧٠.

(٣) الأخبار الطوال، ص٢٨٨-٣٠٨، الأمالي، الطوسي، ص٢٤٠-٢٤٤، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٣٢-٣٣٨.

إلى عصر بني أميّة[١] وبني العبّاس[٢]، التي حصلت وقامت داخل المجتمعات بشكل متتالٍ. فمن هو الّذي أوجد مثل هذه الثورات؟ إنّه الحسين بن عليّ عليه السلام. فلو لم يثر الإمام الحسين عليه السلام هل كانت لتتبدّل روحيّة الخمول والتهرّب من المسؤوليّة إلى روحيّة مواجهةٍ للظلم وتحمّل المسؤوليّة؟ لماذا نقول إنّ روحيّة تحمّل المسؤوليّة كانت قد ماتت؟ السبب في ذلك أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد ذهب إلى مكّة تاركاً المدينة، الّتي كانت مهد الرجال العظام في الإسلام. فأبناء كبار الصحابة: كابن عبّاس، وابن الزبير، وابن عمر وأبناء خلفاء صدر الإسلام كانوا قد اجتمعوا كلّهم في المدينة، ولم يكن أيّ واحد منهم حاضراً أو مستعدّاً لمساعدة الإمام الحسين عليه السلام في هذه الحركة الثوريّة والتاريخيّة. فإلى ما قبل ثورة الإمام الحسين عليه السلام، لم يكن الخواصّ على استعداد للنهوض والحركة، لكن بعد ثورة الإمام عليه السلام عادت الحياة إلى هذه الروحيّة.

حماية الدّين على جبهتي الداخل والخارج

هذا درس كبير، يجب علينا معرفته إلى جانب الدروس الأخرى في واقعة كربلاء، وتظهر عظمة هذه الواقعة من خلال ما قيل في الإمام الحسين عليه السلام: «**الموعود بشهادته قبل استهلاله وولادته**»[٣]. وهو ذلك العظيم الذي «**بكته**

(١) مقاتل الطالبيّين، ص١٤٥-١٥٠، الإرشاد، ج٢، ص١٧١-١٧٤، بحار الأنوار، ج٣١، ص٥٣٠.

(٢) تاريخ اليعقوبيّ، ج٢، ص٤٩٧، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٨٦، مقاتل الطالبيّين، ص٤٣٨-٤٤١، تجارب الأمم، ج٤، ص١١٤-١١٨، البدء والتاريخ، ج٦، ص١٠٩، المنتظم، ج٧، ص٢١٣، الكامل في التاريخ ج٦، ص٣١٠، وجزء٧، ص٢٣٨، البداية والنهاية، ج١١، ص٩-١٠، تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص١٤.

(٣) مصباح المتهجّد، ص٨٢٦، بحار الأنوار، ج٩٨، ص٣٤٧.

السماء ومن فيها والأرض ومن عليها»[١] قبل ولادته، إنّه الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام الذي يُقام له هذا العزاء الكبير ونحن نعظّمه، وحسب تعبير الزيارة «بكته السماء» لهذا السبب. لذلك عندما ننظر اليوم نرى أن الإسلام قد أحياه الحسين بن عليّ عليه السلام، وهو يعدّ حارس الإسلام. وتعبير «**حارس**» هنا تعبير مناسب. فالحراسة تكون عندما يوجد العدوّ. واليوم هذان العدوّان موجودان: العدوّ الخارجيّ التآكل الداخليّ. فلا يُظنّ أنّ العدوّ في سبات! ولا يظنّ أنّ العدوّ قد انصرف عن عداوته! فإنّ مثل هذا الشيء غير ممكن[٢].

عدم المساومة مع العدوّ

لقد أنجز الإمام الحسين عليه السلام هذا الدفاع في ظروف كان وحيداً في عالم ذلك اليوم الكبير. لم يرافقه كبار بني هاشم وقريش وأبناء صحابة الاسلام. ففي مكّة كان عبد الله بن الزبير، وفي المدينة كان عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر، وهم أشخاص كانت تلهج الألسنة بأسمائهم في صدر الإسلام، وكانت أنظار عامّة النّاس متّجهة إليهم، آمال النّاس معلّقة عليهم، لكنّهم لم يكونوا مستعدّين للوقوف والصمود في مواجهة الظلم اليزيديّ، ولم يكونوا على استعداد لمساعدة فلذة كبد رسول الله صلى الله عليه وآله. فهل كان الإمام الحسين عليه السلام لينتظر مساعدة هؤلاء؟ وهل كان سيتراجع لو لم يقدّموا له العون؟ لم يتوقف عندما علم أثناء الطريق أنّ أهل الكوفة لن يرسلوا له أيّ عون، وعلم أنّه سيبقى وحيداً لم يتخلَّ عن الطريق[٣]. عندما استُشهد جميع

---

(١) المصدر السابق.

(٢) في جموع من عناصر الحرس الثوريّ والقوّات العسكريّة بمناسبة ٣ شعبان، ٦/ ١١/ ١٣٧١ش- ٢٦/ ١/ ١٩٩٣م.

(٣) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٢٩٩-٣٠١، الإرشاد، ج٢، ص٧٣-٧٦، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٧٢-٣٧٤.

أصحابه في صحراء كربلاء، وبقي وحيداً مع جمع من النساء والأطفال، لم يتخلَّ عن الدفاع والجهاد[١]. بل حتّى لو استسلم الإمام الحسين عليه السلام في اللحظة الأخيرة، كان اليزيديّون على استعداد لمساومته، لكنّه لم يخضع، هذا درس كبير[٢].

رفع مستوى الجهوزيّة والاستعداد

فيما يرتبط بالأحداث التي حدثت ليلة عاشوراء، فقد ورد أنّ السيّدة زينب الكبرى عليها السلام أقبلت نحو خيمة الإمام الحسين عليه السلام، فسمعت الإمام الحسين عليه السلام يرتجز أبياتاً من الشعر، وكانت تلك الأبيات تدلّ على أنّ الإمام ينعى نفسه، ويحكي عن دنوّ أجله. فلمّا سمعته الحوراء زينب بكت وخنقتها العبرة، فحدّثها الإمام عليه السلام بحديث.

وقد ورد في هذا الخبر المرويّ نفسه أنّ الإمام عليه السلام كان جالساً يصلح سيفه ويعالجه ويعدّه للقتال[٣]. هذا الإعداد والاستعداد إنّما يعني أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يقل: إنّنا راحلون غداً لا محالة، وزيادة ساعة على هذا الأجل أو نقصان ساعة، سوف لن تؤثّر شيئاً، فلا ضير في أن يكون هذا السيف غير قاطع قليلاً أو غير حادّ. كلّا! بل سيف الفارس والمقاتل ينبغي أن يكون دائماً قاطعاً وصارماً، وهذا يعني أنّ المقاتل يجب عليه دائماً أن يحرص على أن يكون استعداده للحرب والقتال استعداداً في أعلى الدرجات[٤].

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص٤٧.

(٢) في حشد من فيلق عاشوراء، ٢٨/ ٥/ ١٣٦٧ش- ١٩/ ٨/ ١٩٨٩ م.

(٣) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣١٨-٣١٩، روضة الواعظين، ص١٨٤، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١-٢.

(٤) في المراسم الصباحيّة للحرس، مقرّ ثكنة قصر فيروزة، ٢/ ٧/ ١٣٦٤ش- ٢٤/ ٩/ ١٩٨٦ م.

الإيمان، منبع المقاومة

أين هو ذلك المسلم الذي نفذَت آيات القرآن الكريم إلى عمق ذرّات روحه آية آية؟ أينما وجدنا مسلماً كهذا فهو مقاوم بهذا النحو. ونجد مثاله الأعلى والتامّ في كربلاء، أولئك الـ ٧٢ شخصاً استشهاديّاً كبيراً، أولئك الفولاذيّون الذين ترشح منهم المعنويّات. ومن أمثلته أيضاً هذا الشعب. فنحن إذا لم نكن مثل أولئك، فإنّنا على طريقهم ونهجهم. في طريق التكامل معهم والتماثل بهم[1].

المقاومة الواعية، علاج الحرص على السلطة لدى أصحاب القوّة والنفوذ

الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام هو تلك الشخصيّة التي بإمكانها أن تحلّ مشاكل هذا الشعب وكلّ الشعوب الإسلاميّة وكلّ النّاس المجاهدين والثائرين في سائر أنحاء العالم، وذلك من خلال التعرّف إلى هذه الشخصيّة وتعظيمها وفهم وإدراك نهجها في الحياة، هذا هو اعتقادنا.

إنّ المشاكل الرئيسة في العالم ناشئة من أصحاب المطامع والنفوذ، وإنّ مشاكل اليوم التي تصدح بها أبواق هؤلاء المتسلّطين أنفسهم ويصوّرونها بأنّها أخطر مشاكل تواجهنا - كالتضخّم والبطالة العالميّين، والمجاعة العالميّة - هي كلّها مشاكل من (الدرجة الثانية). وأمّا المشكلة من الدرجة الأولى فهي وجود القطبيّة غير العادلة بالنسبة إلى شعوب العالم، هذه هي أكبر مشكلة، لا أعني القطبيّة الاقتصاديّة التي هي معلولة بالنتيجة، بل القطبيّة السياسيّة. يوجد في هذا العالم مجموعة قويّة متسلّطة، طمّاعة، في

---

(١) في لقاء جرحى الثورة الإسلاميّة المشاركين في اللقاء العام في كلّ أنحاء البلاد، ٢/ ٧/ ١٣٦٢ ش- ٢٤/ ٩/ ١٩٨٤ م.

يدها كلّ شيء ولديها كلّ الصلاحيات ويمكنها فعل أيّ شيء، وجماعة أخرى تتلقّى العصيَّ والسياط، نزل عليها الجور والبلاء. هذه هي أعقد مشكلة في العالم. وكلّ شيء فهو ناشئ من هذه. إنّ المقاومة بإمكانها أن تُركِع السلطات الاستكباريّة، مثلما استطاعت مقاومة الإمام (رضوان الله عليه) ومقاومة الشعب الإيرانيّ قبل الثورة وبعد انتصار الثورة أن تركع هذه القوى الاستكبارية، هذه المقاومة الواعية هي درس للجميع.

الإمام الحسين عليه السلام المعلّم الكبير للمقاومة الواعية

إنّ الحسين بن عليّ عليهما السلام هو المعلّم الكبير لهذه المقاومة الواعية. فأينما وصلنا ومهما قمنا بأعمالٍ نبقَ نشعر بالحقارة غير العادية أمام الحسين بن علي عليهما السلام وأصحابه، نعم، لذلك الشخص العظيم مقامه ومكانته، وكذلك الأمر في مقابل أصحابه. فلو أردنا أن نشرح كيف استطاعت هذه الشخصيّات العظيمة والإلهيّة أن تعلّم درس المقاومة والصمود لاحتاج الأمر إلى بحث تفصيليّ موسّع[1].

خاصيّة مقاومة الإمام الحسين عليه السلام

في زمن يزيد بالطبع بدأت مقاومة الإمام الحسين عليه السلام منذ ما قبل عشر سنوات خلت، وبمعنى آخر منذ ما قبل ٢٠ سنة، منذ شهادة أمير المؤمنين عليه السلام التي سبقت عاشوراء بـ٢٠ سنة[2]، وشهادة الإمام الحسن عليه السلام التي حدثت قبل عاشوراء

---

(١) في مراسم ذكرى ولادة الحسين بن عليّ عليهما السلام، ويوم الحرس في مؤسّسة رئاسة الجمهوريّة، ٢٦/ ٢/ ١٣٦٢ش- ١٦/ ٥/ ١٩٨٤ م.

(٢) انت شهادة أمير المؤمنين عليهما السلام سنة ٤٠ للهجرة: تاريخ الطبريّ، ج٤، ص١٠٩-١١٠، الكافي، ج١، ص٤٥٢، بحار الأنوار، ج٤٢، ص٢١٣، كانت شهادة الإمام الحسين عليه السلام عام ٦١ للهجرة: تاريخ الخليفة، ص١٤٣، الكافي، ج١، ص٤٦٣، بحار الأنوار، ج٤٤، ص١٩٩.

بـ١٠ سنوات[١]، لكلّ منهما خصوصيّات. لتلك الأزمنة المختلفة خصوصيّات وميزات لسنا الآن بصدد الحديث عنها، لكنّ لهذه المقاومة بداية متقدّمة، وعندما جاء يزيد إلى الحكم اتّخذت المقاومة هذا الشكل، بتلك الحدّة، والصراحة، وعدم المحاباة. والإمام الحسين عليه السلام هو معلّم المقاومة (الواعية). ما قام به الإمام الحسين عليه السلام هو المقاومة فقط. ففي المدينة تلقّى ضغوطاً وتهديدات لكي يبايع، لكنّه لم يفعل، وكانت الضغوط شديدة جدّاً[٢].

كان يزيد حاكماً سكّيراً لا يعقل، وقحاً متعدّياً، وعلى استعداد لفعل أيّ شيء[٣]، أي أنّه على استعداد لقتل الإمام وإبادة أبنائه وكلّ عائلته ومن يتّصل به، بسبب هذه القضيّة! أَوَلَمْ يفعل ذلك؟!.

قالوا للإمام في المدينة: بايع، فأجابهم لن أبايع، ذهب إلى مكّة، وفي مكّة تابعوا ضغوطهم عليه. رأوا أنّهم في مكّة يكملون مهمّتهم ويجبرونه على القبول بخطّتهم وتنتهي القضيّة[٤]، لكنّه لم يرد أن يتمّ هذا العمل.

تحرّك الإمام للقيام بثورة، مهما كانت النتيجة التي اختتمت بها هذه الثورة.

توجّه إلى الكوفة وفي الطريق إليها واجه الضغوط وقاومها، ثمّ عادوا

---

(١) تاريخ شهادة الإمام الحسين عليه السلام خلافي، وقد ذكرت تواريخ عدّة لها في الأعوام: ٤٧/ ٤٨/ ٤٩/ ٥٠/ ٥١ هـ ق: أنساب الأشراف، ج٣، ص٦٤، الكافي ج١، ص٤٦١-٤٦٢، المعجم الكبير، ج٣، ص٢٥، العدد القويّة، ص٣٥٠-٣٥١، بحار الأنوار، ج٤٤، ص١٦٠, ١٤٦, ١٤٠.

(٢) الفتوح، ج٥، ص١٠-١٨، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٤٠، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٤-٣٢٥.

(٣) أنساب الأشراف، ج٥، ص٢٨٦، مروج الذهب، ج٣، ص٦٧.

(٤) تاريخ اليعقوبيّ، ج٢، ص٢٤٨-٢٤٩، تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٢٨٩-٢٩٠، الإرشاد، ج٢، ص٦٧، اللهوف، ص٤٠، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٩٩.

ثانية ومارسوا ضغوطهم عليه في لقاءات متلاحقة. في نهاية المطاف وصل إلى تلك المعركة، وقاوم فيها أيضاً حتّى استُشهد. هذا هو شكل المقاومة، رمز المقاومة. لكنّ، المقاومة المدركة[١]، المقاومة التي تعلم ماذا تريد أن تفعل وتعرف هدفها. وهذا ما ينبغي أن يكون قدوة وأسوة للشعوب والحكومات والأشخاص ولشعبنا الثوريّ. كلّما حافظنا على هذه الأسوة وهذه القدوة، وحفظنا هذه المقاومة، فسوف نتقدّم إلى الأمام[٢].

سياسة المظلوميّة المقاومة

في تاريخنا المعاصر، أوجد شهر المحرَّم حالة (خاصّة) في الثورة الإسلاميّة، بمعنى أنّه في محرّم من العام ١٣٥٧ (١٩٧٩) أعلن الإمام العظيم سياسةً جديدة في الثورة والمواجهة، وهذه السياسة هي انتصار الدم على السيف. لم تكن قضيّة انتصار الدم على السيف شعاراً حماسيّاً فقط، ولم تكن مجرّد كلام حماسيّ لا تكمن خلفه سياسة إسلاميّة عميقة، بل كانت سياسة إسلاميّة عظيمة. وفي خطابه إلى الشعب الإيرانيّ، كان الإمام الخميني ﷺ يعلّمهم، أنّه مع حلول شهر محرّم ينبغي أداء الدور نفسه الذي قام به الحسين بن عليّ عليه السلام، وهو دور المظلوميّة المنتصرة والمقاوِمة، أي في مواجهة التحرّكات التي قام وسيقوم بها النظام الملكيّ المتجبّر والظالم، في مواجهة تلك القسوة وذلك الشقاء، فأنتم لا تملكون سلاحاً، ولستم من أهل المعركة المسلّحة، أنتم جموع محتشدة مؤمنة مخلصة، صونوا إيمانكم وإخلاصكم بدمائكم، واسعوا لذلك النصر الذي هو لا محالة واقع.

---

(١) الأخبار الطوال، ص٢٤٦، الأمالي، الصدوق، ص٢١٧، تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص٢١٤، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٧٥.

(٢) في مراسم ذكرى ولادة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام ويوم الحرس في مؤسّسة رئاسة الجمهوريّة ٢٦/ ٢/ ١٣٦٢ش- ١٦/ ٥/ ١٩٨٤ م.

إنّ «سياسة المظلوميّة المقاومة» هي ذاتها سياسة الحسين بن عليّ عليه السلام التي عُمل بها في إيران أيضاً، وقد انتصرت، أي أن تتحمّل مجموعة هذه المظلوميّة ولا تنحرف عن طريقها ولا تنصرف في مقابل كلّ تلك الشدائد والبلاءات، والمظلوميّة التي تنزل على رؤوسهم لتستمرّ على هذا الطريق ولو ببذل النفوس. وهذه السياسة هي التي أدركها الشعب وفهمها، وقد رأيتم كيف امتزجت - منذ بداية شهر محرّم في شوارع طهران وفي الأماكن المختلفة - أصوات التكبير بأزيز رصاص عملاء النظام ومأجوريه، وقد تغلّبت أصوات التكبير على أزيز الرصاص، وفي النهاية انتصر الدم على السيف.

فلولا هذه السياسة، ولولا إحساس النّاس وشعورهم - على الرغم من المظلوميّة الشديدة التي عانوا منها - أنّه ينبغي المقاومة والصمود وإكمال الطريق - التي هي سياسة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام ذاتها - لولا ذلك لما انتصرت الثورة.

لقد علّمنا الإمام درساً، أنّه ينبغي أن تتحمّلوا هذه الضربات التي تنزل عليكم - وقد تحمّلتم - ولو ببذل الأرواح، وإكمال الطريق. فالعدوّ ليس بمقدوره الاستمرار بهذه الضربات حتّى النهاية، فطاقته محدودة، وفي نهاية المطاف هو سيعجز عن الاستمرار، وذلك اليوم هو يوم موت العدوّ وهذا ما حصل. وهذه السياسة هي سياستنا الدائمة المستمرّة. هكذا كانت على طول التاريخ، وهي الآن كذلك، وستبقى كذلك في المستقبل[1].

(١) في خطبة الجمعة ٦/ ٦/ ١٣٦٦ش - ٢٨/ ٨/ ١٩٨٨ م.

الاستقامة

الاستقامة في طريق الحقّ، روح ثورة الإمام الحسين عليه السلام

إنّ روح عمل الإمام الحسين عليه السلام هو تطبيق كلام الحقّ وطريق الحقّ والصمود في وجه كافّة القوى التي تكاتفت عليه في هذا السبيل، هذا هو روح عمل الحسين بن عليّ عليهما السلام وحقيقته. كلّ المواضيع المتّصلة بالإمام الحسين عليه السلام، في المدينة، في مكّة، في كربلاء وخلال الطريق وكذلك الحوادث التي عرضت بعد شهادته، قد ذكرها الإمام السجّاد وزينب عليهما السلام. ذلك كلّه يؤشّر إلى هذه النقطة. هذا هو الدرس الكبير الذي قدّمه الحسين بن عليّ عليهما السلام.

من هم الذين عارضوا الإمام عليه السلام في ذلك اليوم؟ ينبغي القول: إنّ العالم بأسره قد أحاط بالإمام الحسين عليه السلام، لأنّ نظام يزيد قد تسلّط على العالم الإسلاميّ وبنحو من الأنحاء أحكم قبضته على كلّ شخص بحسبه، بعضهم بالتهديد وآخرون بالترغيب والوعود وغيرهم بالاحتيال، وجميع هؤلاء كانوا معارضين للإمام عليه السلام.

فهل كلّ من كان معارضاً للإمام الحسين عليه السلام لم يكن يحبّه؟ لا، كانوا يحبّونه! كما أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يعيش محترماً في المدينة، وكلّما كان يذهب إلى الحجّ كانت النّاس تجتمع إليه[1]. لكن المسألة كانت شيئاً آخر، بمعنى أنّ الإمام كان يرى أنّ النظام الاجتماعيّ للعالم

---

(١) الفتوح، ج٥، ص٢٣، الإرشاد، ج٢، ص٣٥-٣٦، البداية والنهاية، ج٨، ص١٥١، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٣٢.

الإسلاميّ هو نظام غير إسلاميّ، في حين أنّ النبيّ الأكرم ﷺ جاء ليجعل النظام الاجتماعيّ للنّاس نظاماً إسلامياً.

جاء نبيّ الإسلام وأوجد هذا النظام الإسلاميّ. إلّا أنّه عندما جاء يومٌ ورأى الإمام الحسين ﷺ العالم الإسلاميّ والنظام الإسلاميّ يصبحان مغايرين للاسلام بالكامل، بل سيصبحان في كثير من الموارد معاديين للإسلام بنسبة ١٠٠٪، لذا عزم الإمام الحسين ﷺ على استعادة ذلك الوضع.

أراد الإمام الحسين ﷺ أن يعلن لجميع النّاس في عصره ولكلّ الذين سيأتون في العصور اللّاحقة أنّه متى ما فقد هكذا نظام من المجتمع وجب القيام والثورة لإيجاده، سواء أفضت الثورة إلى قيام الحكومة والانتصار أم الشهادة.

وقد تخيّل بعضهم أنّ الإمام الحسين ﷺ لو كان يعلم أنه سيستشهد لم يثُر، وفي المقابل ادّعى بعضهم أنّ الإمام الحسين ﷺ ثار ليستشهد، (لكن) كلا الرأيين خاطئان.

لقد ثار الإمام الحسين ﷺ ليلقّن البشريّة درساً: وهو أنّه كلّما شاهد المسلمون - الذين يتعلّمون من الحسين ﷺ - الظلم في المجتمع، وغياب النظام الإسلاميّ، وأنّ القرآن لا يحكم، وسيادة العنصريّة والتمييز، والغطرسة وهضم الحقوق، والتربّع على السلطة دون ملاك أو معيار، فيجب عليهم النهوض لاسترجاع الوضع (الصحيح)، سواء انتهت الحركة بنتيجة أم لا.

لقد ذكر الإمام (الخمينيّ) مراراً، أنّنا لا نقوم من أجل النتيجة، وإنّما ننهض من أجل الوظيفة والتكليف[1]. بالتأكيد، عندما يكون عملنا نابعاً من الإخلاص فإنّ الله تعالى سيوصلنا إلى النتيجة أيضاً.

---

(١) صحيفة الإمام ج٦١ ص٢٨٤.

هذا هو روح عمل الإمام الحسين عليه السلام، لذلك صمد واستقام من أجله. وواقعاً إذا أراد الإنسان أن يحاسب ذلك اليوم الذي ثار فيه الإمام الحسين عليه السلام استناداً إلى المعايير والمعادلات العاديّة، فإنّ من المتيقّن به أنّ هذا القيام لن يكون قياماً عقلانيّاً. بالطبع لو أراد الإنسان النظر من زاوية العقل العادي والطبيعيّ، سيرى أنّ الإنسان الذي لا يمتلك أيّ قوّة في يده في مواجهة تلك القوى، لا مناص من أنّه سينتهي بهزيمة عسكريّة محقّقة. لكن، مع ذلك، ثار الإمام الحسين عليه السلام، مع أنّ إدراك الأمور والحقائق كان أسهل بالنسبة إليه من كثير من النّاس الآخرين، ومن المؤكّد أنّ هذه الحسابات أيضاً كانت أمام مرأى أبي عبد الله عليه السلام، ومع ذلك ثار، ذلك لأنّ الغاية والهدف هما القيام بالوظيفة والانتصار الإلهيّ، وليس فقط الانتصار العسكريّ، بالطبع لو تيسّر للإمام الانتصار العسكريّ لقبل به[1].

استقامة في غربة لا نظير لها

النقطة الأخرى[2] المهمّة أيضاً في مجموع ثورة الحسين عليه السلام وهي بمعنى آخر - وبالنظر إلى حالتنا اليوم - وهي ترجع بمعنى من المعاني إلى قوّة الإخلاص، وهذه النكتة هي غربة الحسين عليه السلام، فلا يوجد في أيّة واقعة من الوقائع الدامية في صدر الإسلام غربة ووحدة كما في واقعة كربلاء، فمن أراد فليتأمّل في تاريخ الإسلام - وقد دقّقت جيّداً فلم أجد واقعة كواقعة كربلاء - سواء في حوادث صدر الإسلام وغزوات النبيّ صلى الله عليه وآله أو حروب أمير المؤمنين عليه السلام.

ففي تلك الحروب كانت هناك حكومة ودولة وكان النّاس حاضرين، وكان يخرج إلى ساحات القتال جنود من بينهم، ومن ورائهم كانت أدعية الأمّهات، آمال الأخوات، تقدير النّاس وتشجيع قائد عظيم الشأن

(١) في مراسم العرض الصباحيّ للحرس في مقرّ قصر فيروزة ٢/ ٧/ ١٣٦٤ ش- ٢٤/ ٩/ ١٩٨٦ م.
(٢) أشير في موضع آخر إلى نقطة أولى وهي الاخلاص في النهضة الحسينيّة.

كالنبيّ ﷺ أو أمير المؤمنين عليه السلام، كانوا يضحّون بأنفسهم أمام النبيّ ﷺ، وهذا ليس صعباً.

فكم من شبابنا كانوا حاضرين لتقديم أرواحهم بناءً على كلمة من الإمام الخمينيّ رضوان الله عليه! وكم منّا الآن لديهم أمنية في إشارة لطف من الوليّ الغائب عجل الله فرجه لنضحّي بأنفسنا!

فعندما يشاهد الإنسان قائده أمام ناظريه وكلّ ذلك التحفيز من ورائه، ويكون على علم أنّه يقاتل لينتصر وليهزم العدوّ، فإنّه سيقاتل برجاء وأمل الانتصار، وحرب كهذه - مقارنة بما نراه في كربلاء - ليست صعبة. طبعاً كان هناك أحداث في التاريخ فيها غربة نسبيّاً كالأحداث التي جرت مع أبناء الأئمّة والحسنيّين في عصر الأئمّة عليهم السلام، لكن هؤلاء جميعاً كانوا يعلمون أنّ خلفهم إماماً كالإمام الصادق عليه السلام، والإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وكالإمام الثامن عليه السلام، وقائدهم وسيّدهم حاضر يسندهم ويتفقّد عيالهم. فكان الإمام الصادق عليه السلام - حسب ما ورد في الروايات - يأمرهم بقتال الحكّام الفاسدين ويقول: «.. **وعليّ نفقة عياله**»[1]. وكان المجتمع الشيعي ظهراً لهم، يشجّعهم ويمجّدهم، وفي المحصّلة كان لهم أمل ما وراء ساحات القتال، لكن في واقعة كربلاء، فإنّ أُسّ القضيّة ولبّ لُباب الإسلام المقبول من الجميع، وهو الإمام الحسين عليه السلام، كان موجوداً في ميدان الحرب، وكان يعلم هو وأصحابه أنّه سيستشهد، وأن لا أمل له في أيّ أحد في أرجاء هذا العالم الواسع وهذه البلاد الإسلاميّة المترامية الأطراف، كان في غربة بحتة ووحدة تامّة.

كان من بين رجالات عالم الإسلام في ذلك اليوم ووجوهه أشخاص لم يغتمّوا لقتل الحسين عليه السلام، بل اعتبروا وجوده مضرّاً بعالمهم، وآخرون منهم لم يبالوا بالقضيّة وإن حزنوا لقتله عليه السلام، كعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عبّاس وأمثالهما.

---

(١) مستطرفات السرائر، ص٥٦٩، بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٧٢.

فلم يكن للإمام عليه السلام أدنى أمل بمن هم خارج ميدان القتال الممزوج بالغمّ والمليء بالمحن، فالمتوفّر والمتاح مقتصر على ذاك الذي كان حاضراً في ميدان كربلاء ليس إلّا. وكانت كلّ الآمال منحصرة بهذا الجمع، وكان هذا الجمع قد أسلم أمره للشهادة، وحتّى بعد شهادتهم لم يكن سيُقام لهم مجلس فاتحة حسب الموازين الظاهريّة، فيزيد متسلّط على كلّ شيء، وتُساق نساؤهم سبايا ولا يُرحَم أطفالهم، فقد كانت التضحية صعبة جدّاً في هذا الميدان. «**لا يوم كيومك يا أبا عبد الله**» فلولا الإيمان والإخلاص والنور الإلهيّ الذي كان يشعّ في وجود الحسين بن عليّ عليهما السلام والذي بعث الحرارة في قلوب عدّة معدودة مؤمنة حوله لما تحقّقت تلك الواقعة، فانظروا إلى عظمة هذه الواقعة!

إذاً، الخصيصة الثانية لهذه الواقعة هي غربتها. لذا قلت مراراً إنّه لا يمكن مقارنة شهدائنا بشهداء بدر وحنين وأُحد وشهداء صفّين والجمل، بل شهداؤنا أرفع منزلة من كثير من هؤلاء الشهداء، أمّا المقارنة بشهداء كربلاء، فلا. لا يقارن أحد بشهداء كربلاء، لا اليوم ولا في الماضي، لا في صدر الإسلام ولا حتّى في ذلك اليوم الذي يعلمه الله إلى أن يشاء الله[1]. إنّ هؤلاء هم صفوة الشهداء، فلا نظير لعليّ الأكبر ولحبيب بن مُظاهر[2].

الاستقامة الحسينيّة الاستثنائيّة

من أجل الوصول إلى الأهداف الكبيرة، توجد في العادة مجموعة عوامل إنسانيّة أساسيّة: الظروف الاجتماعيّة، الأزمنة، الأرضيّات والموانع، وهي موجودة ولا أحد ينكرها، لكن وحتّى لو تهيّأت الظروف، فليس من

(١) الطبقات الكبرى، الخامسة ١، ص٣٤١، كامل الزيارات، ص٤٥٣-٤٥٤، بحار الأنوار، ج٤١، ص٢٩٥.

(٢) في لقاء حشود من عناصر الحرس الثوريّ بمناسبة يوم الحرس، ٢٦/ ١٠/ ١٣٧٢ش- ١٦/ ١/ ١٩٩٤ م.

الضروريّ أن تتحقّق الأهداف المنشودة، فما لم تتحقّق شرائطها من قبيل- الإرادة والتصميم ووضوح الهدف، الوعي والمعرفة والمتابعة- التي هي في الأساس شروط ومقدّمات بشريّة.. أحد هذه الشروط التي أريد الوقوف عندها: مسألة الاستقامة. يتمّ التعامل مع الاستقامة كمفهوم مهمل وشائع وغير مهمّ، ولكنّه ليس كذلك. الاستقامة مفهوم على قدر كبير من الأهمّيّة والحساسيّة، وإنّ أهمّيّته في العمل أكبر بكثير ممّا يخطر على ذهن الإنسان. الاستقامة تعني الثبات على الطريق المستقيم: ﴿**وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا**﴾[1]، فلو تحقّق الثبات والاستقامة على الصراط المستقيم، أي (ثبتوا) في هذا الاتجاه ولم يغيّروا مسارهم، ولم يخضعوا للظروف، عندها ستترتّب نتائج دنيويّة وثواب أخرويّ. فعندما يقول القرآن: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ**﴾[2] - نزول الملائكة، التشرّف بمواجهة الملائكة، والخطاب بخطاب الملائكة - ﴿**أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا**﴾[3]، فتأتي الملائكة وتقول لكم:

لا تخافوا ولا تحزنوا. متى يُعطَى هذا الشرف؟ يُعطَى في صورة الاستقامة.

تحدّثت في إحدى السنوات بمناسبة رحيل الإمام الخمينيّ حول هذه القضيّة بالخصوص وتحدّثت عن المقارنة بين استقامة الإمام (رضوان الله عليه) واستقامة الإمام الحسين عليه السلام.

قد يقول المرء كلمة: «**استقم**» و«**اثبت**»، ينظر الجميع إلى بعضهم بعضاً ويقولون: نعم نستقيم ونثبت، إلّا أنّ الاستقامة في مقام العمل هي مسألة

---

(١) سورة الجنّ، الآية: ١٦.

(٢) سورة فصّلت، الآية: ٣٠.

(٣) سورة فصّلت، الآية: ٣٠.

على قدر كبير من الأهمّيّة.

بأيّ شيء تمثّلت استقامة الإمام الحسين عليه السلام ؟ هل تمثّلت في كونه قد استقام في المعركة؟ حسناً الجميع يثبتون في الحرب. فالذين يخوضون غمار المعركة يثبتون (في العادة)، حتّى أهل الباطل. فكلّ هذه الحروب موجودة في عالمنا، كلّ هؤلاء الذين يذهبون للحرب ويقتلون ولا يتزحزحون عن مواقعهم خطوة واحدة، فهذه أيضاً استقامة! لم يكن هذا المقدار من الاستقامة هو مقصد الإمام الحسين وسيّد الشهداء عليه السلام ! ينبغي البحث عن التجليات الخاصّة للاستقامة الحسينيّة.

كان لدى الإمام الحسين عليه السلام هدف واضح، لكن الآخرين كانوا، الواحد بعد الآخر، يشكّكون بهذا الهدف. وهؤلاء لم يكونوا أناساً عاديّين، كانوا من شخصيّات الدرجة الأولى في العالم الإسلاميّ، مثل عبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عبّاس، هم أشخاص لو تأمّلتم تاريخهم اليوم لرأيتم أنّهم على قدر كبير من الشأن في العالم الإسلاميّ.

كان الواحد من هؤلاء يجلس تلو الآخر، مع الإمام الحسين عليه السلام، ويناقشه في هذا الهدف ويشكّك فيه[1]! كانوا يقولون له: سيّدي، ما هو السبب في أنّ هذا اليوم تحديداً هو اليوم الذي يجب عليكم أن تذهبوا وتقفوا في مقابل يزيد؟ كانوا يأتون بشواهد كثيرة لإثبات نظريّتهم بما يكفي لإخافة أيّ شخص!

---

(١) مناقشة عبد الله بن الزبير مع أبي عبد الله الحسين عليه السلام: شرح الأخبار، ج٣، ص١٤٣، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٨، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٦٤. مناقشة عبد الله بن جعفر مع أبي عبد الله الحسين: الفتوح، ج٥، ص٦٧، الإرشاد، ج٢، ص٦٨-٦٩، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٦٦، مناقشة عبد الله بن عبّاس مع أبي عبد الله عليه السلام: الأخبار الطوال، ص٢٤٣-٢٤٤، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٤٠ و٢٤٥، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٦٤-٣٦٥.

كانوا يقولون له: أن تكون أنت ابن النبيّ الذي يبلّغ أحكام الله، أليس هذا أفضل لك من أن تُقتل؟ أليس الأفضل أن تبقى حيّاً، تُحدّث وتُبيّن الأحكام وتعظ، من أن يأتي ذلك الرجل الظالم ويقيم على قبرك الأشعار ويبدل كلماتك؟ لو أعطاك الله تعالى ٢٠ سنة أخرى من العمر، ففي هذه السنوات كم من المعارف ستبيّن؟ هذا أفضل من ذاك!

انظروا، ليس من السهل أبداً أن يخلص الإنسان نفسه من وطأة إشكالات كهذه ومن مصيدة هذه التشكيكات!

كانوا يقولون: الآن وقد عزمت على الرحيل، فلترحل، لكنّك في نهاية المطاف سترد ميدان الجهاد والحرب، فإلى أين تأخذ هذه النسوة وأولئك الأطفال؟ ما هذه الحالة؟ لماذا تذهب وتعرّض النّاس للقتل؟ لماذا تذهب إلى الكوفة؟

نعم، هذه الإشكالات ترتعد لها فرائص الإنسان. لقد وصل الإمام الحسين عليه السلام إلى مكان فهم أنّ القضيّة صعبة. قالوا له: حسناً، أيّها الإمام، ارجع وبايع يزيدَ. في النهاية بايع، هل أنت أفضل من الإمام الحسن عليه السلام ؟! ما هي الموجبات التي تدفعك إلى أن تذهب وتضع نفسك في هذه المعركة الكبيرة؟!

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام يواجه هذا النوع من الشبهات والإشكالات التي كانت تُطرح عليه بشكل متواصل[1] من قبل شخصيّات

(١) الطبقات الكبرى، الخامسة ١، ص٤٤٤-٤٤٧، أنساب الأشراف، ج٣، ص١٦٣، الأخبار الطوال، ص٢٢٨-٢٢٩، تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٢٥٣، و ٢٨٦-٢٨٧، الفتوح، ج٥، ص١٦-١٧، و٧٠و٩٩، العقد الفريد، ج٥، ص١٢٣، مروج الذهب، ج٣، ص٦٧، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٥٦ و٦٠، دلائل الإمامة، ص١٨٢، الإرشاد، ج٢، ص٧١-٧٢، إعلام الورى، ج١، ص٤٥٩، الثاقب، ص٣٤٠-٣٤١، مقتل الحسين، الخوارزميّ، ج١، ص٢٧١-٢٧٣، تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص٢٠١-٢٠٢، وج٦٥، ص١٢٧، الخرائج، ج١، ص٢٥٣-٢٥٤، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٤٨، الكامل في التاريخ، جزء ٤، ص٥٠، مثير الأحزان، ص١٧، تذكرة

لها شأنها- منذ خروجه من المدينة وحتّى لحظة وصوله إلى مكّة، ثمّ عندما وصل إلى كربلاء، ومن لحظة وروده كربلاء أيضاً حتّى يوم عاشوراء -، بخلفيّة العقل النفعيّ والمصلحيّ وباستعمال وسائل ليست بعيدة جدّاً عن الوسائل القيميّة! في ذلك الوقت وقف الإمام الحسين عليه السلام أمامهم ثابتاً - وهو المجسّد للقيم -، أي أنّه لم ينس الهدف، ولم تدفعه هذه الكلمات إلى ترك الخطّ المستقيم الذي يعرفه هو جيّداً وهم لا يعرفونه[1].

الاستقامة الرفيعة لزينب الكبرى عليها السلام

ضرب الله تعالي في القرآن الكريم مثال امرأتين كنموذج للإيمان الكامل، ومثال امرأتين لنموذج الكفر أيضاً: ﴿**ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا**﴾[2]، هذان هما المثالان على الكفر وهما امرأتان كافرتان. فهو لم يسق المثال للكفر من الرجال، بل جاء به من النساء. وهذا ما نجده في باب الكفر. وفي باب الإيمان أيضاً.

﴿**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ**﴾[3]. أحد المثالين على النموذج الإيمانيّ الكامل هو امرأة فرعون والمثال الآخر السيّدة مريم الكبرى ﴿**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ**﴾[4].

وإنّ مقارنة سريعة بين زينب الكبرى عليها السلام وبين زوجة فرعون تُظهر لنا

الخواص، ص٢٢٧، اللهوف، ص٤٠، تهذيب الكمال، ج٦، ص٤٢١، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٦٤.

(١) في لقاء أعضاء الشورى المركزيّة، الجهاد الجامعيّ، ٨/ ١٠/ ١٣٧٦ش- ٢٩/ ١٢/ ١٩٩٧ م.

(٢) سورة التحريم، الآية:١٠.

(٣) سورة التحريم، الآية:١١.

(٤) سورة التحريم، الآية:١٢.

عظمة مقام السيّدة زينب الكبرى عليها السلام. تحدّث القرآن الكريم عن زوجة فرعون بوصفها نموذج الإيمان للرجال والنساء علي مرّ الزمان وإلى آخر الدنيا. ثمّ لكم أن تقارنوا زوجة فرعون التي آمنت بموسى وانجذبت إلي تلك الهداية التي جاء بها موسى، وحينما كانت تحت ضغوط التعذيب الفرعونيّ - والذي توفيّت بسببه حسب ما تنقل التواريخ والروايات - فقد جعلها التعذيب الجسمانيّ تصرخ: ﴿**إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ**﴾[1] طلبت من الله تعالي أن يبني لها بيتاً عنده في الجنّة.. وفي الواقع هي طلبت الموت وأرادت أن تفارق الحياة. ﴿**وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ**﴾.. أنقذني من فرعون وأعماله المضلّة.

في حين كانت مشكلة السيّدة آسية زوجة فرعون من قبيل الألم والعذاب الجسمانيّ ولم تكن كالسيّدة زينب، التي فقدت عدّة من إخوتها واثنين من أبنائها وعدداً كبيراً من أقاربها وأبناء إخوتها ساروا أمام عينيها إلي مصارعهم. هذه الآلام الروحيّة التي تحمّلتها زينب الكبرى لم تتعرّض لها السيّدة آسية زوجة فرعون. رأت السيّدة زينب بعينيها يوم عاشوراء كلّ أحبّتها يسيرون إلي القتل ويستشهدون: الحسين بن عليّ عليهما السلام سيّد الشهداء والعبّاس وعليّ الأكبر والقاسم وأبناءها هي، وباقي إخوتها رأتهم كلّهم. وبعد استشهادهم شهدت كلّ تلك المحن: هجوم الأعداء وهتك الحرمات، وحملت مسؤوليّة رعاية الأطفال والنساء.

فهل يمكن مقارنة عظمة هذه المصائب وشدّتها بالمصائب الجسمانيّة؟ ولكن مقابل كلّ هذه المصائب لم تقلّ السيّدة زينب لله تعالي: ﴿**رَبِّ نَجِّنِي**﴾، بل قالت يوم عاشوراء: «**ربّنا تقبّل منّا**»[2].

---

(١) سور التحريم، الآية: ١١.

(٢) مقتل الحسين، المقرّم، ص٣٢٢.

رأت الجسد المبضّع لأخيها أمامها فتوجّهت بقلبها إلي خالق العالم وقالت: «**اللهمّ تقبّل منّا هذا القربان**». وحينما تُسأل كيف رأيتِ (صنع الله) ؟ تقول: «**ما رأيت إلّا جميلاً**»[١].. كلّ هذه المصائب جميلة في عين زينب الكبرى لأنّها من الله ولأجله وفي سبيل الله وفي سبيل إعلاء كلمته. فيا لهذا المقام المتقدّم في الصبر وهذا العشق للحقّ والحقيقة، كم هو الفارق بينه وبين ذلك المقام الذي يذكره القرآن الكريم للسيّدة آسية. هذا دليل علي عظمة مقام السيّدة زينب. هكذا هو العمل في سبيل الله. لذلك بقي اسم زينب وعملها إلي اليوم نموذجاً خالداً في العالم.

إنّ بقاء دين الإسلام وبقاء الطريق إلى الله ومتابعة السير على هذا الطريق من قبل عباد الله يستند ويستلهم إلى العمل الذي قام به الحسين بن عليّ عليه السلام وما قامت به السيّدة زينب الكبرى عليها السلام. أي إنّ ذلك الصبر العظيم وذلك الصمود وتحمّل كلّ تلك المصائب والمشكلات أدّى إلى أن تكون القيم الدّينيّة اليوم هي القيم السائدة في العالم. جميع القيم الإنسانيّة التي نجدها في المدارس المختلفة والمتطابقة مع الضمير البشريّ هي قيم نابعة من الدّين. هذه هي خصوصيّة العمل لله[٢].

وحدة الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة عالم الظلمة والانحراف

انظروا يا أعزّائي، لم يتجاوز الوقت الذي استغرقته واقعة كربلاء نصف نهار أو أكثر من ذلك بقليل، واستشهد فيها اثنان وسبعون - أكثر أو أقلّ بقليل[٣] - وهذا العدد من الشهداء موجود في العالم كلّه. فأن تكتسي واقعة

---

(١) الفتوح، ج٥، ص١٢٢، مثير الأحزان، ص٧١، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١١٥-١١٦.

(٢) في لقاء قادة وعناصر القوّة الجويّة في جيش الجمهوريّة الإسلاميّة، ١٩/ ١١/ ١٣٨٨ش- ٨/ ٢/ ٢٠١٠ م.

(٣) أنساب الأشراف، ج٣، ص٢٠٥، مقتل الحسين، الخوارزميّ، ج٢، ص٤٤، شرح الأخبار، ج٣،

كربلاء كلّ هذه العظمة - وهي أهل لهذا الشموخ والعظمة، بل هي أسمى وأعظم- إلى حدّ أنّها تركت آثارها ونفذت في عمق الوجود البشريّ، إنّما كان بسبب روح هذه الواقعة. فجسم القضيّة لم يكن له ذلك الحجم، وكان هناك أطفال صغار قُتلوا في كلّ بقعة من بقاع العالم، في وقتٍ قُتل في كربلاء رضيع واحد لستّة أشهر. وفي بعض الأماكن ارتكب الأعداء إبادات جماعيّة وقتلوا مئات الأطفال. القضيّة ليست مطروحة هنا في بعدها الجسمانيّ، بل تكمن أهمّيّتها في روحها ومعناها.

روح القضيّة هي أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يكن يواجه في تلك الواقعة جيشاً ولم تكن مواجهته مع جمع غفير- وإن كان يفوقه بمائة ضعف - بل إنّ مواجهة الإمام الحسين عليه السلام كانت مع عالم من الانحراف والظلمة، وهذا هو المهمّ. وفي الوقت الذي كان يواجه فيه ذلك العالم من الظلمة والظلم والانحراف، الذي كان يملك كلّ شيء، ولديه المال والذهب والقوّة والكتّاب والشعراء والمحدّثون والخطباء، كان الجوّ موحشاً جدّاً. وكانت فرائص الإنسان العادي وحتّى الإنسان ما فوق العادي لترتعد لتلك العظمة الفارغة لعالم الظلمة ذاك، ولكن لم يرتعش للإمام الحسين عليه السلام قلب ولا اهتزّت له قدم. ولم تساوره مشاعر ضعف أو تردّد. وبرز إلى الميدان وحيداً فريداً. إنّ عظمة هذه القضيّة تمثّلت في أنّ القيام كان لله.

يمكن تشبيه موقف الإمام الحسين عليه السلام ومقارنته بموقف جدّه رسول الله محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله في بعثته، فكما واجه النبيّ صلى الله عليه وآله هناك عالماً بأسره، وقف الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء بمواجهة عالم بأسره. فالرسول صلى الله عليه وآله لم يكن يعتريه أيّ خوف، بل صمد وسار إلى الأمام، وكذلك الحال بالنسبة إلى الإمام

ص١٥٤-١٥٥، ٨٧ شخصاً، مروج الذهب، ج٣، ص٦١، ٧٨ شخصاً، اللهوف، ص٨٥، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٦٢.

الحسين عليه السلام الذي لم يرهبه شيء، بل ثبت وسار قدماً. فالحركة النبويّة والحركة الحسينيّة هما بمثابة دائرتين متّحدتي المركز متّجهتين إلى مسار واحد. وهنا يظهر معنى «**حسين منّي وأنا من حسين**»[1]. هذه عظمة موقف الإمام الحسين عليه السلام.

عندما قال الحسين عليه السلام ليلة العاشر من محرّم: «اذهبوا فأنتم في حلّ منّي، وهذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً، وليأخذ كلّ واحد منكم بيد واحد من أهل بيتي، فالقوم يطلبونني ولو قد أصابوني لهوا عن طلب غيري...»[2]، لم يكن قوله هذا مزاحاً. لنفترض أنّهم كانوا قد وافقوه وانصرفوا وبقي وحده أو برفقة عشرة أشخاص، هل كان ذلك لينقص من عظمة عمله؟

كلّا، بل تبقى له هذه العظمة بعينها. ولو كان حول الحسين عليه السلام بدل هؤلاء الاثنين والسبعين، اثنان وسبعون ألفاً، هل كان ذلك لينقص من عظمة موقفه؟ أبداً.

إنّ عظمة موقف الحسين تكمن في ثباته واطمئنانه وهو يواجه ضغوط وقسوة عالم مليء بالمعترضين والمدّعين، فلم يتزلزل، والحال أنّ موقفاً كهذا، يضطرب فيه عامّةُ النّاس، وحتّى من هم فوق عامّة النّاس. وكما ذكرت مراراً فإنّ عبد الله بن عبّاس - وهو شخصيّة كبيرة مرموقة- وجميع أمراء قريش، كانوا في غاية الاستياء من ذلك الوضع. وهكذا كان حال عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وأبناء كبار الصحابة، وبعض الصحابة.

كان في المدينة عدد كبير من الصحابة، وكانوا من ذوي الغيرة

---

(١) المعجم الكبير، ج٣، ص٣٣، شرح الأخبار، ج٣، ص٨٨، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣١٤.
(٢) مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٤٨، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٥٧-٥٨.

والمروءة - لا يتصوّرنّ أحد أنّهم كانوا عديمي المروءة - وهم أنفسهم الذين تصدّوا لمسلم بن عقبة وقاتلوه في وقعة «الحرّة» حينما هجم على المدينة وارتكب المذابح فيها بعد عام واحد[١] على واقعة كربلاء. لا تظنّوا أنّهم كانوا جبناء، بل وقفوا وقاتلوا وكانوا فرساناً وشجعاناً[٢]. لكن شجاعة التقدّم إلى ساحة الحرب مسألة، وشجاعة مواجهة عالم برمّته مسألة أخرى. والموقف الذي اتّخذه الإمام الحسين عليه السلام كان من النوع الثاني، ولأجل هذا النوع الثاني قام بحركته[٣].

أشكال الاستقامة والثبات

الاستقامة في مقابل انتحال الأعذار الشرعيّة

من العوامل التي تقف سدّاً أمام الإنسان في المواقف الكبرى هي التذرّع بالأعذار الشرعيّة. يجب على الإنسان أن يؤدّي الأعمال والفرائض الواجبة، ولكن حينما يستلزم مثل هذا العمل وقوع إشكال كبير - كأن يُقتل فيه على سبيل المثال أشخاص كثيرون - هنا يشعر المرء أنّه لم يعد مكلّفاً. فكم كان حجم الأعذار الشرعيّة على تلك الشاكلة التي واجهت الإمام الحسين عليه السلام وكانت كفيلة بصرف أيّ إنسان سطحيّ الرؤية عن هذا السبيل! وكانت هذه الأعذار تتوالى الواحدة تلو الأخرى.

فقد واجه أوّلاً نكول أهل الكوفة ومقتل مسلم بن عقيل[٤]. وهنا نفرض

---

(١) تاريخ اليعقوبيّ، ج٢، ص٢٥٠-٢٥١.

(٢) تاريخ خليفة، ص١٤٧-١٥٥.

(٣) في لقاء حشود من عناصر الحرس الثوريّ بمناسبة يوم الحرس، ٢٤/ ٩/ ١٣٧٥ش- ١٥/ ١٢/ ١٩٩٧ م.

(٤) الإرشاد، ج٢، ص٥٢-٦٣، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣١-٣٥، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٤٩-٣٥٧.

أنّه كان على الإمام الحسين عليه السلام أن يقول: «لقد بات العذر شرعيّاً وسقط التكليف، فأنا كنت عازماً على رفض البيعة، ولكن تبيّن لي أنّ موقفاً كهذا، في مثل هذه الأوضاع والظروف، لا يمكن الاستمرار عليه، وأنّ النّاس لا طاقة لهم على التحمّل، إذاً، التكليف ساقط، وأنا أبايع مكرهاً».

المرحلة الثانيّة هي واقعة كربلاء نفسها، حيث كان باستطاعة الإمام الحسين عليه السلام عند مواجهة ذلك الموقف أن يتصرّف على شاكلة الإنسان الذي يحلّ المواقف الكبرى بمثل هذا المنطق ويقول: «**إنّ هؤلاء النسوة والصبية لا قِبل لهم بتحمّل هذه الصحراء المحرقة، وعليه، فالتكليف مرفوع**». فيميل نحو الخضوع، ويقبل بما لم يقبله حتّى ذلك الحين. أو أنّه حتّى بعد اندلاع القتال في اليوم العاشر واستشهاد ثلّة من أصحابه - حيث تراكمت عليه المشاكل والمحن - كان بإمكانه القول: «**الآن لم يعد القتال ممكناً، ومن غير المقدور الاستمرار**» فيتراجع حينها. أو عندما تكشّف للإمام الحسين عليه السلام أنّه سيُستشهد، ومن بعد استشهاده ستبقى حُرَم الله وحُرَم النبيّ صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وحيدة في الصحارى بأيدي الرجال الأجانب، وهنا يبرز موضوع الشرف والعرض، وكان باستطاعته - كإنسان غيور - القول: «**لقد ارتفع التكليف، فما هو مصير النساء؟**

فإذا ما واصلت هذا الطريق وقُتِلتُ فإنَّ النساء من آل الرسول صلى الله عليه وآله وبنات أمير المؤمنين عليه السلام وأطهر نساء الإسلام وأشرفهنّ سيقعن سبايا بيد الأعداء، من الرجال الذين لا حسب لهم ولا نسب ولا يفقهون شيئاً من معاني الشرف والغيرة، إذاً، فالتكليف مرفوع».

أيّها الإخوة والأخوات دقّقوا بهذا الموقف من واقعة كربلاء وانظروا إليه انطلاقاً من هذه الرؤية، وهو أنّ الإمام الحسين عليه السلام لو أراد النظر إلى بعض الحوادث الشديدة الألم والمرارة - كحادثة استشهاد عليّ الأصغر وسبي النساء

وعطش الصبية ومقتل الشبّان وغيرها من الحوادث الأخرى المروّعة في كربلاء - بمنظار المتشرّع العاديّ ويتغاضى عن عظمة دوره ورسالته، كان باستطاعته التراجع خطوة بعد خطوة، ويقول: لا تكليف عليّ، ولا مناص من مبايعة يزيد الآن، وإنّ «الضرورات تبُيح المحظورات». إلّا أنّه عليه السلام لم يتصرّف على هذه الشاكلة. هذه هي استقامة الإمام الحسين عليه السلام.

وهذا هو معنى الاستقامة. الاستقامة ليست دائماً بمعنى تحمّل المشاكل، لأنّ تحمّل المشاكل بالنسبة إلى الإنسان العظيم أيسر من تحمّل المسائل التي قد تبدو حسب الموازين الشرعيّة والعرفيّة والعقليّة الساذجة خلافاً للمصلحة، لأنّ تحمّلها أصعب من تحمّل سائر المشاكل.

تارة قد يقال للإنسان: لا تسلك هذا الطريق فقد تتعرّض للتعذيب. لكنّ الإنسان القويّ يقول: إنّي سالك هذا الطريق ولا ضير في تعرّضي للتعذيب. أو قد يقال لآخر: لا تسلك هذا المسلك لعلّك تُقتل. ترى الإنسان الفذّ يقول: إنّي سالكه ولا أبالي بالقتل. ولكن تارة أخرى قد لا يقتصر الحديث على مجرّد القتل والتعذيب والحرمان، بل يقال: لا تذهب، فقد يُقتل على أثر حركتك هذه عدد من النّاس. وهنا يُعرض على بساط البحث موضوع أرواح الآخرين، فيقال له: لا تَسِر في هذا الطريق، فمن المحتمل أن يواجه الكثير من النساء والرجال والأطفال مصاعب جمّة وعنتاً كبيراً من جرّاء مسيرك هذا. وهنا ترتعد فرائص أولئك الذين لا يبالون بالقتل، أمّا الذين لا ترتعد فرائصهم، فهم أوّلاً: في أعلى درجة من البصيرة وعلى بيّنة من ضخامة العمل الذي يؤدّونه. وثانياً: لهم من قوّة النفس ما لا يتسرّب معه الوهن إليهم. وهاتان الميزتان تجلّتا عند الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء. لذلك كانت واقعة كربلاء كشمس سطعت في دياجي التاريخ، وهي ما انفكّت ساطعة وستبقى

كذلك أبد الدّهر[١].

الاستقامة في المواقع الحسّاسة والباعثة على التردّد

لقد تحدّثتُ في بعض السنوات في ذكرى وفاة الإمام الخميني رضوان الله عليه، حول استقامة الإمام... للإنصاف كان إمامنا العظيم إنساناً استثنائيّاً، بمعنى أنّنا لم نر في الواقع مثل ذلك الرجل العظيم، وإن كان لدينا - طبعاً - الكثير من الرجال الكبار، إلّا أنّنا لم نر مثله بتلك الخصوصيّات ولم نسمع. فأنا لم أسمع عن شخص يوازيه،.. لقد تميّز هذا الرجل بخصوصيّات، واحدة منها هي الاستقامة على الطريقة.

﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا﴾[٢].

الاستقامة هي من المعاني السهلة الممتنعة. قد تبدو بنظرة بسيطة قابلة للفهم، لكن عندما ندقّق نرى أنّ لها معنى عميقاً وصعباً جدّاً، فكما إنّ تشخيصها على قدر من الصعوبة، كذلك رعايتها في العمل على قدر كبير من الأهمّيّة. أضرب مثالاً: استقامة الإمام الخميني رضوان الله عليه، من الممكن أن يتخيّل بعضهم أنّه ماذا تعني استقامة شخص مثل الإمام؟.. ليست استقامة الإمام بهذه السهولة وبهذا الوضوح. من المعلوم أنّه يمكن القول لأيّ شخص: ارجع عن طريق الحقّ، فسيجيب: لا، لن أعود عنه. أنا هنا أريد أن أشبّه استقامة الإمام رضوان الله عليه باستقامة الإمام الحسين عليه السلام. الاستقامة عند المفاصل الخطرة وفي

(١) كلمته في جموع غفيرة من زوار مرقد الإمام الخمينيّ، ١٤/ ٣/ ١٣٧٥ش- ٤/ ٦/ ١٩٩٧ م.
(٢) سورة الجنّ، الآية: ١٦.

المواقع الحسّاسة. افرضوا أنّهم عرضوا القضيّة على الإمام الحسين عليه السلام على الشكل التالي: تريد أن تجاهد في سبيل الله، هذا بالتأكيد أمر جيّد جدّاً، تريد مواجهة يزيد، وهذا بالطبع جيّد أيضاً، تريد أن تضحّي بنفسك، وأنت مستعدّ وحاضر، وهذا أيضاً جيّد جدّاً، لكنّ ذلك الطفل ذا الأشهر الستّة الذي كان يتململ من شدّة العطش، بأيّ معيار يظهر على هذا النحو؟! قلّ تلك الكلمة الواحدة وأرح هذا الطفل!

لاحظوا، فإنّ مسألة الاستقامة تظهر وتتجلّى على هذا النحو، يعني أن تُطرح نقطة فجأة أمام الإنسان وسط الطريق، بحيث إنّه من الممكن أن يجعل الإنسان الفذّ والفطن عرضة للشكّ والتردّد[1].

وعندما شبَّهتُ استقامة الإمام الخميني رحمه الله باستقامة إمامنا الحسين عليه السلام فليس المقصود استقامته عليه السلام في ميدان القتال بحيث تلقّى طعنات السيوف لتبلغ جراح جسده الشريف ٧٠ جرحاً ونيّفاً[2]. ليست هذه هي الاستقامة الكبرى التي تُذكر للإمام الحسين العظيم عليه السلام. أجل، فكلّ جنديّ شجاع باستطاعته القيام بمثل هذا العمل.

استقامة الإمام الحسين تكمن هنا في عمله بأن يؤتى إليه بطفل كعليّ الاصغر وقد جفّ لسانه من شدّة العطش، وعند سيّدة مبجّلة كزينب عليها السلام تُضرب بسياط عُتاة الكوفة، تخرج أسيرة، يسلبونها جلبابها وحجابها وربّما حليّها وقلادتها! فكّر في ذلك! هل بإمكانك لو جُعلت في هذا الموقف، وقالوا لك: «**حسنٌ جدّاً! أنت شجاع، تريد الجهاد والمواجهة، فليكن لك ذلك، لكن انظر بأيّ ثمن وقيمة ستنتهي!**»، فكم سيكون

---

(١) في لقاء قادة ومسؤولي الحرس الثوريّ، ١٤/ ١٢/ ١٣٧٦ ش - ٥/ ٣/ ١٩٩٨ م.

(٢) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٤٦، الأمالي، الطوسيّ، ص٦٧٦-٦٧٧، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٥٧.

بمقدورك أن تُظهِر من الاستقامة؟ هنا في هذا الموقف بعينه تعرف الاستقامة الحسينيّة. الاستقامة الحسينيّة هي أن يعرف الهدف ويُشخّص ويقيّم ويدرك كم هو عظيم وكبير فيصمد من أجله، في وقتٍ تهتزّ أرجل النّاس العاديّين، وأصحاب الكرم والشجاعة والنخوة وكرام النّاس. لو كان ثمّة شخص آخر مكان الإمام الحسين عليه السلام لوقف وقال: في النهاية: أنا مستعدّ للتضحية بنفسي في هذا الطريق، لكن، هنا في هذه الصحراء وفي هذا العطش، أنّى لي الوقوف، وفي البين طفل رضيع وسيّدة مكرّمة.. ؟![1].

(١) في لقاء الهيئة المشرفة على إقامة مراسم ذكرى رحيل الإمام الخمينيّ، ٢٨/ ٢/ ١٣٧٧ش- ١٨/ ٤/ ١٩٩٨م.

الصمود

الصمود، رمز الانتصار

لقد انتصر ذلك المجاهد في سبيل الله (الحسين عليه السلام) على العدوّ، من جميع الجهات، حيث وقف بمظلوميّة في مواجهة ذلك العالم وسُفكت دماؤه وأُسِرت عائلته، وهذا درس للشعوب. نُقل عن زعماء كبار في عصرنا الحالي - وهم ليسوا بمسلمين - أنّهم قالوا: «**لقد تعلّمنا طريق الجهاد من الحسين بن عليّ** عليه السلام». وإنّ ثورتنا - الثورة الإسلاميّة - هي أيضاً واحدة من تلك الأمثلة. لقد تعلّم شعبنا أيضاً من الحسين بن عليّ عليهما السلام، وأدرك أنّ القتل ليس دليلاً على الهزيمة وفهم أنّ التراجع أمام العدوّ، القويّ في الظاهر، موجب للشقاء والذلّ. ومهما كان العدوّ قوياً، فإنّه إذا صمدت الفئة المؤمنة والجبهة المؤمنة أمامه بالتوكّل على الله، ستكون الخاتمة هزيمة العدوّ وانتصار الفئة المؤمنة، وهذا ما أدركه شعبنا[1].

الصمود في مواجهة لوم الخواصّ

إنّ السير على طريق الله له معارضون على الدوام. ولو أنّ شخصاً من هؤلاء الخواصّ الذين تحدّثنا عنهم[2] أراد أن يقوم بعملٍ حسن - العمل

(١) في لقاء حشد من مختلف طبقات المجتمع، بمناسبة حلول شهر محرّم الحرام، ١٠/ ٤/ ١٣٧١ ش- ١/ ٧/ ١٩٩٣ م.

(٢) في إشارة إلى بحث العوام والخواص، الذي جاء في بداية هذا الخطاب: "إذا نظرتم إلى المجتمع البشريّ، أي مجتمع كان، وفي أيّة مدينة أو بلد، تجدون الناس فيه يُقسمون- من وجهة نظر معيّنة -

الذي يجب القيام به - فقد ينبري له بضعةُ أفراد من أولئك الخواصّ أنفسهم باللوم على موقفه ذاك، قائلين: «أيّها السيّد، ألا عمل لديك؟ أجُننت؟ أليس لديك عائلة وأطفال؟ لماذا تسعى وراء أعمال كهذه؟! مثلما كانوا يفعلون في أيّام ثورتنا. لكنّ الخواصّ يجب عليهم أن يثبتوا، وإنّ إحدى ضرورات جهاد الخواصّ هي أنّه ينبغي الصمود والثبات في قبال هذه الملامة وهذا التقريع»[١].

حفظ الدّين في ظلّ الاستقامة والصمود

يختلف زماننا كثيراً عن زمن الإمام الحسين عليه السلام. ففي ذلك اليوم كان الإمام وحيداً، واليوم، إنّ حفيد الحسين إمام الأمّة (رضوان الله عليه) ليس وحيداً. لو كان للإمام الحسين - في ذلك اليوم - آلاف عدّة من الشباب المتحمّس الشجاع أمثالكم لقضى على كلّ أجهزة بني أميّة، ولأقام الحكومة الإسلاميّة. ولو كان للإمام الصادق والإمام الباقر والإمام موسى الكاظم وبقيّة الأئمّة عليهم السلام - الذين كانوا يواجهون أجهزة الجور والظلم- ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ شخص أمثالكم، أيّها الشباب المضحّون في حرس الثورة، ١٠٠ شخص، ٥٠٠ ألف من أمثالكم لتغلّبوا على كلّ أعدائهم، لقد كانوا وحيدين، غرباء، وقد حفظوا الدّين بوحدتهم وغربتهم ومظلوميّتهم، وفي النهاية باستشهادهم ومقتلهم. واليوم سيحفظ شعبنا هذا الدّين بقوّته[٢].

إلى فئتين: فئة تسير عن فكر وفهم ووعي وإرادة، وهي تعرف طريقها وتسلكه وليس نظرنا هنا إلى صوابيّة مسلكها أوخطئه- هذه الفئة يمكن تسميتها بالخواص. وفئة أخرى لا تنظر لترى ما هو الطريق الصحيح، وما هو الموقف الصائب،.." وهي التي تسمّى بالعوام.

(١) في جمع من قادة فيلق محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله، ٢/ ٣/ ١٣٧٥ ش- ٢٣/ ٥/ ١٩٩٧ م.

(٢) في جمع من عناصر ومسؤولي فيلق موسى بن جعفر عليهما السلام، ٢٥/ ٥/ ١٣٦٧ ش- ١٦/ ٨/ ١٩٨٩ م.

صمود في ظروف استثنائيّة

الحسين بن عليّ عليه السلام في هذا المجال شخص فريد[١]، بمعنى أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله نفسه لم يظهر هكذا مقاومة. وهذا ليس معناه أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يستطع إظهار ذلك، لا! فالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله أكثر مقاومة من الحسين بن علي عليه السلام وأقوى، ولا شكّ في ذلك، وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام، كما إنّ الإمام الحسن عليه السلام أفضل من الإمام الحسين عليه السلام، والأمر هو كذلك، إلّا أنّ ظرف الزمان والمناسبة قد منح هذه الفرصة فقط للحسين بن عليّ عليه السلام ليظهر مثل هذه المقاومة. بالطبع لو كان الإمام الحسن عليه السلام في نفس تلك الظروف لقام بالعمل نفسه، ولو لم يكن عمله أفضل فهو بالتأكيد لن يكون أقلّ، اعرفوا هذا الأمر، فالنبيّ الأكرم هكذا أيضاً، وأمير المؤمنين عليه السلام كذلك.

إنّ درس مقاومة الإمام الحسين عليه السلام درس لا يُنسى.

لم يكن على الأرض غير تلك المجموعة المعدودة التي اجتمعت حول الإمام الحسين عليه السلام، ولم يكن هناك شخص آخر كان مستعدّاً ليكون معه حتّى آخر المسير. وقد رأيتم بالنهاية! كان هناك أهل الكوفة بشعاراتهم وكلماتهم التي بقيت موجودة إلى ما قبل الخطر بقليل، وقبل وقوع الخطر فرّ الجميع، وتركوا الحسين عليه السلام وحيداً. يعلم الإمام الحسين عليه السلام ذلك ويعرفهم وقد صمد وقاوم في تلك الظروف العجيبة[٢].

---

(١) يراجع الفقرة التي ستلي ص١٠٥ تحت عنوان: المقاومة العالمة والمدركة..حيث جاء في كلمة الإمام الخامنئيّ: إنّ المعلّم الكبير لهذه المقاومة العالمة هو الحسين بن عليّ عليهما السلام. فمهما حقّقنا وأنجزنا نشعر بالحقارة غير العاديّة في مقابل الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام".

(٢) في مراسم ذكرى ولادة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام ويوم الحرس في مؤسّسة رئاسة الجمهوريّة ٢٦/ ٢/ ١٣٦٢ش- ١٦/ ٥/ ١٩٨٤ م.

صمود الإمام عليه السلام في ظروف الوحدة والغربة

يعلم الله أنّه لا توجد حركة على طول التاريخ بعظمة الحركة الحسينيّة وسُموِّها. في تلك الظلمة الكالحة لم يكن معه أحد، تحرّك مع مجموعة معدودة. من هم هؤلاء الأشخاص الذين رأوا الإمام الحسين في مكّة أو في المدينة وتحدّثوا معه، ونصحوه بالبقاء وعدم الذهاب والثورة؟ هم: عبد الله بن عبّاس[١] وعبد الله بن الزبير[٢]، من كبار أقارب النبيّ صلى الله عليه وآله، وعبد الله بن جعفر[٣] زوج أخته زينب، ومحمّد بن الحنفيّة[٤]، فهذه الوجوه البارزة واللامعة من أصحاب النبيّ أو من عشيرته، كانوا يقولون للإمام: لا تذهب، معنى ذلك أنّ الحسين بن عليّ عليه السلام كان وحيداً إلى هذا الحدّ. فهؤلاء الأشخاص لم يكونوا ممّن يخضعون ليزيد بن معاوية السيِّئ السمعة والعديم الأخلاق، هم أرفع شأناً من ذلك. كان من الممكن أن يتعاملوا مع معاوية، لكنّهم لم يكونوا كذلك مع يزيد. مع أنّهم لم يكونوا في وارد التعامل مع يزيد، لكنّهم قالوا للإمام الحسين عليه السلام: لا تذهب.

كما كان لعامّة النّاس مثل هذا الموقف معه، فكلّ من كان يلتقي بالإمام الحسين عليه السلام، من أصحاب الأسماء والمقامات، كان يقول له: لا تذهب. من أمثال عبيد الله بن الحرّ الجعفيّ[٥]، والفرزدق[٦] الشاعر

---

(١) أنساب الأشراف، ج٣، ص١٦١-١٦٢، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٤٥، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٦٤-٣٦٥.

(٢) الأخبار الطوال، ص٢٤٤، شرح الأخبار، ج٣، ص١٤٣، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٦٤.

(٣) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٢٩١، الإرشاد، ج٢، ص٦٨-٦٩، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٦٦.

(٤) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٢٥٣، اللهوف، ص٣٩-٤٠، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩.

(٥) الأخبار الطوال، ص٢٥١، الأمالي الصدوق، ص٢١٩، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٧٩.

(٦) أنساب الأشراف، ج٣، ص١٦٣-١٦٥، الإرشاد، ج٢، ص٦٧-٦٨، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٦٦.

المعروف، وأولئك الذين ذكرت لكم أسماءهم. فكلّ من التقى الإمام الحسين عليه السلام كان يقول له: يا سيّدي، إنّك تتحرّك عبثاً، لا فائدة من حركتك، ولسوف تُقتل. لكن الإمام الحسين تحرّك.

وكان قد أتى معه جماعة، لكنّهم أخطؤوا، ظنّاً منهم أنّ في هذه الحركة مالاً ومنصباً!

ما رأوه هو أنّ رئيساً وقائداً يتحرّك، وستقع معركة، فإمّا أن يحصلوا على الغنائم أو أن يقع الصلح، فينالوا نصيباً من ذلك، كان هذا هو ظنّهم، لذلك قدم مع الإمام كثير من النّاس، لكنّهم بدأوا بالتناقص جماعة جماعة إلى أن وصلوا إلى كربلاء[١].

عدم الخوف من الغربة والوحدة

استُشهد الإمام الحسين عليه السلام في ظروف خيّمت الغربة فيها عليه وعلى أصحابه وعلى كلّ تلك الأجواء الإيمانيّة التي كانت حاكمة على مجتمع ذلك اليوم.

رافقته الغربة منذ بداية خروجه من المدينة، ثمّ عند خروجه من مكّة، ووصوله إلى كربلاء غريباً، وقد حوصر غريباً، واستُشهد عطشانَ غريباً ودفن غريباً. وذُكر بغربة طوال هذه السنوات المتمادية. كان الظلام والقهر مخيِّمَيْن على عالم ذلك اليوم، وكان الحسين بن عليّ عليهما السلام يرى تلك الغربة بوضوح[٢].

لا ينبغي أن تخيفكم الغربة، ولا أن تلقي الوحشة في قلوبكم، فقد بلغ الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه- الذين نلطم صدورَنا ونبكي لأجلهم ونحبّهم

(١) في خطبة الجمعة، طهران، ١٥/ ٧/ ١٣٦٢ش- ٧/ ١٠/ ١٩٨٤ م.

(٢) في جمع من فيلق فجر١٩-شيراز، ٢٤/ ٥/ ١٣٦٧ش- ١٥/ ٨/ ١٩٨٩ م.

أكثر من أبنائنا- قمّة الغربة، وكانت النتيجة بقاء الإسلام حيّاً حتّى اليوم، وبقاء واقعة كربلاء حيّة، لا على بقعة صغيرة من الأرض فحسب، وإنّما في منطقة مترامية الأطراف في محيط الحياة البشريّة.

إنّ كربلاء موجودة في كلّ مكان، في الأدب، في الثقافة، في السنن والآثار، في الاعتقادات، في القلوب. أولئك الذين لم يسجدوا لله، طأطأوا رؤوسهم أمام عظمة الإمام الحسين عليه السلام!. وإنّ تلك الغربة لها اليوم هذه النتيجة، تلك كانت قمّة الغربة. وليست الغربة والمظلوميّة بمعنى الضعف[١].

إنّ خلاصة ثورة الإمام الحسين عليه السلام أنّه ثار عليه السلام يوم كانت الدنيا تحت سيطرة ظلمات الظلم والجور - فكان الجوّ مظلماً أسودَ وكذا الأرض والزمان - ولم يجرؤ أحد على بيان الحقائق. حتّى أنّ ابن عبّاس وعبد الله بن جعفر لم يأتيا مع الإمام عليه السلام، فما معنى ذلك؟ ألا يدلّ على الحالة التي كان عليها العالم آنذاك؟ ففي مثل هذه الظروف كان الإمام الحسين عليه السلام وحيداً فريداً.

طبعاً بقي مع الإمام بضع عشرات من الأشخاص، لكن حتّى لو أنّ هؤلاء لم يبقوا معه، فإنّ الإمام عليه السلام كان سينهض. هل ترون غير ذلك؟ تخيّلوا أنّ الإمام عليه السلام عندما خاطب أصحابه في ليلة عاشوراء: «**أحللتكم من بيعتي ليس عليكم منّي زمام، اذهبوا!**»[٢] تخيّلوا أنّهم جميعاً كانوا قد تركوه، وذهب أبو الفضل العبّاس وعليّ الأكبر، وبقي الإمام وحيداً، فماذا كان يحدث يوم عاشوراء؟ هل كان الإمام عليه السلام سيتراجع؟ أم كان سيقف ويقاتل؟[٣].

---

(١) في لقاء حشود من عناصر الحرس الثوريّ بمناسبة يوم الحرس، ٢٦/ ١٠/ ١٣٧٢ش- ١٨/ ١/ ١٩٩٤ م.

(٢) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣١٧-٣١٨، الإرشاد، ج٢، ص٩١، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣١٦.

(٣) في لقاء حشد من العلماء والوعّاظ على أعتاب قدوم شهر محرّم الحرام، ٢٣/ ٣/ ١٣٧٤ش-

وفي زماننا أيضاً ظهر رجل وقال: «**لو بقيت وحيداً ووقفت الدنيا بأسرها بوجهي، لن أتراجع عن طريقي**»، وهو إمامنا الخميني، وقد فعل وصدق فيما قاله، ﴿**صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ**﴾[١]،... رأيتم ماذا فعل رجلٌ ترعرع في مدرسة الحسين عليه السلام وعاشوراء. فلو كنّا جميعاً من مدرسة عاشوراء، لسارت الدنيا نحو الصلاح بشكل سريع جدّاً، ولَمُهّدت الأرض لظهور وليّ الحقّ المطلق[٢].

الصمود في الثورة الإسلاميّة، درس عاشوراء

إنّ التأمّل في مصائب يوم عاشوراء التي استمرّت من الصباح وحتّى فترة ما بعد الظهر، والتأمّل في كلّ تلك الحوادث المؤلمة الفريدة والقاصمة للظهر، وكلّ تلك الحوادث التي تحمّلها الإمام الحسين عليه السلام في تلك الثورة، تُفهمنا إلى أيّ حدّ يجب أن نكون مستقيمين في طريقنا، حتّى لا نكون جاحدين ومنكرين للحقّ أمام كلّ تلك المشقّات والآلام[٣].

ثورة عاشوراء، نموذج نهضة الإمام الخميني قدس سره

لحركة الإمام الخميني (رضوان الله عليه) أوجُه شبه كثيرة بالنهضة الحسينيّة، وهي قريبة من أنْ تكون صورة مستقاة منها. مع أنّ الحركة الأصليّة - أي نهضة الإمام الحسين عليه السلام - انتهت باستشهاد جميع رجالها، فيما آلت هذه النهضة إلى انتصار الإمام قدس سره، إلّا أنّ هذا لا يعدّ فارقاً جوهريّاً، لأنّ

١٣/ ٦/ ١٩٩٦م.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

(٢) في لقاء حشد من العلماء والوعّاظ على أعتاب قدوم شهر محرّم الحرام، ٢٣/ ٣/ ١٣٧٤ش- ١٣/ ٦/ ١٩٩٦م.

(٣) في لقاء أعضاء الجهاد الجامعيّ، ١٠/ ٦/ ١٣٦٦ش- ١/ ٩/ ١٩٨٨ م.

للحركتين فكراً واحداً ومضموناً واحداً، وكلتاهما محكومتان بسياق واحد ومخطّط واحد. لكنّ تفاوت الظروف والمقتضيات أدّى إلى أن يؤول مصير تلك إلى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، بينما خُتمت هذه باستلام إمامنا الخمينيّ زمام الحكم. وهذا بشكل عامّ أمر جليّ وواضح.

من أوجه الشبه البارزة في كلتا الحركتين جانب «**الاستقامة**». ولا ينبغي المرور على مغزى هذه الكلمة ومفهومها مرورَ الكرام، لأنّها على جانب كبير من الأهمّيّة، إذ كانت تعني بالنسبة إلى الإمام الحسين عليه السلام العزم على عدم الانصياع ليزيد وحكمه الجائر. ومن هنا انطلقت بوادر التصدّي وعدم الاستسلام لحكومة فاسدة حرفت نهج الدّين بالكامل. بهذه النيّة سار الإمام عليه السلام من المدينة، لكنّه حينما لمس بمكّة وجود الناصر[1] قرن مسيرته تلك بالعزم على الثورة. وإلّا فإنّ الجوهر الأساس لموقفه المعارض كان هو الوقوف بوجه حكومة لا يمكن القبول بها أو تحمّلها وفقاً للموازين الحسينيّة.

وقف الإمام الحسين عليه السلام بادئ الأمر في وجه هذه الحكومة ثمّ أصبح يواجه المشاكل التي كانت تبرز الواحدة تلو الأخرى. فوجد نفسه مضطراً إلى الخروج من مكّة[2]، ثمّ حصل الاشتباك في كربلاء إلى ما هنالك من الضغوط التي تعرّض لها شخص الإمام في تلك الواقعة. هذا كلّه كان من جملة هذه المشاكل[3].

---

(١) الطبقات الكبرى، الخامسة ١، ص٤٥٨-٤٥٩، الإرشاد، ج٢، ص٣٩-٤١، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٣٤-٣٣٦.

(٢) أنساب الأشراف،ج٣، ص١٦٣-١٦٤، شرح الأخبار، ج٣، ص١٤٣-١٤٥، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٣٤-٣٣٦.

(٣) في حشود مهيبة من زوّار مرقد الإمام الخمينيّ رضوان الله عليه، ١٤/ ٣/ ١٣٧٥ ش- ٤/ ٦/ ١٩٩٧ م.

الأربعون، صمود في مواجهة الاستكبار

ما جرى أيضاً في أربعين الإمام الحسين عليه السلام هو مواجهة ومقاومة لنظام مستكبر، بمعنى أنّ تحرّك عائلة الإمام عليه السلام - من أيّة جهة جاؤوا وكانوا، من الشام أو من المدينة إلى كربلاء - لإحياء واقعة عاشوراء، كانت حادثة مقاومة وواقعة شهادة. وهذه الحوادث قد التحمت وامتزج بعضها ببعض.

يمكننا نحن أن نستفيد من معاني هذه الحوادث، التي لا تُحصى، من أجل تقدّم ثورتنا، وهنا توجد نقطة وهي: أنّ المقاومة في وجه القوى الشيطانيّة لا تعرف زماناً معيّناً ومكاناً محدّداً وشريحة محدّدة من المجتمع، ولا ظروفاً اجتماعيّة وعالميّة مختلفة.

هذا هو السرّ، الذي بسبب عدم الالتفات إليه، ابتُلي كثيرون في الماضي وفي عصرنا أيضاً بالتحفّظ والمهادنة والتراجع في قبال القوى المتسلّطة، لأنّهم لم يعرفوا هذا السرّ، أي أنّه لم يكن لديهم إحساس وشعور بأنّ المقاومة والإصرار على القيم المقبولة لا تعرف ظروفاً مساعدة أو غير مؤاتية، هي أبديّة، في كلّ مكان وبالنسبة إلى كلّ شخص[1].

---

(١) في لقاء اتحادات الهيئات الإسلاميّة للطلّاب في مختلف المناطق، ١٢/ ٨/ ١٣٦٤ ش - ٣/ ١١/ ١٩٨٦ م.

الصبر

الصبر والتسليم أمام الله

عندما عرضوا على الحسين بن عليّ عليهما السلام الذهاب من كربلاء ونينوى إلى المدينة[1] أو إلى اليمن وأن يقضي بقيّة عمره مرتاحاً هناك[2]، فإنّ المانع الذي حال دون قبول أبي عبد الله عليه السلام بهذا الاقتراح هو التكليف. كما إنّ الإمام عليه السلام قد بيّن في مواقفه وكلماته أنّ الله سبحانه لا يرضى من الإنسان بنصف بامتثالٍ ناقصٍ للتكليف. في كلّ لحظات سفر الإمام الحسين عليه السلام المليء بالوقائع والحوادث، يدرك الإنسان بنحو واضح من خلال كلمات الإمام عليه السلام وأقواله، أنّ هذه الحركات وهذه السكنات هي في سبيل الله ولله. ففي تلك اللحظات الأخيرة، ومن جملة الكلمات التي نُقلت عنه عليه السلام وقد سمعناها جميعاً وهي صحيحة طبعاً، هذه الكلمة: «**صبراً على قضائك يا ربّ لا إله سواك**»[3].

أنا مسلِّمٌ. هذه روح واقعة كربلاء، التسليم لله![4].

الإمام الحسين إنسان، لكنّه إنسان استثنائيّ، هو عبد صالح. عندما يكون الإنسان مستعدّاً لأن يُذبح طفله ذو الأشهر الستّة أمام ناظريه لله تعالى،

---

(١) أمالي الصدوق، ث٢١٧، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣١٤.

(٢) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٢٨٨، مناقب آل أبي طالب ج٣، ص٢٤٠، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٦٤.

(٣) مقتل الحسين، المقرّم، ص٢٩٧.

(٤) كلمته في ١٦/ ٨/ ١٣٥٩ش- ٧/ ١١/ ١٩٨١ م.

فهذا قمّة الإنسانيّة، وهذا ما ينبغي علينا أن نتعلّمه. أقول ذلك وأنا معتقد به بحقّ، إنّه في تلك اللحظة قد وصلت الإنسانيّة إلى أوج عظمتها، أن يحمل الإمام الحسين طفله ذا الأشهر الستّة على كفّيه ويرمي دماء نحره نحو السماء[١]. هذه هي قمّة الإنسانيّة. يندر وجود هكذا إنسان بهذه العظمة في التاريخ. لقد كانت عاشوراء اليوم الذي بلغت فيه الإنسانيّة أوجها وذروتها.

من جهة أخرى، أصبح محرّم العام ٦١ للهجرة مبدأ جميع الحركات والتضحيات الكبرى على طول التاريخ، وقد تحوّل ذلك إلى أصل وقاعدة، أن يعتبر الإنسان المقاومة وظيفةً وتكليفاً[٢].

مفهوم الصبر ومراتبه في مرآة عاشوراء

لقد قلت لكم مرّةً: إنّ صبر الإمام الخميني ﷺ شبيه بصبر الإمام الحسين ﷺ في الاستقامة والثبات على مواصلة الدرب واستمرار المهمّة وعدم التراجع.

إنّ صبر الإمام الحسين ﷺ هو الذي صان الإسلام على مرّ التاريخ وحتّى يومنا هذا، وفي الحقيقة لولا صبر الإمام الحسين ﷺ، ذلك الصبر التاريخيّ في كربلاء وقبيل واقعة كربلاء وفي مقدّماتها وما سبقها، فلا شكّ في أنّه بمرور قرنٍ واحدٍ من الزمان، لم يكن ليبقى من الإسلام حتّى اسمه، بيد أنّ الإمام الحسين ﷺ أحيى الدّين ببركة صبره الذي لم يكن صبراً هيّناً.

ليس الصبر في أن يتعرّض الإنسان للتعذيب أو يتعرّض أبناؤه للتعذيب أو القتل أمام عينيه ويصمد فحسب - وإن كانت هذه واحدة من مراحل الصبر المهمّة - إلّا أنّ الأهمّ من ذلك (أن يصبر على) الوساوس والمواقف التي قد

---

(١) مقاتل الطالبيّين، ص٩٥، مثير الأحزان، ص٥٢، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٤٦.

(٢) في ١٦/ ٨/ ١٣٥٩ش - ٧/ ١١/ ١٩٨١ م.

تبدو في ظاهرها بنظر البعض منطقيّة فتصدّ المرء عن مواصلة الطريق، وذاك ما فعلوهُ مع الإمام الحسين عليه السلام، حين قالوا له: إلى أين أنت ذاهب؟ إنّك تعرِّض نفسك وأهلك للخطر، وتدفع العدوّ لأن يتجرّأ وتتطاول أيديهم على دمائك. وكلّ من جاء إلى الإمام الحسين عليه السلام وضع قرار الإمام وتصميمه في مواجهة هذا المحظور الأخلاقيّ، وهو: إنّك بخطوتك هذه إنّما تخاطر بأرواح فئة من النّاس وتجعل العدوّ أكثر تسلّطاً وتدفعه لأن يلطّخ يديه بدمائك[1].

وهذه قضيّة على قدر كبير من الأهمّيّة ومثيرة للتردّد. إنّها حرب بيّنة، ولا يستطيع المرء أن يقول بهذا الوضوح: إنّني ذاهب لكي أُقتل، كلا، بل هناك محاذير تلاحقه. وربّما كان هذا المعنى وارداً لدى الإمام الحسين عليه السلام أو أنّهم هم طرحوه أمامه: أيّها السيّد! إذا قُتلت سيبادرون لإبادة شيعتكم في الكوفة، فيجب أن تبقى حيّاً لتكون ملاذاً لهم، فأنت سبط النبيّ، وبالمحافظة على حياتك تحافظ على حياة مجموعة من النّاس[2].

سيّد الشهداء عليه السلام، صبر لا نظير له

عندما نطرح عاشوراء بوصفها درساً، لا ينبغي إغفال جانب الدعاء فيها. الدعاء جميل من جميع النّاس، وبالأخصّ من إنسان بعظمة الإمام الحسين عليه السلام، وكذلك في يوم بعظمة عاشوراء.

في بعض الموارد، تحكي أدعية الإمام الحسين عليه السلام عن تأثّره بحادثة ما. هذه الروح العظيمة وهذه العظمة التي لا نظير لها في يوم عاشوراء تهتزّ في

---

(١) أنساب الأشراف، ج٣، ص١٦٣، الأخبار الطوال، ص٢٢٨-٢٢٩، مروج الذهب، ج٣، ص٥٦، الأمالي، الصدوق، ص٢١٨-٢١٩، الإرشاد، ج٢، ص٣٤-٣٥، تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص٢٠٨-٢١١، إعلام الورى، ج١، ص٤٤٦، الخرائج والجرائح، ج١، ص٢٥٣-٢٥٤، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٧، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٧٥.

(٢) في لقاء أعضاء مجلس خبراء القيادة، ٢٣/ ١٢/ ١٣٨٠ش- ١٤/ ٣/ ٢٠٠٢ م.

مقابل بعض الحوادث، وفي الواقع فإنّ هذه الحوادث بالنسبة إلينا هي مدعاة للعبرة بمعنى أنّ عظمة روح الإمام عليه السلام وشموخه لم يكونا بحيث لا تؤدّي هذه المتاعب والآلام إلى حزنه واغتمامه. لا ليس كذلك، بل إنّ غمّه وألمه في بعض الحوادث كانا كبيرَيْن جدّاً، بحيث تجعله، تلك الحوادث يلجأ إلى الله لمناجاته، لكنّه يصبر في مقابل هذه الحوادث ويتحرّك بصبر وشكيمة.

إحدى الحوادث التي هزّت الإمام الحسين عليه السلام، وقد رفع عندها يده إلى السماء، كانت شهادة الطفل الرضيع، حادثة هزّت الإمام واقعاً، فبعد أن ذُبح هذا الطفل وهو في حضن أبيه بسهم حرملة، وتدفّقت الدماء من نحره، وضع عليه السلام كفّيه تحت هذه الدماء ورمى بها نحو السماء[١] داعياً بهذا الدعاء: «**ربّ إن تكن حبست عنّا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير وانتقم لنا**[٢] **واجعل ما حلّ بنا في العاجل ذخيرة لنا في الآجل**»[٣].

هذا يشير إلى أنّ هذه الحادثة كان لها أثرها العميق والبالغ على الإمام عليه السلام حتّى يناجي ربّه بهذه الكلمات.

فلننظر، أيّة حالات، ولطائف روحيّة كانت للإمام عليه السلام، وبالتالي أي توجّه كان له إلى الله المتعال. أي أنّه تكلّم مع الله وناجاه - في هذا الوضع - بدل السلوك الغاضب والحسرة والانقباض. هذا درس لكلّ المسلمين ولأتباع الحسين بن عليّ عليهما السلام[٤].

صبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام واحتسابُه

فيما يتعلّق بالإمام الحسين عليه السلام وبقيّة الأئمّة عليهم السلام، أحياناً نقرأ ماذا فعلوا:

---

(١) مقتل الحسين، المقرّم، ص٢٨٥.

(٢) الإرشاد، ج٢، ص١٠٨، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٧٥.

(٣) مقتل الحسين، المقرّم، ص٢٨٦.

(٤) في خطبة صلاة الجمعة، طهران ٢٣/ ١٢/ ١٣٧٩ش - ١٤/ ٣/ ٢٠٠١ م.

«**صبرت واحتسبت**»[١]. وفي مكان آخر يقولون: «**صبراً واحتساباً**»[٢]. «**الاحتساب يعني كنت في جنب الله. قلت: إلهي! أنا أقوم في سبيلك ولأجلك**»[٣].

صبر الإمام الحسين عليه السلام وثماره

لدينا الكثير من الثورات، لكن ثورة الإمام الحسين عليه السلام مع كلّ هذه الخصوصيّات لا نظير لها. كانت سلطة الباطل تتّسع وتتزايد بوقاحة وقسوة شديدة، ولم يبق مجال لأيّ أمر بمعروف ونهي عن منكر، وكان جوّ الرعب طاغياً إلى الحدّ الذي جعل الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ينأون بأنفسهم عن مواضع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

في ظلّ هذه الأوضاع قام الإمام الحسين عليه السلام بالعمل ذاته الذي كان قد قام به النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله في يوم المباهلة مع نصارى نجران، حيث ذكر القرآن الكريم: ﴿**فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[٤]، كذلك لقد أتى الإمام الحسين عليه السلام بأغلى وأعزّ ما لديه إلى الميدان للدفاع عن الحقيقة والقيام لله، وقد صبر بعد ذلك. وإنّ صبر الإمام الحسين عليه السلام هذا هو على قدر كبير من الأهمّيّة.

نحن أصلاً لا نفهم معنى «**الصبر**». الصبر إنّما يُمكن أن يفهم في موقع الصبر وظرفه. كثيراً ما كان يأتي إلى الإمام الحسين عليه السلام من الكبار والمحدّثين

---

(١) مصباح المتهجّد، ص٧٤٥، بحار الأنوار، ج٩٧، ص٢٦٥.

(٢) الهداية الكبرى، ص٢٠٤.

(٣) في لقاء مساعدي وزارة الأمن، ٢٣/ ١٢/ ١٣٧٩ش- ١٤/ ٣/ ٢٠٠١ م.

(٤) سورة آل عمران، الآية:٦١.

والشخصيّات البارزة والمعروفة وأصحاب الجاه والعقلاء والمحبّين وأنصاف المحبّين الذين كانوا يقولون له: «**أيّها السيّد! إنّك تقوم بعمل لا فائدة منه، أنت تقوم بإهلاك نفسك وعائلتك وآل بيت الرسول بهذا العمل، وتذلّ أهل الحقّ!**»، كانوا يتحدّثون بمثل هذا الكلام[1]. ومنذ البداية وما إن علم بعضهم أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان قد عزم على المسير من مكّة، حتّى بدأت هذه الموانع الأخلاقيّة المتعدّدة تظهر أمامه، واستمرّت حتّى ليلة عاشوراء. لقد صبر الإمام الحسين عليه السلام أمام مثل هذه الحوادث، ذلك هو الصبر الذي تحدّثنا عنه. وكذلك قد صبر الإمام (الخمينيّ) رضوان الله عليه. ففي مرحلة النهضة والثورة، كثيراً ما قيل له: «**أيّها السيّد! هذه الشباب تزهق أرواحها، يُقتلون بهذه الطريقة، تخرّب البلاد!**»، لكن الإمام رضوان الله عليه صبر. الصبر في مقابل نصائح الجاهلين قصيري النظر، أمر بالغ العظمة.

يحتاج الصبر إلى الكثير من القدرة. فالصبر ليس دائماً على الضغوط والمصائب الجسميّة. الصبر أيضاً في مقابل ضغوط المصالح والمنافع، وعدم التخلّي عن الطريق البيّن والواضح، هو ذلك الصبر العظيم والجميل الذي تحمّله أبو عبد الله الحسين عليه السلام. ثمّ في يوم عاشوراء، صبر الإمام عليه السلام مرّة أخرى أمام ذلك الوضع المفجع، إذ قطّعت أجساد كلّ واحد من أصحابه وأهل بيته إرباً إرباً. لم يكن الأمر مجرّد سقوط قذيفة قتلت عدداً من النّاس، لا. فكلّ واحد كان يُقتل من أصحابه وأهل بيته كان بمثابة قطعة تنفصل من بدنه الشريف، وكان يصبر على كلّ ذلك كله. وقد شرب جرعات الصبر هذه كلّها واحدة تلو الأخرى، والنتيجة كانت معروفة، أنّ

---

(١) أنساب الأشراف، ج٣، ص١٦٣، الأخبار الطوال، ص٢٢٨-٢٢٩، مروج الذهب، ج٣، ص٥٦، الأمالي، الصدوق، ص٢١٨-٢١٩، الإرشاد، ج٢، ص٣٤-٣٥، تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص٢٠٨-٢١١، إعلام الورى، ج١، ص٤٤٦، الخرائج والجرائح، ج١، ص٢٥٣-٢٥٤، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٧، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٧٥.

تلك القيم التي أراد الإمام الحسين عليه السلام بقاءها - القرآن، واسم الاسلام، والقيم الإسلاميّة وحديث النبيّ صلى الله عليه وآله - قد بقيت. وبقي، في دائرة أضيق وأهمّ، التشيّع الذي هو مذهب أهل البيت عليهم السلام.

... فلو أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يقم بهذا العمل، فلن تمضي برهة وجيزة حتّى يذهب الإسلام من أساسه. كان الإمام الحسين عليه السلام - في الواقع - بمثابة ذلك الوتد العظيم الذي حفظ بدمائه هذه الخيمة المضروبة بالطوفان. وليس هذا أكبر ملحمة في تاريخ الإسلام وحسب، بل أكبر ملحمة في التاريخ قاطبة. ينبغي أن يُحفظ ذلك ويبقى حيّاً، وينبغي على الدوام الاستفادة منه كمفتاح حلّ للعقد والمعضلات في تاريخ المسلمين[1].

الصبر والشكر عند الإمام عليه السلام وأهل بيته

إنّ الحياة الكريمة لا بدّ وأن يكتنفها الكثير من المصائب، وقد كانت ساحة الطّفّ الحسيني بذاتها مسرحاً لمصائب شتّى. وإنّه لأمر مدهش حقّاً، كيف أنّ الله عزّ وجلّ جعل ساحة عاشوراء الحسين عليه السلام مسرحاً لمجموعة من المصائب الكبرى، بحيث تمكّن أشخاص عظماء وعلى رأسهم أبو عبد الله الحسين عليه السلام من تحمّل هذه المصائب الكبرى بإباء وشموخ وصبر وشكر. في الحقيقة، إنّ كلّاً من طرفي القضيّة كان أمراً فريداً من نوعه على امتداد تاريخ البشريّة، ففي (الأوّل) لم تشهد الإنسانيّة على مدى حياتها واقعة تجسّدت فيها كلّ هذه المصائب مجتمعة وبهذا القدر من الشدّة والتنوّع، خلال برهة زمنيّة لم تستمرّ لأكثر من فترة الصباح حتّى العصر، وكذا (في الثاني)، فالصبر الذي قوبلت به تلك المصائب كان فريداً من نوعه أيضاً.

---

(١) في نهاية درس البحث الخارج، ٢١/ ١٢/ ١٣٨٠ش - ١٢/ ٣/ ٢٠٠٢ م.

(لقد تجلّت في تلك الواقعة) ألوان الظلم والقتل ومشاعر الغربة والعطش، وكذا الآلام التي يكابدها الإنسان في سبيل عائلته، والقلق الذي ينتابه من المستقبل الآتي، وما تلاه من فقد أعزّ الأنفس في عالم الوجود - أيّ الحسين بن عليّ وأهل بيته وأبنائه وأصحابه عليهم السلام - ثمّ الأسر والسبي على يد أراذل بعيدين عن قيم الشرف، إذ إنّ السبي على يد أناسٍ أشراف يُهوّن من وقع المصيبة، ولكنّهم سُبوا على يد أناس عديمي الشرف، أصلاً هم ليسوا أناساً، كانوا ذوي طباع حيوانيّة متوحّشة. وبعد تلك المصيبة المتواصلة من الصباح حتّى المساء، مُني أهلُ بيت الإمام الحسين عليه السلام بمصيبة السبي التي ألقت بثقلها على كاهل الإمام السجّاد عليه السلام — مقام الإمامة - وعلى العقيلة زينب - وهي تالية تلو مقام الإمامة - ثمّ على النساء والأطفال الذين لم يكن لديهم - حسب الظاهر - مقامات معنويّة عالية من قبيل الولاية والإمامة، إلّا أنّهم تحمّلوا مرارة المصيبة. وهذا هو السرّ العظيم الذي خلّد واقعة عاشوراء[1].

صبر زينب الكبرى عليها السلام واستقامتها

في عاشوراء الحسين عليه السلام، بعد أن قتل شباب بني هاشم وقطّعت أجسادهم إرباً إرباً، وبعد أن تحمّلت زينب أخت الحسين عليه السلام ومرآة الحسين كلّ تلك الآلام والحرقات في عين الله، وفي اللحظات الأخيرة تقدّمت إلى المقتل، وجدت جسد الحسين المجروح والمدمّى والمقطّع، وضعت يديها تحت جسده الشريف وقالت: «**اللهمّ تقبّل منّا هذا القربان**»[2].[1]

---

(١) في لقاء جمع من عائلات الأسرى والمفقودين خلال الحرب المفروضة، ٣١/ ٢/ ١٣٧٦ش - ٢١/ ٥/ ١٩٩٨م.

(٢) مقتل الحسين، المقرّم، ص٣٢٢.

تحمّل أقسى أنواع الأسر والسبي

إنّ الذين سُبوا (في واقعة عاشوراء) كانوا من أهل بيت الوحي والنبوّة وهم أشرف النّاس وأكرمهم في تاريخ الإسلام. فقد داروا بنسوة سبايا في الأزقّة والأسواق، ولهنّ من الشأن والشرف ما لا نظير له في المجتمع الإسلاميّ آنذاك. والذين سبوهم هم أولئك الذين لم يشمّوا رائحة الإسلام، ولم تكن لهم أيّة علاقة بالإسلام، وكانوا من أخبث وأنجس البشر في زمانهم.

في يوم الحادي عشر من المحرّم[٢] وقع آل بيت النبيّ وآل عليّ بن أبي طالب عليهم صلوات الله في الأسر، وستبقى هذه الذكرى واحدةً من أقسى الذكريات مرارة وأشدّها بالنسبة إلينا حتّى هذا اليوم وإلى آخر العمر، وسوف تبقى كذلك.

بالطبع هناك فرق بين أسر ذلك اليوم وأسر هذا اليوم، فأسرى اليوم، من الجنديّ والضابط والمقاتل أو حتّى المدنيّ - عندما يكون القائم على الأسر نظاماً بائساً كالنظام البعثيّ - يبقون مدّة في الأسر بعيداً عن ذويهم وأهليهم. وأنّه لأمر شاقّ، إلّا أنّ الفرق بينه وبين أسر ذلك اليوم كالفرق بين السماء والأرض. كان الأسر في اليوم الحادي عشر من المحرّم أسراً جماعيّاً للنساء والأطفال ومن تبقّى من الرجال، وكان مصحوباً بالتحقير والتجويع والإهانة والبرد والحرّ والدوران في الأزقّة والأسواق وفي أشدّ الظروف قساوة وما إلى ذلك[٣].[٤]

---

(١) كلمته في ١٧/ ٦/ ١٣٥٩ش - ٨/ ٩/ ١٩٨١ م.

(٢) أنساب الأشراف، ج٣، ص٢٠٦، الإرشاد، ج٢، ص١١٤، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٠٧.

(٣) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٤٩، الفتوح، ج٥، ص١٢٠، الأمالي، الصدوق، ص٣٢٠، اللهوف، ص١٠١-١٠٢، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٥٤.

(٤) في لقاء حشود كبيرة من عائلات الأسرى والمفقودين من مدن كرج طهران رامين قم كاشان زنجان أهواز، ٢٣/ ٥/ ١٣٦٨ش - ١٤/ ٨/ ١٩٩٠ م.

الصبر والبصيرة

لقد تحدّثت مراراً خلال كلّ من هذه السنن عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**ولا يحمل هذا العلم إلّا أهل البصر والصبر**»[١].

لا يستطيع أن يحمل هذا العلم ويرفعه عالياً - علم الإنسانيّة، التوحيد، الصبر - إلّا من تتوفّر فيه هاتان الخصوصيّتان، «**البصر والصبر**»، البصيرة والاستقامة. والإمام الحسين عليه السلام مظهر البصيرة والاستقامة[٢].

---

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٧٣.

(٢) في لقاء حشد من مختلف أطياف الشعب، قم، ١٩/ ١٠/ ١٣٨٦ش- ٩/ ١/ ٢٠٠٨ م.

التضحية والفداء

الإمام الحسين عليه السلام ملهم الفداء

إنّ الإمام الحسين عليه السلام إضافة إلى أنّه ابن النبيّ صلى الله عليه وآله وإمامنا، فهو ملهم حركتنا الثوريّة هذه، هو ملهم التضحيّة لشبابنا وأبنائنا وهو من علّمهم الشهادة أيضاً، هذه الشهادة التي كانت هي الضامنة لانتصار الإسلام والمسلمين[1].

تضحية أبي عبد الله عليه السلام لأجل بقاء الحقّ

في ذلك اليوم، عندما أخذ الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام بيد أعزّ أعزّائه وقادهم نحو ميدان الخطر، تعجّب كثيرون، ولامه كثيرون وحاول كثيرون منعه[2] من ذلك، لكنّ هؤلاء لم يكونوا يدركون أنّه لولا قيامه عليه السلام بهذا العمل

---

(١) في خطبة صلاة الجمعة، طهران، ١٥/ ٣/ ١٣٦٠ش- ٥/ ٦/ ١٩٨٢ م.

(٢) الطبقات الكبرى، الخامسة ١، ص٤٤٤-٤٤٧، أنساب الأشراف، ج٣، ص١٦٣، الأخبار الطوال، ص٢٢٨-٢٢٩، تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٢٥٣، و ٢٨٦-٢٨٧، الفتوح، ج٥، ص١٦-١٧، و٧٠و٩٩، العقد الفريد، ج٥، ص١٢٣، مروج الذهب، ج٣، ص٦٧، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٥٦ و٦٠، دلائل الإمامة، ص١٨٢، الإرشاد، ج٢، ص٧١-٧٢، إعلام الورى، ج١، ص٤٥٩، الثاقب، ص٣٤٠-٣٤١، مقتل الحسين، الخوارزميّ، ج١، ص٢٧١-٢٧٣، تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص٢٠١-٢٠٢، وج٦٥، ص١٢٧، الخرائج، ج١، ص٢٥٣-٢٥٤، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٤٨، الكامل في التاريخ، جزء ٤، ص٥٠، مثير الأحزان، ص١٧، تذكرة الخواص، ص٢٢٧، اللهوف، ص٤٠، تهذيب الكمال، ج٦، ص٤٢١، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٦٤.

العظيم، لم يبق الحقّ حيّاً في الدنيا، لقد ضحّى عليه السلام ليبقى الدّين[١].

في ظروف كهذه، قام الإمام الحسين عليه السلام بالعمل ذاته الذي قام به النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله في يوم المباهلة مع نصارى نجران - حيث أخذ معه - حسب نقل القرآن[٢]: أبناءه، نساءه ونفسه. لقد أخذ الإمام الحسين عليه السلام أعزّ ما لديه وكلّ ما لديه معه إلى المعركة من أجل الدفاع عن الحقيقة والقيام لله.

التضحية لأجل الدّين، رسالة الإمام الحسين عليه السلام الخالدة

كان انتصار الإمام الحسين عليه السلام ببقاء رسالته على مدى التاريخ. وكانت رسالته أنّه أظهر للمسلمين وللشعوب المسلمة أنّه كلّما تعرّض أساس هذا الدّين للخطر، أصبحَتِ الحركة القويّة والشاملة والتضحويّة أمراً لازماً ومطلوباً، حتّى لو اقتضى الأمر الحركة الاستشهاديّة، وهذا ما أظهره الإمام عليه السلام نفسه. كانت هذه هي الأجواء السائدة ذلك اليوم، وكان هذا هو خطاب الإمام الحسين عليه السلام ورسالته ومفهوم حركته[٣].

أكبر الدروس التي قدّمها لنا شهر المحرّم

شهر المحرّم هو من عرّفنا على شخص بعظمة الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام، صاحب النفس العزيزة، ذلك الإنسان الذي وُجدَت الدنيا بتمامها ببركته، هذا الإنسان بتلك العظمة وتلك البركات الكبرى، أخذ معه أفضل أهل زمانه: حبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة وبقيّة شهداء كربلاء، ومعهم أبناؤه وأعدّ نفسه وكلّ هؤلاء للتضحية. وأكثر من ذلك فهو أحضر نساءه

---

(١) في لقاء وجمع من عوائل الشهداء، مصلّى أراك، ٢٤/ ٨/ ١٣٧٩ش - ١٥/ ١١/ ٢٠٠١ م.

(٢) الآية: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، آل عمران، ٦١.

(٣) في لقاء حشد كبير من عناصر الحرس الثوريّ، ١٠/ ٧/ ١٣٦٣ش - ٢/ ١٠/ ١٩٨٥ م.

وبناته وحرم النبيّ ﷺ لتُسبى كما تُسبى نساء الكفّار والغرباء، ويُدار بهنّ من بلد إلى بلد[١].

كان الإمام الحسين عليه السلام يرى ذلك بوضوح في مرآة قلبه المشعّ بالضّياء وهو يعلم أنّه سيحدث ذلك[٢]، ومع ذلك أخذهم معه جميعاً إلى مصارعهم، حتّى الإمام السجّاد عليه السلام أخذه معه بيد أنّ الله تعالى قد ادّخر الإمام السجّاد عليه السلام للإمامة - أصبح هذا درساً - هذا هو الدرس الأوّل. وهو أكبر درس من دروس شهر المحرّم، أنّ على كلّ إنسان مؤمن بالله والإسلام أن يعرف تكليفه ووظيفته.

وعندما تدعو الحاجة إلى الدفاع عن الإسلام، يجب إعداد الأنفس للتضحية والقربان وترخص حتّى أعزّ الأرواح والأنفس[٣].

التضحية والجهاد، ضروريّان لحفظ الإسلام

لا شيء يتحقّق في الدنيا بدون تضحية، بدون جهاد، بدون تعب وألم، حتّى لو كان صغيراً، لا في الدنيا ولا في الآخرة، فالنتائج الأخرويّة تحتاج إلى تعب وجهد، وكذلك النتائج الدنيويّة. من الطبيعي أنّه سيكون أمامنا على هذا الطريق وبإزاء هذه النتائج تعب ونصب، وآلام وشدائد وخسارات. ففي طريق الإسلام تُبذل النفوس العزيزة، فمئات الشباب عندنا ليسوا بشيء أمام عليّ الأكبر، والآلاف، بل الملايين من النّاس لا يضاهون سيّد الشهداء عليه السلام، ولولا أنّ الإمام الحسين عليه السلام جاهد وضحّى لما بقي الإسلام طوال هذه القرون الأربعة عشر، وعليكم أن تقدّروا هذا جيّداً، قدّروا تضحيات الإمام الحسين عليه السلام، مع

---

(١) الفتوح، ج٥، ص١٢٠ و ١٢٧، اللهوف، ص٨٤ و ٥٩، ١٠٠، بحار الأنوار، ج٥، ص١٠٧-١٢٤.

(٢) الفتوح، ج٥، ص٨٤، دلائل الإمامة، ص١٨٢، بحار الأنوار، ج٤٢، ص٣٦٤.

(٣) في جمع من مجاهدي فيلق النجف الأشرف، ٢٤/ ٥/ ١٣٦٧ش- ١٥/ ٨/ ١٩٨٩ م.

كلّ ما لتلك الذات الشريفة والمقدّسة وذلك الجوهر الثمين من قيم، أتدرون أنّه قد بذل لنا ذلك الجوهر الثمين ليبقى الإسلام خلال ١٤ قرناً[١].

التضحية، من لوازم اتباع الإمام الحسين عليه السلام

أيّها الإخوة، لو أنّنا نُقتل اليوم، أو نُشلّ، أو يُقتل منّا اثنان أو ثلاثة من البيت الواحد نفسه، أو عانينا من قلّة الإمكانات في الجبهة، إنّ أيّة مصيبة قد تصيبنا اليوم[٢]، فكلّ ذلك سيكون أقلّ بكثير من مصيبة الحسين بن عليّ عليهما السلام.

لقد تحمّل الإمام عليه السلام أكبر المصائب حتّى يعلّمنا أن نتحمّل المصائب في سبيل الله. هذا هو الدرس! أي نقول: إنّ عمل الحسين بن عليّ عليهما السلام كان درساً..

أنّ، شخصٌ يأتي ويقول: أنا مسلم، ومن أتباع الحسين عليه السلام، فهذه هي المعركة وهذا هو الميدان! هذا هو معنى الاتّباع! وإلّا فأنّ أجلس أنا هناك وقائدي ومقتداي يتقدّم ويقوم بعمل ليبيّن لي ما ينبغي القيام به، فأقول له: أنا مطيع لكم، ومريد لكم، موافق لكم، لكن هذا العمل الذي قمتم به أنا لا أقوم به! فهذا ليس من الإمامة! وليس اتّباعاً. لقد ضحّى الحسين عليه السلام بنفسه من أجل الدّين، ذلك النوع من التضحية وتقديم الفداء! فكيف يكون شخص من أتباع الحسين عليه السلام ولكنّه ليس مستعدّاً للتضحية؟! ليست التضحية في هذا العصر وفي كلّ العصور بعظمة وشدّة مصيبة أبي عبد الله عليه السلام ولن تكون[٣].

---

(١) في خطبة صلاة الجمعة، طهران، ٤/ ٧/ ١٣٦٥ش - ٢٦/ ٩/ ١٩٨٧ م.

(٢) بالإشارة إلى سنوات الدفاع المقدّس والحرب المفروضة ٨٠ - ٨٨ -.

(٣) في حشد من فيلق "فتح ٤٨" ٢٧/ ٥/ ١٣٦٧ش - ١٨/ ٨/ ١٩٨٩ م.

المسلم الواقعيّ (الحقيقيّ)

يقدّم شهر المحرّم لمن يريد أن يتعرّف إليه أشياء عديدة. فهو أوّلاً، يظهر لجميع مسلمي العالم والذين استطاعوا أن يفهموا درس المحرّم أنّه على الإنسان مهما كان شأنه ومقامه، أن يسترخص بذل روحه في سبيل الدفاع عن القرآن والإسلام. هناك أناس يدّعون أنّهم أتباع الإسلام، لكنّهم ليسوا على استعداد لتلقّي صفعة واحدة في سبيل الدفاع عن الإسلام، وليسوا على استعداد للتخلّي عن مصالحهم الشخصيّة للدفاع عن القرآن، هؤلاء لا يمكنهم الادّعاء بأنّهم مسلمون حقيقيّون[١].

ضرورة التضحية للدفاع عن الدّين في أحلك الظروف

قَدِم الإمام الحسين عليه السلام مع أصحابه وأهل بيته إلى العراق للدفاع عن الإسلام والدّين، واتّجهوا ناحية الكوفة، واستقرّوا في منطقة يقال لها كربلاء[٢].

كان هدف الإمام الحسين عليه السلام هو تشكيل الحكومة الإسلاميّة، كان يريد أن يعيد الإسلام الذي انحرف عن مساره إلى جادّته الأساسيّة، هذا هو الهدف.

فالحسين عليه السلام يعلم جيّداً أنّه سيواجهه في طريق هذا الهدف، كلّ تلك الأخطار الكبرى، وهو على يقين أنّ الشهادة في سبيل الله تعالى لا تنتظره لوحده وحسب، إنّما هي مصير حتميّ لكلّ أصحابه وعائلته وأقربائه، ومع ذلك فقد أقدم وهذا هو الدرس، هو أحد الدروس الكبرى التي تُستفاد من عاشوراء.

الإمام الحسين عليه السلام إمامنا، يعني بما أنّنا شيعة الحسين بن عليّ عليهما السلام يجب أن نعتبر أنفسنا مكلّفين باتّباع هذا العظيم.

---

(١) في حشد من مقاتلي فيلق النجف الأشرف ٢٤/ ٥/ ١٣٦٧ش- ١٥/ ٨/ ١٩٨٩ م.

(٢) الأخبار الطوال، ص٢٥٢، النهوض، ص٤٩، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٨١.

أحد دروس عاشوراء هو أنّه كلّما شعر الإنسان أنّ الإسلام في خطر وكلّما شعر أنّ العدوّ قد رسم مشروعاً خطيراً للقضاء على الإسلام، يجب عليه النزول إلى الميدان وأن يعدّ نفسه لتحمّل هذا الخطر. مهما كان هذا الخطر، حتّى لو بلغ حدّ القتل! فهذا القتل شهادة في سبيل الله وفخر، وهو مصدر العزّة والسعادة[١].

رسالة الشهيد: ضرورة التضحية في سبيل الأهداف الإلهيّة

الرسالة التي كان يحملها هؤلاء الشهداء ويفترض بنا استلهامها منهم، هي أنّ من يبتغي مرضاة الله، ويطمح لأن يكون وجوده نافعاً في سبيل الله وعلى طريق تحقيق الغايات الإلهيّة السامية في عالم الوجود، فعليه أن ينكر ذاته في مقابل الأهداف الإلهيّة. وليس هذا من نوع التكليف الذي لا يُطاق. فأيّما فئةٍ مؤمنة تمسّكت بهذه السمة انتصرت كلمة الله، وحيثما ارتعدت فرائص المؤمنين، كانت الغلبة - بلا جدال - لكلمة الباطل[٢].

المباهلة العمليّة للإمام الحسين عليه السلام في كربلاء

يوم المباهلة هو اليوم الذي جاء فيه رسول الإسلام الأكرم صلى الله عليه وآله بأعزّ النّاس لديه إلى الساحة. النقطة المهمّة في المباهلة هي: ﴿**وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ**﴾[٣]. حيث اختار الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أعزّ النّاس لديه وجاء بهم إلى الساحة للمحاجّة التي يُراد فيها أن يظهر المائز بين الحقّ والباطل والشاخص البيّن أمام أنظار الجميع.

لم يسبق أن أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله، في سبيل تبليغ الدّين وبيان الحقيقة،

---

(١) في حشد من لواء فتح ٤٨-، ٢٧/ ٥/ ١٣٧٦ش - ١٨/ ٨/ ١٩٩٨ م.

(٢) في لقاء أسر الشهداء القادة في محافظة طهران، ١٧/ ٢/ ١٣٧٦ش- ٧/ ٥/ ١٩٩٨ م.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

أعزّاءه وأبناءه وابنته وأمير المؤمنين[١] - وهو أخوه وخليفته[٢] - عليه السلام وأتى بهم إلى وسط الساحة. هذا هو الطابع الاستثنائيّ ليوم المباهلة، أي ما يدلّ على مدى أهمّيّة بيان الحقيقة وإبلاغها. يأتي بهم إلى الساحة ليقول: تعالوا نبتهل فمن كان على حقّ يبقَ، وليحلّ العذاب الإلهيّ بمن هو على خلاف الحقّ.

وقد حصل نظير هذه القضيّة أيضاً في شهر محرّم بشكل عمليّ، بمعنى أنّ الإمام الحسين عليه السلام أحضر، من أجل بيان الحقيقة والتنوير على طول التاريخ، أعزّ أعزّائه إلى الساحة. والإمام الحسين عليه السلام الذي كان يعلم كيف ستنتهي الواقعة، أخذ زينب وأخذ زوجاته وأبناءه وإخوته[٣] الأعزّاء[٤].

هنا أيضاً كانت القضيّة قضيّة تبليغ الدّين، التبليغ بالمعنى الحقيقيّ للكلمة، إيصال الرسالة، وتنوير الأجواء، هكذا يمكن فهم أبعاد قضيّة التبليغ ومدى أهمّيّتها. في تلك الخطبة: «**من رأى سلطاناً جائراً مستحلّاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله.. ولم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله**»[٥]، أي حينما يلوّث (السلطانُ) الأجواء بهذا الشكل وحينما يخرِّب بهذا الشكل، يجب النزول إلى الساحة والقيام بالتوعية إمّا بالفعل أو بالقول. وقد قام الإمام الحسين عليه السلام بهذه المهمّة وبهذه التكاليف الباهظة، فأخذ معه إلى وسط الميدان عياله، وزوجاته، وأعزّاءه، وأبناء أمير

---

(١) تفسير فرات الكوفيّ، ص٨٨-٨٩، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٩٣، بحار الأنوار، ج٢١، ص٣٤٥-٣٤٦.

(٢) الأمالي، الصدوق، ص٦٧٨-٦٧٩، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٢، ص٤٢-٤٣، بحار الأنوار، ج٢٣، ص٣٢٠.

(٣) الطبقات الكبرى، الخامسة ١، ص٤٥١، الأخبار الطوال، ص٢٢٨، إعلام الورى، ج١، ص٤٣٥، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٦.

(٤) في لقاء جمع من العلماء والمبلّغين، ٥/ ١١/ ١٣٨٤ش- ٢٥/ ١٢/ ٢٠٠٥ م.

(٥) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٠٤.

المؤمنين عليه السلام، وزينب الكبرى عليها السلام[١].

كانت عاقبة هذا الطريق متوقّعة وواضحة بناء لحسابات الإمام الحسين عليه السلام الدقيقة ورؤية الإمامة، إلّا أنّ المسألة على قدر كبير من الأهمّيّة من هذا الجانب، وهو أنَّ شخصاً يمتلك روحاً بعظمة روح الإمام الحسين عليه السلام يقف في مواجهة هذه القضيّة، عليه التضحية بالنفس مخلصاً، وجرّها إلى ساحة الحرب، وهذا يعتبر درساً عمليّاً بالنسبة إلى المسلمين إلى يوم القيامة، وليس درساً نظريّاً يُكتب ثمّ يُمحى[٢].

التضحية الاستثنائيّة

اختيار الزمان، (أي) في أيّ زمان يكون الفداء والتضحية؟ وأين، وفي أيّ ميدان؟ هذا مهمّ جدّاً. لقد اختار الحسين بن عليّ عليهما السلام الزمان بدقّة، فتحرّك عند الحدّ الذي فيه موت الإسلام وحياته. فإلى هذا الجانب كان موت الإسلام، وفي الجانب الآخر كانت حياة الإسلام، والإمام الحسين عليه السلام بحركته، أبقى الإسلام حيّاً. هذه هي المسألة، وهي أنّه من أجل بقاء الإسلام حيّاً، يستفيد الإنسان من الإمكانات كلّها في سبيل التضحية، من أجل التضحية والفداء في حدّه الأعلى. لو أنّ الإمام الحسين عليه السلام في ذلك اليوم لم يقم في وجه يزيد لن تكون النتيجة أنّ الإسلام سينقص منه شيء أو سيبُتلى بالانحراف وحسب، إنّما كانت المسألة أنّه لن يبقى من الإسلام شيء. وقف الإمام الحسين عليه السلام كوليّ في مواجهة هذه الحركة التي كانت بدأت من قبل جهاز السلطة آنذاك للقضاء على الإسلام. ذلك الأمر الذي أدّى به إلى التضحية والفداء. وقف ولم يتراجع، وجعل نفسه المدافع عن الإسلام في وجه المصاعب والابتلاءات التي تواجهه، فكان-

(١) الطبقات الكبرى، الخامسة ١، ص٤٥١، الأخبار الطوال، ص٢٢٨، إعلام الورى، ج١، ص٤٣٥، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٦.

(٢) في لقاء العلماء والمبلّغين على أعتاب شهر محرّم الحرام، ٥/ ١١/ ١٣٨٤ش- ٢٥/ ١/ ٢٠٠٦ م.

من جهة طبيعة التضحية - استثنائيّاً وكبيراً، ومن حيث المصيبة فريداً، وردّة الفعل التي تركها في ذاكرة ذلك اليوم وذاكرة الغد على مرّ التاريخ، قد أحيت الإسلام. في الحقيقة هذا هو المعنى الصحيح في الحديث المرويّ عن النبيّ ﷺ «**حسين منّي وأنا من حسين**»[١]. وأنّ مضمون هذا الحديث بالنسبة إليَّ واضح وضوح الشمس. فمن الواضح أنّ: عظمة النبيّ ﷺ، وبقاء دينه وبقاء جهوده، وعدم ضياع منجزاته وتضحياته، لم تكن إلّا بالحسين بن عليّ عليهما السلام، أي بذلك العمل الذي قام به الحسين عليه السلام. إنّ مصيبته ونوع مصيبته لا مثيل لهما... فشهادة الإمام الحسين وكربلاء ذلك اليوم مختلفة عن الكربلاءات الأخرى من الأرض إلى السماء، مختلفة عن شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، شهادة الإمام الحسن عليه السلام ومختلفة عن بقيّة الشهادات. حيث قالوا عليهم السلام «**لا يوم كيومك يا أبا عبد الله الحسين**»[٢]. فلا يوم كيوم عاشوراء، حصار مطلق، غربة مطلقة بالنسبة إلى المقاتلين، مع أنّ كلّها ذخائر الإيمان الحقيقيّ كانت تُسرع لتساعد ذلك الشخص ولتشارك في الفداء. وهو نفسه قال في ليلة عاشوراء: «**ما وجدت أصحاباً أوفى وأبرّ من أصحابي**»[٣].

التضحية في ظروف صعبة جدّاً واستثنائيّة

لم تكن شهادة الحسين بن عليّ عليهما السلام شهادة عاديّة. فأمير المؤمنين عليه السلام قُتل في سبيل الله، الإمام الحسن عليه السلام كذلك، والكثير من أنبياء اللهعليهم السلام وأئمّة الهدى: استشهد الكثير من الأولياء الكبار والأصحاب الأخلّاء في سبيل الله. ففي معركة أحد[٤] استشهد الكثيرون، وفي معركة

(١) مسند أحمد، ج٤، ص١٧٢، الإرشاد، ج٢، ص١٢٧، بحار الأنوار، ج٤٣، ص٢٧١.
(٢) مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٣٨، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٢١٨.
(٣) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣١٧، الإرشاد، ج٢، ص٩١، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣١٥-٣١٦.
(٤) أنساب الأشراف، ج٤، ص٣٢٨-٣٣٤، بحار الأنوار، ج١٩، ص٢٦٠.

بدر[١] وبقيّة الغزوات. في ذلك العصر حصلت شهادات كثيرة في عالم الإسلام، إلّا أنّها اختلفت كثيراً عن شهادة الحسين بن عليّ عليه السلام، لقد كانت شهادة صعبة وقاسية وفي منتهى الغربة!

يقف المجاهد في المعركة - العاديّة - بكلّ ثقة وحماس مع ما لديه من إمكانات في مواجهة عدوّ أمامه، ولديه أمل بالنصر والتوفيق في إنجاز هدفه، ليس لديه خوف على العيال والأولاد، فهناك من يرعى شؤونهم إذا احتاجوا إلى الطعام وإلى أيّ شيء في حياتهم، ثمّ لو جرح هناك من يداويه ويسهر على جراحه من الممرّضين والأطبّاء، ولو استُشهد فهناك من يشيّعه ويحمله على الأكفّ بعزّة وافتخار، فالحمزة مثلاً استُشهد، لكنّه يعرف أنّ رسول الله سيجلّله ويقدّره، وهكذا حصل. فقد خيّم العزاء على المدينة كلّها عند استشهاد حمزة[٢]، كشهدائنا الحاليّين[٣] في مدننا وقرانا، عندما يُستشهد أحد القادة في أيّ مدينة تخيّم حالة واحدة من الحماسة والاندفاع على المدينة. وهذا النحو من تقبّل الخطر يختلف كثيراً عن شخص في صحراء ملتهبة وحيداً غريباً، ولا يوجد في العالم الإسلاميّ كلّه أحد أو قوّة أو جماعة تقف خلفه، والذين كانوا إلى جانبه لم تكن لديهم القدرة على التنفّس، ليس هو وحسب، بل كلّ أبنائه، حتّى مع ابنه ذي الأشهر الستّة. ولم يحصل ذلك أيضاً مع وجود إمكانات متاحة له، بل مع انعدام كلّ الإمكانات، من جوع وعطش ونصب وحرٍّ كما إنّ ذلك لم يحصل له ونساؤه وأطفاله في مأمن، بل كانت النسوة والأطفال على بعد أقدام فقط من ساحة الحرب، كانت بناته وأخواته وعياله تحت مرمى نيران الأعداء المجنونة الغاضبة.

---

(١) دلائل النبوّة، البيهقيّ، ج٣، ص١٢٣، بحار الأنوار، ج١٩، ص٢٦٠.

(٢) أنساب الأشراف، ج٤، ص٢٨٧-٢٨٩، إعلام الورى، ج١، ص١٨٣، بحار الأنوار، ج٧٩، ص١٠٥.

(٣) شهداء الدفاع المقدّس خلال الحرب المفروضة على الجمهوريّة الإسلاميّة ١٩٨١ م-١٩٨٨ م- .

انظروا كم كانت هذه الشهادة عظيمة! انظروا ماذا فعل الحسين عليه السلام! لقد أعدَّ نفسه لهذه المصيبة ولهذا البلاء على هذا النحو. لذا، وعندما سُمَّ الإمام الحسن عليه السلام وقف الإمام الحسين عليه السلام عند رأسه وبكى، فقال له الحسن عليه السلام: أخي! لا تبكِ! «**لا يوم كيومك يا أبا عبد الله**»[١].

الإسلام، أعزّ من نفس الحسين عليه السلام

الإسلام أعزّ من أيّ عزيز لدينا، ولأنّ الحسين بن عليّ عليهما السلام وعليّ الأكبر عليه السلام وأبا الفضل العبّاس عليه السلام هم أفضل من أبنائنا، وهم قد بذلوا أنفسهم بسخاء وطمأنينة في سبيل الإسلام، فالإسلام إذاً أعزّ من أبنائنا وشبابنا. نقدّم القرابين ليبقى الإسلام، نقدّم القرابين ليبقى شرف إسلام هذا الشعب، ولكسر سلطة المستكبرين[٢].

ببركة هذه الدماء الطاهرة، حفظ الله تعالى دينه طوال التاريخ. فلدين الله عزّة عزيزة رفيعة. وعلينا جميعاً أن نغدو - واقعاً - قرابين لهذا الدّين وبقاء الشريعة ورفعة الإسلام. فللإسلام ذاك القدر من العزّة، حتّى يُستشهد من أجله شخص كالنبيّ أيضاً، وكالإمام الحسين عليه السلام. بالطبع هؤلاء لن يفهموا ذلك، ليس لديهم كلّ هذا الإيمان وكلّ هذا الاستعداد[٣].

أعزّاؤنا هم أعزّ ما لدينا، إلّا أنّ مبادئنا أعزّ. فقِيَم الشعب والأهداف الإسلاميّة لهذه الثورة هي أمور قد استُشهد لأجلها وفي سبيلها الحسين بن عليّ عليهما السلام. القرآن أعزّ أم الحسين عليه السلام؟ الحسين بن عليّ وجه إنسانيّ لا نظير له، ففي كلّ التاريخ منذ البداية وحتّى آخر الزمان لن نجد شخصاً

---

(١) الهدف، ص١٨-١٩، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٢١٨.

(٢) في لقاء جمع من عوائل شهداء شيزر، ٢٨/ ١٢/ ١٣٦١ش- ١٩/ ٣/ ١٩٨٣ م.

(٣) في لقاء عوائل شهداء مدينة الري، ٩/ ١/ ١٣٦٣ش- ٢٩/ ٣/ ١٩٨٥ م.

كالحسين بن عليّ عليه السلام، إلّا أنّ الإسلام أعزّ والقرآن أعزّ حتّى ينبغي أن يقتل من أجله الحسين بن عليّ عليه السلام وأبناؤه وأصحابه، وينالوا المجد والفخر بشهادتهم (في سبيل ذلك)، فطريقٌ كهذا هو طريق الدّين والإسلام والدافع[١].

إنّ ذلك الشيء الذي أعطاه الله في مقابل الأرواح والأنفس التي بذلها الإمام الحسين عليه السلام وشهداء صدر الإسلام وكلّ الذين ضحّوا بأنفسهم، هو أعزّ من أنفسهم. وإنّ ما افتدى الإمام الحسين عليه السلام به نفسه ليحفظه للبشريّة هو أعزّ من الحسين عليه السلام نفسه، إنّه الإسلام والقرآن اللّذان بذل الإمام الحسين عليه السلام نفسه قرباناً لهما.

وشهداؤنا الأعزّاء هم هكذا. ذهبوا إلّا أنّهم حفظوا الثورة وصانوا الأهداف[٢].

الإمام الحسين عليه السلام يبذل كلّ ما لديه في سبيل الدفاع عن الدّين إنّ واقعة حركة الإمام الحسين عليه السلام وذلك الدرس الذي علّمه للنّاس منذ البداية، هما من العجائب الملهمة، وهما لا يزالان حيَّيْن ومتجدِّدَيْن. لدينا كلّ هؤلاء الشهداء، لقد سطر بلدنا، وشعبنا، ومدننا، أعظم الملاحم، إلّا أنّ حادثة كربلاء ما زالت هي الأسوة لنا، بجميع كلماتها، وينبغي علينا الآن أن نتعلّم من كلّ مقطع وكلّ تفصيل في ذلك التاريخ، وما زال لدينا الكثير لنتعلّمه ولنصل إليه. بقي الإمام الحسين عليه السلام وحيداً مع جمع من أفراد عائلته! جاء معه أبناؤه، ابنه، ابن أخيه، ابن عمّه، أبناء أخته، خاصّته وجماعة من أقرب الأصحاب إليه، وبعضهم لم يكن لديه عهد بالحرب، وشيخ كبير قضى سنوات وسنوات إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام[٣] شاهراً سيف[٤]، والآن أصبح شيخاً

---

(١) في مراسم تكريم القوّة الجوّيّة، ٩/ ٢/ ١٣٦٣ ش- ٢٩/ ٤/ ١٩٨٥ م.

(٢) في مراسم تكريم شهداء عمليّات بدر، ١٠/ ١/ ١٣٦٤ ش- ٣٠/ ٣/ ١٩٨٦ م.

(٣) رجال البرقيّ، ج١، ص٤، لسان الميزان، ج٢، ص١٧٣، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٠٠.

(٤) إبصار العين، ص١٠١، الإعلام، ج٢، ص١٦٦.

طاعناً في السنّ قد انسدل شعر حاجبيه على عينيه. وممّن جاء أيضاً رجل آخر راوٍ للحديث[١] وآخر مفسّر للقرآن تأتيه النّاس لتستفيد من علمه ومواعظه. هؤلاء الخلّص هم من كانوا أصحاب الإمام الحسين عليه السلام.

أولئك الـ ٧٢ رجلاً[٢]، وبالطبع إلى جانبهم المرأة والطفل والأخت والزوجة والبنت وحرائر الرسالة ومن أقارب الإمام الحسين عليه السلام[٣]. لقد أخذ الإمام الحسين عليه السلام كلّ ما لديه وجعلهم معه في قبال المجرمين من أعداء الإسلام والقرآن، لأنّه يعلم أنّه بهذه التضحية سينفتح الطريق.

كانت حركة الإمام الحسين عليه السلام حركة ملهمة، يريد أن يُذكّر كلّ العالم ويُفهم النّاس جميعاً أنّه عندما تكون الظروف على هذه الحال: يحكم الظلم، ويُهجر القرآن، ويتولّى الحكم رجال غرباء عن الدّين وعن الله ويقومون بحرف قطار الدّين المنتظم عن مساره، فعلى كلّ شخص يعتبر الإمام الحسين عليه السلام إمامَه، بل على كلّ شخص يعتبر النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله نبيّه، أن ينهض ويثور. لذلك ينقل الإمام عليه السلام عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: «**أيّها النّاس، إنّ رسول الله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلّاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنّة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان..**»[٤].

(مفاد هذا الحديث) المروي عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه على النّاس أن تنهض وتتحرّك. نحمد الله تعالى أنّ الإمام الحسين عليه السلام ابن النبيّ صلى الله عليه وآله استطاع أن ينوّر وجه الإسلام ويضيئه[٥].

---

(١) رجال الطوسيّ، ص٥٥.

(٢) الأخبار الطوال، ص٢٥٦، الهداية الكبرى، ص٢٠٢، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٤. ٣.

(٣) الأخبار الطوال، ص٢٢٨، الإرشاد، ج٢، ص٣٢، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣١٣.

(٤) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٠٤.

(٥) خطبة الجمعة، طهران، ٥/ ٧/ ١٣٦٢ش- ٢٧/ ٩/ ١٩٨٤ م.

تضحية الأولياء في سبيل الإسلام والأهداف

الشخص لا معنى له بحسب الرؤية الإسلاميّة، كلّ الأشخاص فداء للأهداف والمبادئ، حتّى شخص النبيّ ﷺ. لقد ضحّى الإمام الحسين عليه السلام بنفسه فداء لأيّ شخص؟ هل ضحّى بنفسه من أجل النّاس؟ لا، هذا خطأ، لقد ثار فداءً للدّين، وللأهداف والقيم، حتّى تبقى حيّة[١].

ارتباط قيمة التضحية والشهادة بالأشخاص والظروف

تختلف أنواع الشهادة فيما بينها، فالشهادة في موقعها ووقتها لها قيمتها العُليا، لذلك تتميّز شهادة أصحاب الإمام الحسين عليه السلام بقيمة أعلى وفضل أكبر، إلى أن نصل إلى شهادة أصحاب النبيّ ﷺ. فالظروف تختلف، والشهداء ليسوا دائماً مثل بعضهم، وكذلك الشهادة.

ففي معركة أُحد استشهد كثيرون[٢]، لكنّ حمزة عمّ النبيّ ﷺ صار هو سيّد الشهداء. لماذا؟ لماذا كان لحمزة عند النبيّ ﷺ هذا القدر من الأهمّيّة والقيمة حتّى سمّاه النبيّ ﷺ بعد استشهاده بـ «**سيّد الشهداء**»؟[٣].

من أسباب ذلك أنّ الشعوب عادةً تقدّم الشهداء من أبناء الطبقات العاديّة في المجتمع ولا تُقدِّم من النخب العلميّة، أو أصحاب العناوين والاعتبارات، غالباً ما تقلّ الشهادة بين المسؤولين والقادة من المجتمع، وهي كثيرة بين عامة النّاس، والسبب أنّ الذين هم في الطبقات العليا لم يكن باستطاعتهم أن يُظهَروا في العمل، إلى جانب النّاس، كلّ ذلك الصدق والحميمية والصفاء والتضحية والمثل التي دعوا إليها وروّجوا لها، فالنبيّ ﷺ

---

(١) في لقاء مدرّسي ومربّي وأساتذة وموظّفي مركز تربيت مدرّس" بعد عودتهم من الجبهة، ٥/ ١/ ١٣٦٣ش- ٢٥/ ٣/ ١٩٨٥ م.

(٢) تاريخ اليعقوبيّ، ج٢، ص٤٨، بحار الأنوار، ج٩١، ص٣١٩.

(٣) المستدرك، ج٣، ص١٩٥، ذخائر العقبى، ص١٧٦، بحار الأنوار، ج٢٢، ص٢٧٥.

يفتخر بالشهيد الذي يسقط أمام أعين المسلمين وهو من عناصر الطبقة الأولى في ذلك المجتمع. فحمزة سيّد الشهداء، هو قائد بإمكانه أن يحرّك المجتمع وأن يدير الجيوش ويمكن أن يكون مؤثّراً في مصير ذلك المجتمع. لقد شارك بنفسه في ساحة المعركة بكلّ فداء، وضع نفسه في ظروف تمكّنه من الشهادة وقد نال الشهادة[1].

شهادة قادة الدّين، الأداة المعنويّة للانتصار على الباطل

يدّخر الإنسان رأس المال في مكان آمن. وهذا يختلف عمّا لو فرّط به، فعندها سيفتقده، لكنّه عندما يدّخره لن يضيع من يده. لذلك ترون عظماء وشهداء ذوي شأنٍ رفيع من قبيل القادة الدّينيّين، الأنبياء، الأئمّة والأولياء، والحسين بن عليّ عليه السلام وآخرين من الذين ينتفع الإسلام والمسلمون، بل البشريّة جمعاء، بأرواحهم وأنفسهم، ووجودهم مفيد، عندما يتهيّؤون للشهادة وللتضحية في سبيل الله فإنّهم يقدّمون هذه النفس على طبق الإخلاص ويسترخصونها في سبيل الحقّ، معنى ذلك أن ما يعود بشهادة هؤلاء على الإسلام والمسلمين بالنفع ليس بأقلّ ممّا سيعود عليهم من خلال بقائهم أحياءً، ولعلّه أكثر من ذلك. وفي عصرنا وزماننا الأمر كذلك أيضاً.

لا شيء يمكنه أن يردع أعداء الإسلام وأدواتهم المجهّزة ويجبرهم على التراجع غير قوّة الإيمان لدى الشعب المسلم. هذا هو العامل الوحيد الذي يمكن من خلاله إجبار أعداء الدّين والثورة، والذين يرفضون استقلال هذا الشعب، على التراجع، بحيث يُسقط في أيديهم. يمكن للوسائل الماديّة أن يُنافس بعضُها بعضاً، إلّا أنّه عندما يكون عنصر الإيمان وقوّة المعنويّات عند

(١) في لقاء لجنة إحياء ذكرى شهداء السابع من تير وعوائل الشهداء ١/ ٤/ ١٣٦٣ ش- ٢٢/ ٦/ ١٩٨٥ م.

الإنسان المؤمن حاضراً، فلا يمكن لأيّة وسيلة ماديّة أن تتغلّب عليه.

فلو لم يكن الأمر كذلك، لما بقيت الحقيقة والعدالة والدّين الحقّ على طول التاريخ. انظروا كيف تمّت مواجهة طريق الحقّ وفكر الحقّ على طول التاريخ، وقف كلّ أصحاب القدرة والمستكبرين في مقابل الحقّ، ونهض كلّ الجبابرة لمواجهته واستخدموا ما حازوا عليه من قدرات ومال وذهب حتّى لا يبقى الحقّ، وليزيلوا فكر الحقّ من الدنيا. إنّ الذي ساهم في بقائه على طول التاريخ وبين النّاس وأبقاه حيّاً، هو هذا. هناك أداة ووسيلة تجعل كلّ قوّة المال والذهب والسلطة والفرعونيّة والتجبّر عديمة الفعاليّة، وهذه هي قوّة الإنسان المؤمن ذاتها. عندما يقتحم الإنسان (المؤمن) ميدان العمل بالإيمان، تُعطّل الوسائل الماديّة.

وإذا ما كان لهذه القوّة أن تتبلور وتتجسّم، فمن الطبيعيّ أن يقدّم عدد من النّاس أنفسهم قرابين في سبيل هذا الهدف المقدّس، وأن يصبح الأفضل والصفوة من هؤلاء قرابين على الدوام، ولقد كانت الصفوة دائماً هي الفداء لطريق الحقّ وسبيل الله.

وفي زمن الإمام الحسين عليه السلام، هل كان هناك شخص تحت السماء أكثر قرباً من الله وأعزّ وأكرم من الإمام عليه السلام بالمعايير الإلهيّة؟ لا أحد! دائماً ما يكون الأعزّاء هم القرابين في سبيل الله، يجعلون صدورهم دروعاً لنجاة الآخرين، مثلهم كمثل رجل قويّ في جماعة من الضعفاء فإذا ما هاجمهم العدوّ كان هو المبادر إلى الدفاع[1].

---

(١) في لقاء لجنة إحياء ذكرى شهداء السابع من تير وعوائل الشهداء ١/ ٤/ ١٣٦٣ش- ٢٢/ ٦/ ١٩٨٥ م. في لقاء عوائل شهداء وقادة عمليّات كربلاء، ٤ و ٥، ١٥/ ١٢/ ١٣٦٣ش- ٦/ ٣/ ١٩٨٥ م.

التضحية الواعية

كان الإمام الحسين عليه السلام يرى ذلك بوضوح في صفحة قلبه المشعّة بالضّياء وهو يعلم أنّه سيحدث ذلك، هو لم يأتِ مغمض العينين، كان يعلم ماذا سيحدث في هذه الصحراء المحرقة. كان يعرف العطش والجوع، عطش الأطفال والبنات والنساء، كان يعلم أنّ العائلة ستبقى وحيدة بعد شهادة الرجال، كان يعلم أنّ هؤلاء الأعداء - عديمي الشرف ذوي الطبائع الوحشيّة - سيهجمون على الخيم بعد قتل الرجال، كان يعرف كلّ ذلك. ولكن مع ذلك كلّه فقد أقدم الإمام الحسين عليه السلام بشجاعة تامّة. ليس لأنّه لم يكن يعرف ثمّ وقع في الفخّ أو المصيدة، لا، القضيّة ليست كذلك.

كان واضحاً بالنسبة إليه ماذا سيحصل، لكن لأنّ الدفاع عن الدّين والدفاع عن القرآن وبقاء الإسلام وبقاء اسم رسول الله صلى الله عليه وآله كانت على المحكّ على طول التاريخ، فكان عليه السلام حاضراً لتقديم هذه التضحيات كلّها[1].

ثمن حفظ الإسلام برأي الإمام الحسين عليه السلام

لو ضحّى الإمام الحسين عليه السلام بروحه الطاهرة المباركة الغالية - وهي أسمى الأرواح في العالم - في سبيل هذه الثورة، لما كان هذا في نظره ثمناً باهظاً. ولو تمّت التضحية بأرواح خيرة النّاس وهم أيضاً أصحاب الإمام الحسين عليه السلام لما كانت ثمناً باهظاً في نظره عليه السلام. فأَسْرُ آل الله وحُرَم الرسول صلى الله عليه وآله، بل وأن تغدو شخصيّة كزينب سبيّةً بأيدي الأجانب، هذا كلّه لم يكن بنظر الإمام الحسين عليه السلام ثمناً باهظاً ومرتفعاً بالنسبة إلى هذا الغرض السامي الذي يريد أن يحقّقه، وقد كان عليه السلام يعلم أنّه حينما يُقتل في تلك الصحراء فسوف يُقدم هؤلاء على أسر هذه السيّدة وهؤلاء الأطفال. الثمن

---

(١) في حشد من فيلق "٤٨ فتح"، ٢٧/ ٥/ ١٣٦٧ش - ١٨/ ٨/ ١٩٨٩ م.

الذي ندفعه يجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار في ضوء ما يتحقّق مقابله للإسلام والمسلمين والأمّة الإسلاميّة وللمجتمع[١].

التضحية هي كلمة السرّ للوصول إلى الهدف

لماذا كان على الأخ، والابن، وابن الأخ، أن يأتوا ويضعوا أنفسهم في لجّة بلاء الإمام الحسين عليه السلام، مع أنّهم كانوا على يقين بأنّهم سيُقتلون؟ هذه هي التضحية العظيمة، الكبيرة والفريدة. هذه التضحية درس لنا بأنّه يجب علينا أن نضحّي. فمن دون التضحية وروح الإيثار لن يتحقّق أيّ هدف، ولن تتقدّم أيّة حركة، فهذا غير ممكن!

وقد خاطب أمير المؤمنين عليه السلام - في زمن خلافته - بعض النّاس الذين أظهروا ضعفاً وتراخياً فقال: «**ولعمري، لو كنّا نأتي ما أتيتم ما قام للدّين عمود ولا اخضرّ للإيمان عود**»[٢]. لو كنّا نعمل على النحو الذي كنتم تعملون، لما استقرَّ للدّين أساس وبناء، ولَما اخضرَّتْ أغصان هذه الشتلة. إذاً التضحية لازمة[٣].

التضحية، المفتاح لتحقّق أهداف النظام الإسلاميّ السامية

عن الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام في وصيّته لأخيه محمّد بن الحنفيّة: «إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي محمّد، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي»[٤]. وعنه عليه السلام أنّه قال: «من كان باذلاً فينا مهجته وموطّناً على

(١) ي لقاء حشد من أهالي قم بمناسبة انتفاضة ١٩ دي، ١٩/ ١٠/ ١٣٧٨ش- ٨/ ١/ ٢٠٠٩ م.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ٥٦، بحار الأنوار، ج٣، ص٣٢٨-٣٢٩، وجاء الحديث في مصادر أهل السنّة: "ولعمري لو كنّا نأتي مثل الذين أتيتم ما قام الدّين ولا عزّ الإسلام...". وقعة صفّين، ص٥٢٠-٥٢١.

(٣) في مقر "كربلا" الأهواز، ٢/ ٦/ ١٣٦٧ش- ٢٤/ ٨/ ١٩٨٩ م.

(٤) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩.

لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإنّي راحل مصبحاً إن شاء الله»[١].

إنّ النقطة التي تخطر ببالي حول هذين الحديثين لسيّد الشهداء عليه السلام هي أنّه يفهم من تقارنهما أنّ أهداف النظام الإسلاميّ العليا غير قابلة للتحقّق إلّا بالتضحية والاستعداد والجهوزيّة المطلقة.

إنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام هي ثورة ملهِمة للدروس وحركة تجسّد التكليف الإسلاميّ، هذه الثورة كانت من أجل هذه المقاصد، وكان عليه السلام أيضاً قد قال في الطريق ما جاء في الجملة الثانية: «**من كان باذلاً فينا مهجته وموطّناً على لقاء الله نفسه**»[٢]، أي أنّه لا يتصورنّ أحد أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعنى الحقيقيّ وأنّ إصلاح المجتمع والمحيط وإصلاح العالم يمكن أن يتحقّق عمليّاً من دون هذه الأشياء. بذل المهجة في سبيل الله أمر لازم ومطلوب. توطين النفس على لقاء الله أمر لازم، لو خلت القلوب من هذه النيّة فمن غير الممكن أن تصل إلى شيء.

وإذا ما حلَّت أهداف أخرى مكان هذه الأهداف الإلهيّة فليس بإمكان من هم في هذا السبيل وهذه الحركة الوصول إلى ذلك المقصود. هذا بالنسبة إلينا درس[٣].

نتائج التضحية، القريبة والبعيدة الأمد

ليس من السهولة بمكان اختصار الحوادث التاريخيّة، فذلك يحتاج إلى وقت وإلى رؤية عميقة وبصيرة. فكثيراً ما يحكم الإنسان على حادثة معيّنة بنظرة سطحيّة، ولكن بمرور الزمن واتضاح جوانب القضيّة تتبدّل

(١) اللهوف، ص٣٨، كذلك انظر: نزهة الناظر، ص٨٦، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٦٧.

(٢) اللهوف، ص٣٨، كذلك انظر: نزهة الناظر، ص٨٦، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٦٧.

(٣) في مؤتمر أئمّة الجمعة والجماعة لمحافظة طهران فيلق أوّل ثارالله-، ١/ ٦/ ١٣٦٦ش- ٢٣/ ٨/ ١٩٨٨ م.

الأحكام. فالكثير من الحوادث على مرّ التاريخ كان على هذا النحو. ففي الشهادات الكبرى لأولياء الدّين، يكون هناك حكم معيّن على حادثة ما بالنظر إلى النتائج القريبة المدى، وبالنظر إلى النتائج البعيدة المدى - للحادثة نفسها - يكون هناك حكم آخر. يوجد أيضاً بعدٌ آخر من الحكم في باب المسائل التاريخيّة، بمعنى أنّ القضاء والحكم أحياناً قد يكون صحيحاً وليس خطأً، ولكنّ ذلك بالالتفات إلى النتائج القريبة، أمّا بالالتفات إلى النتائج البعيدة المدى يوجد حكم آخر فيما يتعلّق بالقضيّة ذاتها.

عندما ننظر إلى شهادة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام، فالحكم الأوّليّ والمتّصل بالأفق القصير المدى هو «**فإنّ الدنيا بعدك مظلمة**»[1]، لكنّ بالالتفات إلى النتائج البعيدة المدى لهذه الحادثة ذاتها نرى أنّه لو لم تكن هذه الشهادة، ولولا ذلك الفداء وتلك المقاومة، لأصبح العالم كلّه مظلماً بفقدان القرآن ونور الإسلام. والأمر ذاته أيضاً بالنسبة إلى حوادث زماننا الحاضر. فإذا أراد شعب أن يتعلّم من حوادث التاريخ وأن يحكم بشكل صحيح ودقيق على هذه الحوادث، ينبغي عليه النظر إلى كلا البعدين، الطويل كالمدى والقصير المدى.

كما إنّنا ينبغي أن نعلم أنّ الحوادث التي تقع، مهما كانت مرّة وقاسية، فإنّها عندما تكون لله، فلن يكون هناك بالنسبة إلى ضحايا تلك الحادثة سوى الفائدة والمنفعة. هذا أيضاً الوجه الآخر لهذه الصفحة، الذي ينبغي علينا الالتفات إليه[2].

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، المقرّم، ص٣٣٧.

(٢) بمناسبة ٧ تير، في المدرسة الفيضيّة، ٧/ ٤/ ١٣٦٤ش - ٢٨/ ٦/ ١٩٨٦ م.

طلب الشهادة

الإمام الحسين عليه السلام ملهم طلّاب الشهادة

إنّه لسرور مضاعف لشعب إيران، لأنّ الإمام الحسين عليه السلام إضافة إلى أنّه ابن النبيّ صلى الله عليه وآله وإمامنا، هو ملهم حركتنا الثوريّة، ملهم التضحية لشبابنا وأبنائنا ومعلّمهم الشهادة أيضاً، وهذه الشهادة هي الضامنة لانتصار الإسلام[1].

الشهادة في خطبة الإمام عليه السلام مقابل جيش الحرّ

عندما قطع الحرّ الطريق على الإمام الحسين عليه السلام وقال له: لن أدعك تمضي، أصرَّ الإمام، لكن الحرّ استمرّ أيضاً على موقفه. فقال عليه السلام: إذاً أَرْجِع. لكنّه لم يسمح له بالعودة[2]. وفي ذلك الموقف خطب الإمام إحدى خطبه الثوريّة، المفعمة بالحماس. توجّه الإمام عليه السلام إلى أصحابه، وهنا بالتأكيد كان أهل الكوفة يسمعون كلامه هذا. قال - بعد الحمد والثناء على الله تعالى -: «**إنّه نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفها**»، «**ولم يبق منها إلّا صبابة كصبابة الإناء**»، لقد أدبر جمال الدنيا وحسنُها، وتغيّر حالها. ويظهر من الحديث، أنّ المتكلّم يشعر بأنّه لم يبق من عمره الكثير. لم يبق من الدنيا إلّا بقدر بقيّة ماء في كأس، أقلّ من قطرات سائلة في قعر كأس. ثمّ يقول عليه السلام: «ألا ترون إلى الحقّ لا يُعمل به وإلى

---

(١) في خطبة صلاة الجمعة، طهران، ١٥/ ٣/ ١٣٦٠ش - ٥/ ٦/ ١٩٨٢ م.

(٢) الأخبار الطوال، ص٢٤٩-٢٥٠، الإرشاد، ج٢، ص٧٨-٨١، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٧٦-٣٧٨.

الباطل لا يُتناهى عنه؟!»، هذا هو بيت القصيد ولبّ المرام لدى الإمام الحسين عليه السلام، بمعنى أنّكم ألا ترون أنّ المجتمع الإسلاميّ قد ابتعد عن ونهجه الصحيح والحقيقيّ وترون الحقّ لا يُعمل به وأن الباطل لا يُتناهى عنه؟ وهنا ما العمل؟ عندما يرى الإنسان أنّ الحقّ لا يُعمل به وأنّه يُعمل بالباطل، عندما يرى الإنسان أنّ الدنيا قد امتلأت ظلماً وجوراً، فماذا يعمل؟

«ليرغب المؤمن في لقاء ربّه، فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برماً»[١].

هذا هو الاستعداد، أي أنّ الإمام عليه السلام بعد أن تحرّك، كتب رسالة وأعلن استعداده، وقال لأهل الكوفة عبر مسلم بن عقيل: أنا حاضر ومستعدّ، فهل تقاتلون؟[٢]. وها قد وُجد أمامه مانعٌ حال دون حركته وتوجّهه إلى الكوفة، وأنّه سيصل إلى النتيجة الثانية، شعر بأنّ النتيجة الأولى وهي الحكومة لن تتحقّق، وأنّ ما سيقع هو الشهادة ولقاء الله في هذا السبيل، وحالة المؤمن فيه أن يرغب بلقاء ربّه.

عندما يرى الإنسان أنّ دنيا الظلم في مواجهته، وأنّ الظالمين قد تسلّطوا على أغلب قضايا العالم، فعلى الإنسان أن يظهر استعداده لمواجهة ذلك.

فالشهادة لائقة بالإنسان في وضع كهذا[٣].

انتظار الإمام للشهادة منذ بداية حركته

كان الإمام الحسين عليه السلام منذ بداية التحرّك ينتظر هذه الحادثة. منذ

---

(١) اللهوف، ص٤٨، بحار الأنوار، ج٤٤، ص١٩٢، مع اختلاف يسير، تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٠٥.

(٢) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٢٦٢، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٦١-٢٦٢، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٣٤-٣٣٥.

(٣) كلمته في ٤/ ٨/ ١٣٦١ش- ٢٦/ ١٠/ ١٩٨٣ م.

أن خطى أولى خطواته، لم يتحرّك كشخص كان يتجنّب القتل والموت، بل كان يتحرّك كمن يذهب بنفسه إلى الموت، أنّه لم يرد إقامة الحكومة ولا أنّه لم يُرد أن يتسلّم الكوفة، ولا أنّه كان يقوم بنحوٍ من التمثيل. من المقطوع به أنّه عليه السلام كان يتّجه نحو استلام حكومة الكوفة، لكنّه كان أيضاً يترقّب شهادته مثلما كان يقول لمن معه: «**من كان باذلاً فينا مهجته وموطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا**»[1].. من كان موطّناً نفسه، لأن يلاقي الله في هذا السبيل فليرحل معنا، كان الإمام الحسين عليه السلام موطّناً نفسه على لقاء الله في هذا السبيل، كان حاضراً ومستعدّاً ويعلم أنّه سيستشهد وكان لديه أمل أيضاً أن يحقّق قبل شهادته ذلك الانتصار الكبير[2].

الشهادة، أوّل شروط الدفاع عن القيم والأهداف الإلهيّة

يحيا الإسلام اليوم بدماء الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام، وإلّا فلو أنّه عليه السلام كان قد تصرّف كبعض أولئك الذين تصرّفوا آنذاك انطلاقاً من تفكيرهم النفعيّ، وقال: لماذا يُقضى علينا؟! بل نبقى على قيد الحياة وندافع عن الإسلام.

كان لبعضهم مثل هذا المنطق، ولم يدركوا أنّه متى ما ركن أيّ إنسان وأيّ شعب وأيّة أمّة إلى البقاء حيًّا، فلن يعود باستطاعتهم الدفاع عن الإسلام والقيم والله. إنّ أوّل شرط للدفاع عن الأهداف والقيم الإلهيّة هو أن لا يحرص الإنسان على البقاء على قيد الحياة. وإنّ أفضل القتل هو في هذا الطريق. كان الإمام الحسين عليه السلام يفكّر بهذا الأمر، ونحن اليوم نذرف الدموع على الإمام الحسين عليه السلام وعلى كلّ أعزّائنا، ونبكي على كلّ الشهداء وعلى

(١) اللهوف، ص٣٨، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، ص٨٦، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٦٧.
(٢) في خطبة صلاة الجمعة، طهران، ١٥/ ٧/ ١٣٦٢ش- ٧/ ١٠/ ١٩٨٤ م.

شهدائنا أيضاً، لكن لا نشعر بالأسف أو الندم أو بالخسارة، فهل خسر الإمام الحسين عليه السلام برحيله عن هذا العالم؟ صحيح أنّ الإمام الحسين عليه السلام رحل عن دنيا الإسلام، لكن الإسلام الذي هو إسلام الحسين عليه السلام تحقّق على يده، هل الإسلام أعزّ أم الحسين عليه السلام ؟ إنّه الإسلام[١].

بذل النفس والمال والاستعداد للقاء الله، لوازم الثورة الاصلاحيّة

لقد كانت نهضة الإمام الحسين عليه السلام حركة ملهمة تقدّم الدروس وتجسّد التكليف الإسلاميّ. وكانت هذه الحركة لأجل بيان تلك المقاصد وفي سبيلها أيضاً تلك الكلمات التي قالها في الجملة الثانية: «**من كان باذلاً فينا مهجته وموطّناً على لقاء الله نفسه**»[٢].

بمعنى أنّه لا يُتصورنّ أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون عمليّاً بالمعنى الحقيقيّ للكلمة من دون هذه الأمور، فبذل المهجة أمر لازم في سبيل الله، وكذا توطين النفس على لقاء الله. فلو خلت القلوب من هذه النيّة فليس ممكناً الوصول إلى شيء. ولو أخذت أهدافٌ أخرى مكانَ هذه الأهداف الإلهيّة فمن غير الممكن أن يصل من يسير في هذا السبيل وفي هذه الحركة والنهضة إلى مبتغاه ومقصده. وهذا درس لنا[٣].

قيمة الشهادة

الشهيد العالم هو أفضل - بسبب علمه - من الشهيد الجاهل، إلّا أنّ

---

(١) في لقاء عوائل شهداء كتيبة الحرس كتيبة قدر - ٢٤/ ٢/ ١٣٦٣ش - ١٤/ ٥/ ١٩٨٥ م.

(٢) اللهوف، ص٣٨، نزهة الناظر، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٦٧.

(٣) مؤتمر أئمّة الجمعة والجماعات، محافظة طهران، فيلق أوّل ثار الله - ١/ ٦/ ١٣٦٦ش - ٢٣/ ٨/ ١٩٨٨ م.

الأصل هو الشهادة، فأن يُستشهد العالم والجاهل، المرأة والرجل، الكبير، والصغير حتّى الطّفل، من أجل نهضة لهو فخر. ومن بين شهداء كربلاء، كان هناك مضحّون ذهبوا إلى ساحة المعركة بكلّ عزم وإرادة، ذهبوا من تلقاء أنفسهم، وقاتلوا، وكانت عاقبة أمرهم هي الشهادة، فهل هناك تفاوت بينهم وبين ذلك الطفل الصغير ذي الستّة أشهر الذي لم يذهب بإرادته إلى المعركة؟ هل إنّ عليّ الأصغر بن الإمام الحسين الذي قُتل على يد العدوّ بنحو مفجع[١] هو أقلّ من عليّ الأكبر الذي أذلّ العدوّ وفضحه؟ هذا هو الشهيد يؤثّر في كلّ أقربائه، ويتّصل بأمّه وأبيه وأبنائه وأخواته وأرحامه وأهل مدينته وكلّ الأمّة والشعب، والجميع له نصيب من الفخر والاعتزاز به[٢].

الإيمان الراسخ، من لوازم الشهادة

أين هو المسلم الذي نفذَت آيات القرآن الكريم إلى عمق ذرّات روحه آية آية؟ فأينما نجد مسلماً كهذا فهو مقاوم بهذا النحو. ونموذجه الأعلى والتامّ نجده في كربلاء، أولئك الـ ٧٢ شخصاً استشهاديّاً كبيراً، أولئك الفولاذيّون الذين ترشَح منهم المعنويّات.

ونموذجه أيضاً هذا الشعب، وإذا لم نكن مثلهم، فإنّنا على طريقهم، وفي صدد التكامل معهم والتماثل بهم. فالمثل الأعلى لشبابنا هو عليّ الأكبر، وأحداثنا قدوتهم ومظهرهم وأمثولتهم هو القاسم بن الحسن عليهما السلام، وشيوخنا يملكون مسلك حبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة. وأمّهاتنا أسوتهنّ والدة ذلك الشاب - الحديث الإسلام - التي دفعت بابنها إلى ساحة المعركة، «وهب» ذلك الشاب الذي أسلم حديثاً وعلى الأرجح كان نصرانيّاً، وقد جاء

(١) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٦٢، الإرشاد، ج٢، ص١٠٨، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٤٦-٤٧.
(٢) كلمته في ٨/ ٨/ ١٣٥٧ش - ٣٠/ ١٠/ ١٩٧٩ م.

بنفسه إلى المعركة، وجاءت أمّه وزوجته أيضاً. ما هذا الإسلام الثوريّ الذي صار كأنّه ماء الحياة بالنسبة إليهم! أيّ كيمياء هي!

في يوم عاشوراء، كان صعباً على الإمام الحسين عليه السلام أن يذهب وهب إلى ميدان المعركة ليقاتل ويُقتل، إلّا أنّه طلب الإذن وذهب واستُشهد. كانت أمّه تنظر، عندما رأت أن ابنها استُشهد، ظنّ الجميع أنّها ستغضب وستقع أسيرة الحزن والبلوى. وقام شخص بقطع رأسه أمام عينيها وقذفه باتجاه الخيام. تلقّفت هذه المرأة المسنّة رأس ابنها، قبّلته، مسحت التراب عن وجهه ورمت به باتجاه الأعداء[١]. أي إنّ هذه الهدية التي قدّمناها في سبيل الله لا نسترجعها. نحن لدينا مثل هؤلاء. أمّهاتنا سلكن هذا الطريق وقد أظهرن هذا النحو من العطاء وعبّرن عن أنفسهنّ بمثل هذا المشهد[٢].

طلب الشهادة، أساس الاستقلال وانتصار الشعوب

إنّ الارتباط بالإمام الحسين عليه السلام واستيعاب معنى الشهادة ومفهومها ينفعان في حياة الإنسان الماديّة وحياته المعنويّة. وإذا ما فهم شعب معنى الشهادة وأدرك كيفيّة التضحية بالأرواح في سبيل الأهداف، عندها سيتمكّن من العيش باستقلال ولا ينتابه قلق، لأنَّ الموت لم يعد عقبة أمامه، وإلّا فإنّ العدوّ سيعمد إلى تخويفه بالموت، وسيغدو مصيره كمصير بعض الدول والشعوب التي تتخاذل أمام الأعداء[٣].

الأمّة التي لديها شهر المحرّم، لديها الجهاد والشهادة، والأمّة المجهّزة والمعدّة بأسباب الجهاد والمعتمدة على الله، لن تُغلب أبداً[٤].

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٦-١٧.

(٢) في لقاء جرحى الثورة الإسلاميّة المشاركين في اللقاء العام في كلّ أنحاء البلاد، ٢/ ٧/ ١٣٦٢ش- ٢/ ٩/ ١٩٨٤ م.

(٣) في لقاء العلماء والمبلّغين على أعتاب شهر محرّم الحرام، ٢٤/ ٢/ ١٣٧٥ش- ١٤/ ٥/ ١٩٩٧ م.

(٤) في خطبة صلاة عيد الفطر، ٢٤/ ٣/ ١٣٨٣ش- ١٤/ ٦/ ٢٠٠٥ م.

الشهادة رمز صمود الشعوب

الأمّة التي تقدّم الشهداء هي دائماً أكثر استقامة وقوّة. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**بقيّة السيف أبقى عدداً وأكثر ولداً**»[١]، أي إنّ الذين ينهضون من بين النّاس ويشربون كأس الشهادة في سبيل الله فأولئك ذكراهم باقية في التاريخ وأكثر دواماً. فالشعب الذي يقدّم الشهداء باقٍ وحيّ. أمّا الشعب الذي لا ينهض من بين أفراده شخصٌ ليبذل دمه في سبيل الأهداف المقدّسة فهو محكوم بالزوال والذلّ. فالثورة التي بذل النّاس في سبيلها أرواحهم هي باقية: «**بقيّة السيف أبقى عدداً وأكثر ولداً**»، أي ولادة أمثالهم أكثر وهو هكذا[٢].

دم الشهيد الضامن لعزّة الإسلام

إنّ دماء الشهيد هي الحافظة لاستقلال الشعب وعزّة الإسلام، لذا نحن جميعاً مدينون لشهدائكم (يا عوائل الشهداء)، لقد قدّمتم الشهداء، ونلتم هذه القيمة الرفيعة وهذا هو الشيء نفسه الذي استُشهد من أجله الإمام الحسين عليه السلام، فهل يمكننا مقارنة شهدائنا بـ عليّ الأكبر أو بالوجود المقدّس والعظيم للحسين بن عليّ عليهما السلام ؟ فهؤلاء العظام استشهدوا لأجل هذا، وشبابكم استشهدوا أيضاً لأجل ذلك. لذا فأنتم لم تخسروا[٣].

شهادة الإمام الحسين عليه السلام، الضمانة لحياة الإسلام الأبديّة

عندما تستشهد شخصيّة رفيعة لامعة في سبيل قيم وأهداف، فمع أنّ الحركة والثورة والمجتمع تخسر بفقدانها وجوداً فاعلاً وذا قيمة، إلّا أنّه

(١) نهج البلاغة، الكلمات القصار، رقم ٨٤.
(٢) كلمته في ١٥/ ١/ ١٣٦٤ش- ٤/ ٤/ ١٩٨٦ م.
(٣) في لقاء عوائل الشهداء، طهران، ٢٢/ ١/ ١٣٦٣ش- ١١/ ٤/ ١٩٨٥ م.

بتضحيتها ودمائها وشهادتها تهب القوّة لتلك الحركة. وهذا ما حصل بالدّقة لجميع شهدائنا الكبار على طول التاريخ، ونموذجها البارز عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام. فرجل كالحسين بن عليّ عليهما السلام مع ما له من قيمة لا يمكن تصوّرها عندما يفقده المجتمع البشريّ، ففقدانه خسارة لا تعوّض، لكنّ التضحية التي أدّت إلى هذا الفقدان هي عظيمة إلى حدّ أنّه أضفى على الحركة التي ينتمي إليها الحسين بن عليّ حياة أبديّة. هذه هي سمة التضحية، وسمة بذل الدماء، عندما يوقّع الإنسان على شعاراته بدمائه، فإنّه بذلك يُثبت صحّتها للجميع. وقد أحدثت واقعة عاشوراء تأثيرات كبيرة لدى النّاس في مشاعرهم وعواطفهم خلال سنوات طويلة. ولعلّه يمكن الادّعاء بقوّة وجرأة أنّ كلّ الثورات التي حدثت بعد واقعة عاشوراء على مدى قرون عديدة، كانت مستندة إلى واقعة عاشوراء، ومنها استلهمت وإليها استندت. لقد أحدثت ذلك التأثير العظيم في مسار الثورات الإسلاميّة لذلك العصر في المراحل الأولى[١].

(عندما) بذل الإمام الحسين عليه السلام دمه، فهل رأى بعينيه اشتعال تلك الشعلة وحياة ذلك الجسد الميّت؟ لا لم يرَ ذلك. كلّ ما ينبغي أن يبذله الإمام في سبيل الله فقد بذله ومضى. لكن الذي حدث، أنّه أحيى الإسلام. هذا الاسترخاص للدماء وترجيح الإسلام على حياته وعمره هو ما أحيى الإسلام[٢].

ففي الوقت الذي كانت السماء والأرض تبكيان كان التاريخ يبتسم لبقاء الإسلام واستمراره، ومثلما كانت السماء والأرض تبكيان على قتل الأنبياء والصالحين والأبرار، كانت السنن الإلهيّة تبتسم لبقاء دين الله في التاريخ[٣].

---

(١) في لقاء صحفيّ حول حادثة ٧ تير ٢٦/ ٣/ ١٣٦١ش- ١٦/ ٦/ ١٩٨٣ م.

(٢) في لقاء عوائل الشهداء في كتيبة قدر ٩/ ٢/ ١٣٦٣ش- ١٩/ ٤/ ١٩٨٥ م.

(٣) في لقاء نوّاب المجلس في ليلة ٧ تير، ٧/ ٤/ ١٣٦٢ش- ٢٨/ ٦/ ١٩٨٤ م.

نظريّتان خاطئتان حول استشهاد الإمام الحسين عليه السلام

ظنّ بعضهم أنّه لو كان الإمام الحسين عليه السلام يعلم باستشهاده، لما أقدم، كما أنّ البعض الآخر قال إنّ الإمام الحسين عليه السلام ثار ليستشهد. وكلا الرأيين خطأ[١].

الحكومة أم الشهادة، نتيجتان للثورة

إنّ القائلين إنّ «الهدف هو الحكومة» أو إنّ «الهدف هو الشهادة» قد خلطوا بين الهدف والنتيجة. أبداً، لم يكن هذا هو الهدف، بل كان للإمام الحسين عليه السلام هدف آخر، كان الوصول إليه يتطلّب طريقاً وحركة تنتهي بإحدى النتيجتين: فإمّا «الحكومة» وإمّا «الشهادة»، وكان الإمام مستعدّاً لكلتا النتيجتين، فقد أعدّ مقدّمات الحكم وكان يعمل لها، وكذا مقدّمات الشهادة وكان يعمل لها، فإذا ما تحقّق أيّ منهما كان صحيحاً، لكن لم يكن أيّ منهما هو الهدف، بل كانا نتيجتين[٢].

عندما يقوم الإنسان بثورة كهذه فهو سيقدّم، سيعطي واحدة من نتيجتين، فإمّا أن يصل إلى الحكومة وإمّا أن ينال الشهادة، وكلاهما نتيجة قهريّة، أي إنّ واحدة منهما ستحصل حتماً، وليس كلاهما معاً! الهدف هو نفس الثورة والقيام في أحلك الظروف القاسية، وفي أكثر الأوضاع تعقيداً، التي من الممكن أن تواجه ثائراً. هذا ما حدث وفي الحقيقة، لقد كان الإمام الحسين عليه السلام هو من أكمل الإسلام[٣].

---

(١) في مراسم العرض الصباحيّ للحرس الثوريّ في مقر قصر فيروزة ٢/ ٧/ ١٣٦٤ش- ٢٤/ ٩/ ١٩٨٦ م.

(٢) خطبة الجمعة في طهران ١٩/ ٣/ ١٣٧٤ش- ٩/ ٦/ ١٩٩٦ م. ١٠ محرم ١٤١٦هـ-.

(٣) في لقاء منتسبي جهاد الجامعات، ١٠/ ٦/ ١٣٦٦ش- ١/ ٩/ ١٩٨٨ م.

وجوب الثورة وجدواها في صورتي: الحكومة والشهادة

كان الهدف هو إرجاع الإسلام والمجتمع الإسلاميّ إلى الصراط المستقيم والخطّ الصحيح، ولكن في أيّ زمان؟ بعد أن انحرف عن المسير وانحرف المسلمون نتيجة جهل وظلم واستبداد وخيانة بعضهم وكانت الظروف مؤاتية. وبالطبع، يشتمل التاريخ على مراحل مختلفة. فأحياناً تكون الظروف مؤاتية وأحياناً لا تكون كذلك. غاية الأمر عندما يسعى الإنسان إلى تحقيق الهدف وهو إرجاع الإسلام والمجتمع الإسلاميّ إلى مكانته الصحيحة من خلال الثورة على السلطة الفاسدة فلا بدّ للثورة أن تصل إلى الحكم، وهي في عصرنا كانت مؤاتية مثلما كانت في زمن الإمام الحسين عليه السلام، فأقدم الإمام الخمينيّ (رضوان الله عليه) على العمل نفسه، لكن مع فارق وهو أنّ الثورة ضدّ الحكم الباطل في عصرنا انتهت بإقامة الحكومة الإسلاميّة والحمد لله، لكنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت نتيجتها الشهادة، ففي هذه الصورة، هل ينتفي وجوب الثورة؟ وهل تزول فائدتها إن كانت نتيجتها هي الشهادة؟ أبداً، إنّ الثورة واجبة وإن انتهت بالشهادة، ولا فرق في ذلك بين أن تنتهي بالشهادة أو بالحكم، لكن لكلّ منهما نوع من الفائدة. يجب العمل والثورة. وهذا هو العمل الذي قام به الإمام الحسين عليه السلام.

إذاً ما هو التكليف؟ التكليف هو أن «**يغيّر عليه بفعل أو قول**». فإن واجه الإنسان مثل هذا الأمر - وكان الظرف مؤاتياً - وجب عليه أن يقوم ويثور ضدّ هذا الأمر ولو بلغ ما بلغ، سواء قُتل أم بقي، نجح في الظاهر أم لم ينجح. يجب على كلّ مسلم أن ينهض ويثور أمام هذا الوضع، وهذا تكليف أخبر به النبيّ صلى الله عليه وآله[1].

---

(١) خطبة الجمعة في طهران ١٩/ ٣/ ١٣٧٤ش- ٩/ ٦/ ١٩٩٦ م. ١٠ محرم ١٤١٦هـ-.

معنى شهر محرّم بحسب المنطق الشيعيّ

إنّ أكثر معاني محرّم ثراءً وحيويّةً عندنا هي تلك التي عشناها خلال شهر المحرّم من العامين الماضيين. محرّمنا محرّم الرسالة ومحرّم الجهاد ومهد المقاومة. إنّ معنى محرّم في المنطق الشيعيّ والثقافة الإسلاميّة هو بذل الدماء، فداء الشهادة، الثورة في سبيل القيم والمقاصد الحقّة التي هي عظيمة وقيّمة لدى جميع الشعوب والبشريّة جمعاء[1].

(١) كلمة أمام مقرّ الجاسوسيّة الأمريكيّة في طهران، محرّم ١٣٥٨ش- ١٩٨٠ م.

البصيرة

بصيرة الإمام الحسين بشأن الأحداث المرّة، الحاضرة والمستقبليّة

.. لقد طالعتُ تاريخ النصف الثاني من القرن الأوّل الهجريّ ووقفتُ على حقائق مذهلة، لم أرَ أنّها استُخلصت ودُوِّنت أو ذُكرت، عندما نتخطّى النصف الأوّل من القرن الأوّل نلاحظ أنّ المجتمع الإسلاميّ قد تبدّل دفعة واحدة إلى مجتمع مليء بالفساد، والفساد الذي نشاهده في أواخر القرن الأوّل في المجتمع الإسلاميّ لهو عجيب ومدهش أيضاً.

فمكّة والمدينة، المدينتان اللّتان كانتا موطن الوحي وحكومة رسول الله ﷺ قد تبدّلتا إلى مركزين للفساد. فكلّ المغنّين وكلّ الفواحش المعروفة وكلّ الشعراء البذيئي اللّسان وكلّ المتهتّكين وأصحاب السوء والخُبَثاء قد اجتمعوا في هاتين المدينتين، فأشهر شعراء الفحش الذين كانوا يروّجون الفساد أو يمتدحون خلفاء جور عصرهم كانوا قد اجتمعوا في مكّة والمدينة تقريباً في أواخر القرن الأوّل وفي تمام القرن الثاني[1]. وقد ارتكبت في جوار حرم الله في المدينة أبشع الأعمال[2].

---

(١) يراجع ملحق بعنوان: "وضع المدينة ومكّة"، حديث تفصيليّ للإمام الخامنئيّ حول وضع المجتمع الإسلاميّ في ذلك الوقت. ملحق رقم ١ في نهاية الكتاب.

(٢) الشعر والشعراء، ج١، ص٥٠٩ -٥١٠، العقد الفريد، ج٧، ص١٢ و ٢٩ ٣٨، ج٨، ص٨، مروج الذهب، ص٤٧١ و ٥٧٩-٥٨٠، وج ٣، ص٢٥٣، وج ٦، ص٢٧٩ و ٣٠٥ و ٤١٨، وج ٧، ص٤٧، وج ٨، ص٣٦٧-٣٦٩ و ٣٧٨-٣٨٠ و ٤٠٩ و ٤٥٩، وج ١٢، ص٣٤٩-٣٥٠، و ج١٦، ص٤٦٦، و ج٢٤، ص١٩٥ و٢٦٠، تاريخ مدينة دمشق، ج٩، ص٢٨٧-٢٨٨.

كان الإمام الحسين عليه السلام يشاهد هذه الوقائع المرَّة، ولذلك تحرّك بهذا الشكل وأوجد هذه الحركة المجيدة والعظيمة. الله يعلم أنّه لا يوجد في التاريخ حركة وثورة بهذه العظمة وهذه الرفعة كحركة الحسين عليه السلام[1].

أهمّيّة معرفة ساحة المعركة

من المهمّ أن نشخّص ميدان المعركة جيّداً. فما لم تكن ساحة المعركة واضحة للمقاتل - من مرتفع، إلى مستنقع، إلى منطقة حرجيّة، إلى منطقة زلقة، إلى منطقة يستخدم فيها السلاح الفلانيّ دون غيره - لن تكون لديه القدرة على القتال كما يجب.

الخطّة التي تفرض علينا توجيه فوهة المدفع إلى قلب العدوّ وإلى تلك النقطة التي ينبغي أن نتوجّه إليها. الخطّة هي التي توجّهنا إلى أيّ وجهة ينبغي التوجّه، ولأيّ جهة نوجّه سلاحنا، وأيّ جهة هي الأكثر خطورة، وأيّها الأكثر ضرورة، أين ينصب العدوّ كمينه، أين هي نقطة الضعف التي إن لم نغطِّها نفذَ العدوّ منها، ما لم نضع في حسباننا مثل هذه الخطّة، لن تكون الحرب المدروسة ممكنة.

في عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام، كان لدى بعض الأصحاب خطّة، ولم تكن بيد بعضهم الآخر، عندما أقبل بحرُ العدوّ بلججه المهولة، لكنّ أولئك الأصحاب الذين اهتدوا إلى الخطّة، فإنّهم فهموا الإمام الحسين عليه السلام في تلك اللحظة الحسّاسة، وأمّا أولئك الذين لم يهتدوا إلى خطّتهم، فإنّهم كانوا إلى جنب الإمام الحسين عليه السلام أيضاً، لكنّهم وقعوا في الخطأ. من باستطاعته القول إنّه لم يكن لعبد الله بن عبّاس وعبد الله بن جعفر نصيب من الإسلام ومن حبّ آل النبيّ صلى الله عليه وآله؟ فهذان تربّيا في كنف النبيّ صلى الله عليه وآله، لكنّهما حملا

(١) في خطبة صلاة الجمعة، طهران، ١٥/ ٧/ ١٣٦٢ش - ٧/ ١٠/ ١٩٨٤ م.

المخطّط الخاطئ. لم يعرفا أين هي المنطقة التي يجب الدفاع عنها، وتلك النقطة التي ينبغي التضحية من أجلها...

معرفة ساحة المعركة، الفنّ الكبير والوظيفة الخطيرة

لقد تركوا الإسلام المتجسّم، تركوا القرآن الناطق وتركوا حسين فاطمة وحيداً. حتّى إنّ بعض الأصحاب جاء إلى كربلاء أيضاً ودافع عن الإمام الحسين عليه السلام، لكنّهم في آخر الأمر جاؤوا إليه وقالوا: «**يا بن رسول الله! نحن دافعنا عنك إلى هنا، فإن أذنت لنا بالانصراف**» فأجابهم الإمام عليه السلام: «**انصرفوا**»[1].

هذا هو المخطّط الخاطئ، فهؤلاء لم يعرفوا أين يجب عليهم أن يدافعوا ويحاموا.

كثيرون عبر التاريخ كانوا لا يعرفون أين يدافعون عن الإسلام. كثيرون من الذين كان عليهم في ذلك الوقت القيام بأوجب الأعمال وأكثرها ضرورة وهو الدفاع عن قيم الإسلام وأصالته، جلسوا ولم يدافعوا.

واليوم أيضاً، هناك الكثيرون ممّن ينتمون إلى الإسلام ويرفعون شعاراته ويدّعون الإسلام، ولكن لا يعرفون أين هو الإسلام، وفي أيّ ساحة يجب الدفاع عنه. إنّ الفنّ العظيم يتمثّل في معرفة الساحة.

فأمثال حبيب بن مظاهر وبعض الأصحاب، من خواصّ الإمام الحسين عليه السلام، قد فهموا المخطّط جيّداً. لذلك، نرى أيضاً أنّ أخته زينب عليها السلام جاءت بأبنائها معها، في حين أنّ أباهم بقي في مكّة أو المدينة[2]. كان باستطاعتها القول إنّها ذاهبة مع أخيها وما يحدث لها يصيبها لوحدها، وأن تُبقي أبناءها

(١) أنساب الأشراف، ج٣،ص١٩٧، تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٢٩.

(٢) الإمامة والسياسة، ج٢، ص٣، إعلام الورى، ج١، ص٤٤٦، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٦٦.

عند والدهم. لكنّها أحضرت ابنيها واستشهدا في كربلاء أيضاً[١] حسب ما نُقل. فهذه السيّدة عليها السلام امتلكت البصيرة وعرفت ما ينبغي فعله.

في يوم عاشوراء، دنا شابّ من الإمام الحسين عليه السلام وطلب منه الإذن بالنزول إلى الميدان. نظر الإمام عليه السلام إلى قامته وطلعته - حيث يظهر على وجهه آثار الضعف والعطش - اعتصر الألم قلب الإمام عليه السلام. فسأله: «**هل أذنت لك أمّك؟**». أجاب: «**يا بن رسول الله!، أمّي هي التي دفعتني إلى الميدان، وجئت لآخذ الإذن منك**»[٢].

شعرت الأمّ أنّه هنا مكان بذل أغلى ما تملك، وابنها هو أعزّ ما لديها، فبذلتْ واستثمرت.

إنّ أعظم وظيفة لنا اليوم، هي معرفة ميادين المقاومة. أحياناً يوجد شخص من أهل العبادة، إلّا أنّه لا يعرف ماذا عليه أن يفعل.

ينبغي أخذ مسألة الوعي الإسلاميّ العميق على نحو الجدّ، فلولا الوعي والبصيرة يقع الإنسان في الخطأ والاشتباه، الإنسان الواعي المطّلع قد يقع في الخطأ، إلّا أنّه لا يبقى على الخطأ. بالطبع، الشرط الأساس هو التقوى، والتوجّه إلى الله، حتّى إذا ما أدرك الإنسان أنّه قد أخطأ، يرجع ويؤوب[٣].

معرفة العدوّ، درس عاشوراء المهمّ

... الدرس الآخر من دروس عاشوراء معرفة العدوّ، عدم الغفلة عن العدوّ، عدم الانخداع بحيل الأعداء. كثيرون في ذلك الوقت أَعْمَتْهُم الظواهر

---

(١) مقاتل الطالبيّين، ص٩٥-٩٦، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٥٣، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٢.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام، الخوارزميّ، ج٢، ص٢٥، بحار الأنوار، ج٤٥.

(٣) في المراسم الصباحيّة للحرس الثوريّ، مقر ثكنة قصر فيروزة، ٢/ ٧/ ١٣٦٤ش- ٢٤/ ٩/ ١٩٨٦ م.

فما استطاعوا رؤية باطن الأمر. كثيرون تصوّروا أنّه ينبغي السكوت مقابل هذا الوضع، لأنّهم كانوا يظنّون أنّ الدّين محفوظ بحسب الظاهر! لقد شخّص الحسين بن عليّ عليهما السلام العدوّ في بطون صفحات هذه الظواهر. إنّ معرفة العدوّ شيء مهمّ، ولا ينبغي الاشتباه في ذلك.

هذه اليقظة هي الدرس الكبير الذي قدّمه الحسين بن عليّ عليهما السلام. في ذلك الوقت قلّة هم الذين كانوا يميّزون بين الحقّ والباطل. (والأكثريّة) كانت تخدعهم الظواهر. لم يكن لدى النّاس تلك الرؤية الصحيحة التي كانت للحسين بن عليّ عليهما السلام، حيث كان عليه السلام على قدر من الاطمئنان واليقين بتلك العقيدة والإيمان، بحيث كان مستعدّاً ليقدّم في ذلك السبيل روحه وحتّى أعزّاءه، وأبناءه، وطفله عليّ الأصغر، وأن تمضي أسرته إلى الأسر والسبي، فهل هناك أرفع من ذلك؟[1].

أهمّيّة وضرورة إيجاد البصيرة في المجتمع

البصيرة مهمّة، ودور النخبة والخواصّ هو أن يوجدوا هذه البصيرة، لا في أنفسهم فقط، وإنّما لدي الآخرين أيضاً. يري الإنسان أحياناً أنّه حتّى بعض النخبة مبتلون - للأسف - بانعدام البصيرة فلا يكادون يفهمون أو يلتفتون أصلاً. يطلقون فجأة كلاماً لصالح العدوّ، لصالح الجبهة التي تكرس كلّ همّها للقضاء علي الجمهوريّة الإسلاميّة. فهؤلاء نخبة وخواصّ، ليسوا أفراداً سيّئين وليست نواياهم سيّئة، لكنّهم علي هذه الحال من انعدام البصيرة...

عالجوا انعدام البصيرة بقراءة الأعمال الجيّدة بتأمّل، وبالحوار مع الأشخاص الموثوقين الناضجين وليس بالحوارات التقليديّة - حيث تقبلون كلّ ما قالوه، لا، ليس هذا ما أريده - هناك أشخاص بوسعهم إقناع الآخرين بالأدلّة

---

(١) في حشد من فيلق عاشوراء، ٢٨/ ٥/ ١٣٦٧ ش - ١٩/ ٨/ ١٩٨٩ م.

وتنوير أذهانهم وإقناعهم، فالإمام الحسين عليه السلام استخدم هذه الوسائل في بداية نهضته وعلي امتدادها. ولأنّ الأيّام هي أيّام الإمام الحسين عليه السلام أقول هذه الكلمة:

ينبغي أن لا نعرف الإمام الحسين عليه السلام من خلال «**معركة يوم عاشوراء**» فقط، فذلك جانب من جهاد الإمام عليه السلام. ينبغي التعرّف إلى كلماته وخطاباته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وشرحه للقضايا والمسائل في مني وعرفات وخطابه للعلماء وللنخبة - للإمام عليه السلام كلمات عجيبة[1] ومهمّة مسطورة في الكتب - ثمّ في الطريق إلى كربلاء وفي ساحة كربلاء نفسها. لقد كان الإمام الحسين عليه السلام صاحب بيان وتوضيح في ساحة كربلاء نفسها، فكان عليه السلام يقف ويتحدّث، مع أنّها كانت ساحة حرب وقتال والمتوقّع هناك إنّما هو إراقة الدماء، لكنّه عليه السلام كان ينتهز أيّة فرصة للتحدّث مع الطرف المقابل لعلّه يتمكّن من إيقاظهم. طبعاً لقد استيقظ بعض الغافلين، أمّا الذين كانوا يتظاهرون بالنوم فقد كان إيقاظهم صعباً، بل أحياناً كان من المستحيل إيقاظهم[2].

انعدام البصيرة، فرصة للعدوّ وخسارة للشعوب

يجب أن تستشعر الحاسة الإنسانيّة العميقة لشعب من الشعوب الأحداث قبل وقوعها وتدرك ماذا سيحصل، فيبدي الشعب ردود الفعل المناسبة. وحينما نتأمّل تاريخ الإسلام نجد أنّ عدم توفّر هذا الإدراك والحسّ السياسيّ السليم قد أبقى الشعوب نائمةً على الدوام ومكّن أعداءهم من أن يُلحقوا بها كلّ ما يحلو لهم مع بقائهم بمأمن من ردّات أفعالهم.

انظروا إلى حادثة كربلاء من هذه الزاوية. لم يكن لدى الكثير من المسلمين في الستّين عاماً الأخيرة بعد الهجرة - أي خمسين عاماً بعد رحيل

---

(١) تحف العقول، ص٢٣٧-٢٣٩.

(٢) في لقاء أعضاء مكتب حماية القائد وأسرهم ٢١/ ٥/ ١٣٨٨ ش - ١٢/ ٨/ ٢٠٠٩ م.

النـبيّ الأكـرم ﷺ - قـراءة صـحيحة لمـا يجـري. ولأنّهـم افتقـروا إلى القـراءة الصحيحة لم يتّخذوا الموقف المناسب. لهذا كانت الساحة مفتوحة أمام كلّ الذين يريدون حرْف مسيرة الأمّة الإسلاميّة من دون أن يصدّهم أحد. ووصل الأمر إلى درجة أن يصبح رجل فاسق فاجر سيِّئ السمعة ومفضوحٌ أمام النّاس - شابّ لا تتوفّر فيه أيّ من شروط الحاكم الإسلاميّ وشروط خلافة الرسول، بل كان في الاتجاه المعاكس تماماً لسيرة النـبيّ ﷺ في أعماله - أن يصبح هو قائد الأمّة الإسلاميّة والخليفة لرسول الله! لاحظوا كم يبدو هذا الشيء عجيباً في أنظاركم اليوم؟ لكنّه لم يبدُ عجيباً في أنظار النّاس في ذلك العصر. لم يشعر الخواصّ بالخطر. وبعضهم ممّن شعروا بالخطر ربّما، لم تسمح لهم مصالحهم الشخصيّة وطلبهم للعافية والراحة أن يُبدوا ردّ فعل معين. جاء الرسول ﷺ بالإسلام ليقود النّاس إلى التوحيد، والطهر، والعدالة، وسلامة الأخلاق، والصلاح العامّ للمجتمع الإنسانيّ، ثمّ يجلس محلّ رسول الله ﷺ شخص غارق في الفساد والفسق[١]، ولا يعتقد بأصل وجود الله وتوحيده[٢]. بعد خمسين عاماً على رحيل الرسول ﷺ يتولّى زمام الرئاسة شخص كهذا! هذا الأمر هو ممّا يثير دهشتكم اليوم، لكنّه لم يكن كذلك في أعين الكثير من النّاس يومذاك.. يا للعجب! لقد أصبح يزيد خليفة وقد نشر جنوده الغلاظ الشداد في أنحاء العالم الإسلاميّ ليأخذوا له البيعة من النّاس. وسار النّاس جماعات جماعات وبايعوا.. العلماء بايعوا، والزهّاد بايعوا، والنخب بايعوا، ورجال السياسة بايعوا[٣].[٤]

---

(١) أنساب الاشراف، ج٥، ص٢٨٦-٢٨٨، مروج الذهب، ج٣، ص٦٧-٦٨.

(٢) الاحتجاج، ج٢، ص٣٤، تذكرة الخواص، ص٢٣٥ و٢٦٠ - ٢٦١.

(٣) لإمامة والسياسة، ج١، ص١٩٧، أنساب الأشراف، ج٣، و ج٥، الأخبار الطوال، ص٢٧٧، تاريخ الطبريّ، ج٤ ص٢٢٥، العقد الفريد، ج٥، ص١١٥-١١٩، مروج الذهب، ج٣، ص٧٠، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٧.

(٤) في لقاء حشد من أهالي قم بمناسبة انتفاضة ١٩ دي، ١٩/ ١٠/ ١٣٧٨ش- ٨/ ١/ ٢٠٠٩ م.

البصيرة، من توابع الدفاع عن الدّين

عاشوراء دروس ورسائل. تعلّمنا عاشوراء درساً، وهو أنّه يجب التضحية لحفظ الدّين، وأنّه ينبغي التخلّي عن كلّ شيء في سبيل القرآن، ينبغي في معركة الحقّ والباطل وضع الجميع معاً: الصغير والكبير، الرجل والمرأة، الشيخ والشابّ، الشريف والوضيع، الإمام والرعيّة، في صفّ واحد. عاشوراء تعطينا درساً وهو أنّ جبهة العدوّ قابلة للعطب والضرر بشكل كبير، مع ما لديها من إمكانات ظاهريّة، مثلما كانت جبهة بني أميّة قد تضرّرت بواسطة قافلة سبايا عاشوراء إلى الكوفة، وتضرّرت في الشام، وفي المدينة وفي نهاية المطاف اختتمت هذه الحادثة بإفناء الجبهة السفيانيّة. من الدروس التي تقدّمها لنا عاشوراء أنّه في مجال الدفاع عن الدّين، تعدّ البصيرة أمراً لازماً بالنسبة إلى الإنسان أكثر من أيّ شيء آخر.

فالغافلون يُخدعون، وعديمو البصيرة يصبحون في جبهة الباطل دون أن يدروا، مثلما كان في جبهة ابن زياد أشخاص لم يكونوا من الفسّاق والفجّار، بل كانوا من فاقدي البصيرة.

هذه هي دروس عاشوراء، وبالطبع فإنّ هذه الدروس كافية لتنهض بأمّةٍ من الذلّة إلى العزّة. هذه الدروس كافية لكسر جبهة الكفر والاستكبار. هي دروس عمارة الحياة[1].

بصيرة زينب الكبرى عليها السلام

إنّ قيمة زينب الكبرى عليها السلام وعظمتها ناتجتان من موقفها وحركتها الإنسانيّة والإسلاميّة العظيمة انطلاقاً من التكليف الإلهيّ. فعملها،

(١) في لقاء قادة كتائب وسرايا وفصائل عاشوراء قوّات المقاومة الشعبيّة في جميع أنحاء البلاد بمناسبة شهادة الإمام السجّاد عليه السلام / ٤/ ١٣٧١ ش- ١٣/ ٧/ ١٩٩٣ م.

وعزمها، ونوع حركتها، كلّ ذلك أضفى عليها هذا النوع من العظمة. وأيّ شخص يقوم بهذا العمل - حتّى لو لم يكن هو بنت أمير المؤمنين عليه السلام - سيظهر عظيماً شامخاً.

الجانب الأساس من هذه العظمة هو من هذه الجهة: أوّلاً، أنّها شخّصت الوقت المناسب، سواء الوقت الذي سبق توجّه الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، أو ظرف اللحظات العصيبة في يوم عاشوراء، أو ظرف الحوادث القاصمة للظهر بعد شهادة الإمام عليه السلام، وثانياً، أنّها اختارت موقفاً مناسباً لكلّ ظرف. هذه المواقف كانت هي من صنعت زينب عليها السلام[1].

قبل التوجّه إلى كربلاء، نجد وجهاء، كابن عبّاس وابن جعفر وشخصيّات معروفة في صدر الإسلام، ممّن يدّعون الفقاهة والشهامة والرئاسة، قد تحيّروا ولم يعرفوا ماذا يفعلون، ولكنّ زينب الكبرى لم تُصب بالحيرة، وأدركت الطريق الذي يجب أن تسلكه، ولم تترك إمامها وحيداً وتمضي. لا لأنها لم تكن مدركة لصعوبة الطريق، بل كانت تدركه أفضل من غيرها. لقد كانت امرأةً حاضرة لأن تنفصل عن زوجها وعائلتها في سبيل أداء المهمّة، ولهذا أحضرت أطفالها وأبناءها معها[2]. كانت تشعر بحجم الواقعة.

في تلك الساعات العصيبة حيث لا يقدر أقوى النّاس على إدراك ما ينبغي أن يفعل، أدركت ذلك ودعمت إمامها وجهّزته للشهادة. بعد شهادة الحسين بن عليّ عليهما السلام، وحين أظلمت الدنيا وتكدّرت القلوب والنفوس وآفاق العالم، أضحت هذه السيّدة الكبرى نوراً ساطعاً. لقد

---

(١) في لقاء حشد كبير من الممرضين بمناسبة ميلاد السيّدة زينب الكبرى سلام الله عليها ويوم الممرّض، ٢٢/ ٨/ ١٣٧٠ش- ١٣/ ١١/ ١٩٩٢ م.

(٢) في حشد كبير من الممرّضين بمناسبة ميلاد السيّدة زينب الكبرى سلام الله عليها ويوم الممرّض، ٢٢/ ٨/ ١٣٧٠ش- ١٣/ ١١/ ١٩٩٢ م.

وصلت زينب إلى حيث لا يصل سوى أعظم النّاس في تاريخ البشريّة - أي الأنبياء عليهم السلام.

تحتاج المرأة اليوم إلى النموذج، فإذا كانت قدوتها زينب وفاطمة عليهما السلام، كان عملها عبارة عن الفهم الصحيح، الفطنة في إدراك الموقف واختيار أفضل الأعمال والمواقف، حتّى لو ترافق ذلك مع التضحية والتزام أيّ شيء من أجل أداء التكليف الكبير الذي أخذه الله تعالى على النّاس[١].

بصيرة قمر بني هاشم عليه السلام

أكّدت الزيارات[٢] والكلمات[٣] الواردة عن الأئمّة عليهم السلام بشأن أبي الفضل العبّاس عليه السلام، على وجود خصلتين لديه: الأولى البصيرة، والثانية الوفاء. فأين تكمن بصيرة أبي الفضل العبّاس؟ لقد كان كلّ أصحاب الحسين عليه السلام من أُولي البصائر، إلّا أنّ أبا الفضل العبّاس كشف عن بصيرة أكبر، ففي يوم تاسوعاء، عندما سنحت له الفرصة للخلاص من هذا البلاء حيث اقترحوا عليه الاستسلام في مقابل إعطائه الأمان، تصرّف بشهامة عالية أفحمت الأعداء، وقال لهم: أنا أتخلى عن الحسين؟! الويل لكم! أفّ لكم ولأمانكم هذا![٤] وثمّة نموذج آخر لبصيرته، وذلك عندما طلب من إخوته الذين كانوا معه بالتقدّم قبله إلى ميدان الحرب والجهاد حتّى بلوغ الشهادة[٥]. فقد

(١) كامل الزيارات، ص٤٤٠-٤٤٢، بحار الأنوار، ج٩٨، ص٢١٧-٢١٩.
(٢) سرّ السلسلة العلويّة، ص٨٩، عمدة الطالب، ص٣٥٦.
(٣) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣١٥، الإرشاد، ج، ص١٠٩، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٩١.
(٤) الأخبار الطوال، ص٢٧٥، الإرشاد، ج٢، ص١٠٩، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٨.
(٥) الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٣، الإرشاد، ج٢، ص١٢٥، بحار الأنوار، ج٤٢، ص٧٤.

كانوا أربعة إخوة من أمّ واحدة، وهم: أبو الفضل العبّاس- الأخ الأكبر- وجعفر وعبد الله وعثمان[١]. فأن يضحّي المرء بإخوته الثلاثة أمام عينيه من أجل الحسين بن عليّ عليه السلام، ولا يعيقه عن ذلك التفكير في أمّه الثكلى والاكتفاء بواحد منهم حفاظاً على مشاعر أمّه ولكي يهتمّ بمصير إخوته الصغار الموجودين في المدينة المنوّرة، هذه هي البصيرة[٢].

الهداية والتنوير

لقد تبدّلت الإمامة الإسلاميّة في زمن الإمام الحسين عليه السلام إلى وضع كهذا: «**يُعمَل في عباد الله بالإثم والعدوان**»[٣]، فكان أن انبرى الإمام الحسين عليه السلام لمقارعة هذا الوضع.

وقد تمثّلت مقارعته هذه في البيان والإيضاح والهداية والتمييز بين الحقّ والباطل، سواء في عصر يزيد أو عصر من سبقه![٤].

زينب وسكينة عليهما السلام مشعلان للعلم والمعرفة

زينب هي القدوة. لم تكن زينب امرأة بعيدة عن العلم والمعرفة، بل كانت تحوز أعلى العلوم وأصفاها وأرفعها. وكذلك الأمر بالنسبة إلى سكينة.. فهي بنت الإمام الحسين عليه السلام وتلميذة زينب عليها السلام. - حيث يرى أهل البحث والتحقيق - أنّها كانت أحد مشاعل المعرفة العربيّة في كلّ تاريخ

---

(١) في خطبة الجمعة، طهران، ٢٦/ ١/ ١٣٧٩ش- ١٥/ ٤/ ٢٠٠١ م.

(٢) في خطبة الجمعة، طهران، ٢٦/ ١/ ١٣٧٩ش- ١٥/ ٤/ ٢٠٠١ م.

(٣) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٠٤.

(٤) في حشود غفيرة من زوّار الجبهة ومختلف شرائح الشعب في مقر" دوكوهة" ٩/ ١/ ١٣٨١ش- ٢٩/ ٣/ ٢٠٠٣م.

الإسلام وحتّى اليوم[١]. فحتّى أولئك الذين يعترفون بزينب أو بوالد زينب أو والد سكينة وليس لديهم اطّلاع، يقبلون ويعترفون أنّ سكينة كانت مشعلاً للعلم والمعرفة.

إنّ السلوك في هذا الطريق (التضحية والشهادة) لا يعني الابتعاد عن طريق العلم والمعرفة والرؤية الكونيّة والتنوير والمعلومات والآداب، بل هذا الطريق هو وراء تلك الأمور[٢].

(١) المنتظم، ج٧، ص١٧٥، الإعلام، ج٣، ص١٠٦.

(٢) في لقاء حشد كبير من الممرّضين بمناسبة ميلاد السيّدة زينب الكبرى سلام الله عليها ويوم الممرّض، ٢٢/ ٨/ ١٣٧٠ش- ١٣/ ١١/ ١٩٩٢ م.

الاشتغال بالذكر والدعاء

مناجاة الله، من الأبعاد المهمَّة في عاشوراء

عندما نطرح عاشوراء بوصفها درساً، لا يمكننا أن نتغاضى عن هذا البعد (الدعاء والمناجاة) مع الله، الدعاء جميل من كلّ النّاس، خاصّة إذا صدر عن أشخاص بعظمة الإمام الحسين عليه السلام، وفي يوم بعظمة يوم عاشوراء.

ليس الدعاء علامة على الضعف بل إنّه إشارة إلى القوّة. بالدعاء يكسب الإنسان القوّة والقدرة، ويزيد من قوّته القلبيّة والروحيّة المساعدة للقدرة الجسميّة، الدعاء يُضيء الطريق للإنسان وينجّيه من الحيرة والتشويش والاضطراب.

إضافة إلى ذلك، فإنّ الدعاء يكشف للمستمع والمخاطب عمّا يدور في ذهن الداعي، فعندما تسمع شخصاً يدعو الله ويناجيه يمكنك أن تعرف أيّ إنسان هو، من خلال دعائه واستغفاره ومناجاته، حقير أم عظيم، قصير النظر أم بعيد النظر، مؤمن أو شاكّ؟

الدعاء، أمر عجيب

لذا نرى في صدر الإسلام أنّ الدعاء موجود في كلّ مكان وزاوية، فالنبيّ صلى الله عليه وآله دعا في معركة بدر وكذلك في معركة أحد، أي أنّ الدعاء لا يعرف النصر أو الهزيمة. الدعاء يعني ارتباط الإنسان بالله واتّكاله عليه. وفي الوقت الذي يكون فيه الإنسان في أوج الانتصار والقوّة لا ينفكّ بحاجة إلى

الدعاء، ينبغي التحدّث مع الله والطلب منه، وفي القرآن، طلبٌ من الله تعالى للنبيّ ﷺ أن: ﴿**إِذَا جَاء نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ**﴾[1]، فعليك بدايةً الإنابة، ثمّ اطلب حاجتك من محضر القادر المتعال. وهذا العنصر والركن الأساس لا يصح أن لا نراه في عاشوراء.

فمنذ اليوم الأوّل لشروع الإمام الحسين عليه السلام بهذه الحركة العظيمة التي صنعت للتاريخ وإلى اللحظة الأخيرة التي وقع فيها على رمال كربلاء الحارّة ولسانه الذي يبس وجفّ من العطش لم يترك الدعاء.

وإنّ دعاء الإمام الحسين عليه السلام في واقعة عاشوراء درس لنا، إنّه يعلّمنا. وفي الوقت الذي كان الخطر لا يزال بعيداً ولم يكن ليصل إليه شخصيّاً كان يرفع يديه إلى السماء ويدعو «**اللهمّ إنّك تعلم أنّه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان**»[2]. دعا الله، وناجاه، وقد أوصل الله تعالى رسالته هذه إلى التاريخ، واليوم فإنّ كلّ من سمع باسم الإسلام في هذا العالم قد سمع هذا الدعاء عن لسان الحسين بن فاطمة وآمن به: «**اللهمّ إنّك تعلم أنّه لم يكن...**» إنّ ظاهر هذا الدعاء هو دعاء حقيقةً، ولا ينبغي أن يُتوهّم أبداً أنّ الأئمّة عليهم السلام عندما يدعون فهم يتظاهرون بالدعاء، لا ليس كذلك، ففي ذلك الدعاء العابق بالحرارة والشوق الذي يدعو به أمير المؤمنين عليه السلام أو الإمام السجّاد عليه السلام: «**إلهي اغفر لي، أنا** المذنب المقصّر المحتاج في عملي القليل إلى عفوك»، في الوقت عينه فالإمام جادّ في دعائه لا يمزح ولا يجامل،

---

(١) سورة النصر، الآيات: ١-٣.

(٢) تحف العقول، ص٢٣٩، بحار الأنوار، ج٩٧، ص٨٠-٨١: مع اختلاف: المصادر والموازنة ص٢٧٧.

فمن كان لديه من المعرفة كعليّ بن الحسين عليه السلام يعلم أنّ عملاً بقدر عمل عليّ بن الحسين هو قليل في محضر الله. وأنّ جهاداً بمقدار جهاد عليّ بن أبي طالب عليه السلام لا يزن كثيراً في ميزان أعمال الإنسان وفي محضر الله فلو أنّ الإمام عليّاً والإمام السجّاد عبدا الله تعالى مئة عام وناجيا وبكيا وجاهدا وخدما عباد الله، لكانا محتاجين إلى الدعاء أيضاً، لأنّ محضر عبادة الله تعالى هو من الوسع والرفعة بحيث إنّ أيّ إنسان لا يمكنه بهذه السهولة أن يشعر بالاكتفاء من العبادة والدعاء.

كانت أدعية الإمام الحسين عليه السلام أدعية جدّيّة حقيقيّة، لكن في الوقت نفسه فإنّ ثمّة أموراً أخرى في هذه الأدعية ذات أهمّيّة بالنسبة إلينا.

الدعاء عند القوّة والضعف، من دروس الإمام الحسين عليه السلام

الدرس الأوّل هو الدعاء ذاته، يا شيعة الحسين بن عليّ عليه السلام ! اعتمدوا على الله تعالى في كلّ الأحوال واطلبوا من الله، فعندما نكون في أوج القوّة والاقتدار لا ينبغي أن نشعر بالقوّة في أنفسنا، وينبغي أن نعتبر الله تعالى هو مصدر القوّة الدائمة وأن نبقى نطلب منه، وأن نمدّ أيدينا متوسّلين إليه - يجب أن نتعلّم الدعاء - ولا ينبغي لأيّ حادثة وأيّ نصر أو شدّة أو بلاء أن تُنسينا الدعاء أو تجعلنا غافلين عنه.

كنت البارحة أتأمّل أدعية الإمام الحسين عليه السلام وأفكّر فيها، تغيّرت أحوالي وانقلبت. ما هذه الروح العظيمة الشامخة! فهو يدعو ويناجي ربّه بقلب مطمئنّ ومستقرّ في خضم كلّ تلك المشاكل والشدائد ما يبعث في الإنسان الدهشة، يجب أن نتعلّم الدعاء نفسه من الإمام الحسين عليه السلام وفي هذه المراحل جميعاً لا ينبغي أن ننسى الدعاء.

رسالة الإمام الحسين التاريخيّة في قالب الدعاء

الرسالة الثانية في دعاء الإمام الحسين عليه السلام التي أبقت ذِكْراه خالدة في ذاكرة التاريخ، ففي ليلة عاشوراء، صدر عن قلب الإمام وعلى لسانه المبارك أحد الأدعية العميقة التي تفيض بالمعاني: «**أثني على الله أحسن الثناء، وأحمده على السرّاء والضرّاء، اللهمّ إنّي أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوّة وعلّمتنا القرآن، وفقّهتنا في الدّين**»[1].

لقد أودع الإمام الحسين عليه السلام رسالته في هذه الكلمات. حتّى لا يتخيّل أحد في مستقبل الأيّام معركة الإمام الحسين عليه السلام بنحو معكوس أو يظنّ أنّه كان يسعى إلى السلطة، وأنّ الصفّ الذي وقف أمامه كان من أهل الله والقرآن، لا، ليس الأمر على هذا النحو.

يقول الإمام عليه السلام: إلهي أشكرك وأحمدك على أن أكرمتنا بالنبوّة وجعلت النبوّة في أهل بيتنا وأنزلت الوحي على أهل بيتنا. كنّا أوّل من أخذ برسالة حرّيّة الإنسان من أجل استحكام العدل ولتمريغ أنوف المستكبرين بالتراب ولنجاة البشريّة. يعني: أيّها النّاس على امتداد التاريخ! إنّ معركة الحسين عليه السلام مع يزيد اليوم كانت في إطار أهداف النبوّة. وما هو مطروح اليوم - بالنسبة إلى الحسين عليه السلام - هو مسألة إحياء العدل وإرغام أنوف الطواغيت والشياطين والجبّارين ونشر التوحيد في العالم....

«**وعلّمتنا القرآن**» و«**فقّهتنا في الدّين**» أي علّمتنا الدّين (في مقابل) أولئك الذين رضوا بظاهر الدّين واكتفوا به ولم يفهموا أنّ الدّين هو لاستقرار النظام الإلهيّ ولتكميل النفوس البشريّة، هؤلاء لم يفهموا الإسلام ولم يجاهدوا في سبيل هذه الأهداف ولم يسعوا، لكن نحن فهمنا الإسلام:

---

(١) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣١٧، الإرشاد، ج٢، ص٩١، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٩٢.

«**وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة**»[١].

نشكرك يا ربّنا لأنّك وهبتنا آذاناً وأعيناً حتّى نكون إلى جانب الحقّ وأن نسعى للحقّ. ولقد بيّن الإمام الحسين عليه السلام من خلال الدعاء، وبلغة الدعاء موقعه للتاريخ، وشرح للناس موقفه في قالب الدعاء.

الانقطاع إلى الله، مقدّمة الجهاد الحقيقيّ والشهادة

ورد في المناجاة الشعبانيّة العالية المضامين: «**إلهي هَبْ لي كمال الانقطاع إليك**»[٢].

كيف يحصل كمال الانقطاع إلى الله، والتحرّر من كلّ القيود والعلائق في طريق المحبوب الحقيقيّ، والتوجّه نحوه والتحليق في فضائه؟

لا تتحقّق الشهادة، التي هي قمّة التضحية بالنسبة إلى الإنسان، من دون التحرّك نحو الانقطاع وما لم يحصل السعي والمجاهدة لإيجاد «الانقطاع إلى الله».

فالوجود المقدّس لسيّد الشهداء عليه السلام، مع أنّه معروف أكثر في بُعدي: الجهاد والشهادة، لكنّه في الحقيقة مظهر الإنسان الكامل والعبد الخالص المخلِص والمخلَص لله. وفي الأصل، لا يحصل الجهاد الحقيقيّ ولا الشهادة في سبيل الله من دون تمهيد بالإخلاص والتوجّه، ومن دون الحركة نحو «**الانقطاع إلى الله**»[٣].

---

(١) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣١٧، الإرشاد، ج٢، ص٩١، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٩٢.

(٢) إقبال الأعمال، ج٣، ص٣٩٩، بحار الأنوار، ج٩١، ص٩٩.

(٣) في لقاء جموع غفيرة من الحرس الثوريّ بمناسبة ميلاد الإمام الحسين عليه السلام ويوم الحرس، ١٠/ ١٢/ ١٣٦٨ش- ٢/ ٣/ ١٩٩٠ م.

قوة القلب في ظلّ الدعاء والمناجاة

قوّة القلب في ظلّ الدعاء والمناجاة

إنّ بعض أدعية الإمام الحسين عليه السلام أيضاً هو عرضٌ لحاجة الإمام عليه السلام إلى الله. يحتاج الإنسان في كلّ الحالات لأن يدعو الله ويتكلّم معه. والحديث مع الله يهب القلبَ قوّة، ويطرد الضعف والوهن. احتاج الإمام الحسين عليه السلام في تلك الظروف الصعبة إلى الحديث مع الله، فتحدّث معه، دعاه وناجاه واستمدّ منه قوّة القلب. وهذا موجود في كلّ الأحوال. الدعاء أيضاً سلوى للآخرين، لم يكن دعاء الإمام عليه السلام سلوًى له فقط، بل كان سلوًى للمحيطين به ولأصحابه. كان الموقف صعباً، كان عليه أن يواسي الآخرين، وقد حدث هذا الأمر من خلال دعاء الإمام عليه السلام إلى جانب الكلمات والخطابات والنقاط الأخرى.

كان للإمام الحسين عليه السلام صباح يوم عاشوراء دعاءٌ، عندما اصطفّ بحرٌ من الجيوش في مواجهة الإمام عليه السلام، وهو يقف مع عدد ربّما لم يكن آنذاك يتجاوز الـ٥٠ أو الـ٦٠ نفراً من أصحابه، جرى على لسانه هذا الدعاء: «**اللهمّ أنت ثقتي في كلّ كرب ورجائي في كلّ شدّة وأنت وليّي في كلّ أمر نزل بي ثقةً وعدّةً**»[1].

أي: إلهي، عندما أعتمد عليك لا يهزّني هجوم الأعداء، عندما أعقد قلبي عليك لا تلقي هموم وغموم موت الأعزّة والأحبّة والشدائد العديدة

(١) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٢١، الإرشاد، ج٢، ص٩٦، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٤.

بظلالها عليّ، أي إلهي! وربّي! في أصعب اللحظات التي يجلب فيها العدوّ كلّ نيران حقده وبغضه وخبثه وقساوته أصنع لنفسي جنّةً من ذكرك. وقد جعل الإمام الحسين عليه السلام هذه الجنّة محيطة به أيضاً، لذلك كلّما كان يوم العاشر يوشك على الاقتراب من الظهر - أو من العصر حسب بعض الروايات - كان الإمام الحسين عليه السلام يصبح أكثر سروراً وسكينة[١]. ففي كلّ هذا الغمّ: موت الأحبّة، تهديد العدوّ القاسي، وذلك العداء الذي أبرزوه بقسوة وغلظة دونما فهم أو وعي، - من الطبيعي أن يستولي الاضطراب على الإنسان - كان الإمام الحسين عليه السلام كلّما اقترب وقت العصر يزداد بهجة وسروراً، ويتألّق وجهه ويزهر وتتعالى روحه، كلّ ذلك بسبب هذا الاعتماد على الله تعالى[٢].

إشارات التأثّر في مناجاة الإمام الحسين عليه السلام

يوجد في بعض ثنايا أدعية الإمام عليه السلام ما يحكي عن تأثّره بحادثة ما. فهذه الروح العظيمة وهذه العظمة الفريدة كانت في يوم عاشوراء تتأثّر لبعض الحوادث، وهذه الحوادث هي عبرة لنا أيضاً. بمعنى أنّ عظمة نفسه لم تكن توجب أن لا يغتمّ ولا يتألّم لهذه المنغّصات. لا، بل كان غمّه في بعض المواقف كبيراً جدّاً وثقيلاً، ما يضّطره إلى الالتجاء إلى محضر القرب الإلهيّ والدعاء والمناجاة، إلّا أنّه صبر أمام هذه الحوادث وتعامل معها بصبر.

وكان من بين تلك الحوادث القاسية التي هزّت الإمام الحسين عليه السلام ورفع عندها يديه إلى السماء بالدعاء شهادة طفله الرضيع، التي هزّته في الواقع. فبعد أن أصابه حرملة بسهم في نحره وهو في حضن والده وسال الدم

---

(١) الطبقات الكبرى، الخامسة ١، ص٤٧٣، شرح الأخبار، ج٣، ص١٦٣-١٦٤، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٥٠.

(٢) في خطبة الجمعة طهران، ٥/ ٧/ ١٣٦٤ش- ٢٧/ ٩/ ١٩٨٦ م.

من أوداجه جمع الإمام عليه السلام الدماء بكفّيه ورمى بها نحو السماء ونثرها[١] بحالة عجيبة، ودعا بهذا الدعاء: «**ربّ إن تكن قد حبست عنّا النّصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير، وانتقم[٢] لنا واجعل ما حلّ بنا في العاجل ذخيرة لنا في الآجل**»[٣].

وهذا يشير إلى أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد تأثّر بشدّة بهذه الحادثة من خلال دعائه لله بهذا النحو.

كما إنّ من الحوادث التي جعلت الإمام الحسين عليه السلام يناجي ربّه ويبثّ شكواه ولواعج قلبه، شهادة عبد الله بن الحسن، ذلك الشابّ ابن الأحد عشر عاماً، وهو ابن الإمام الحسن عليه السلام[٤]، تلك الشهادة التي كانت حادثة صعبة ومؤلمة جدّاً في ذلك الوقت، عندما سقط الإمام الحسين عليه السلام عن ظهر جواده إلى الأرض - في اللحظات الأخيرة - وعاد الجواد إلى المخيّم خالياً وعرفت النسوة والأطفال أنّه حصل خطبٌ للإمام عليه السلام وكان لكلٍّ منهم ردّة فعل[٥].

كان عمر هذا الشابّ عند شهادة أبيه سنة واحدة، وتربّى في حجر عمّه عشر سنوات، فكان عمره يوم عاشوراء ١١ سنة وكان يحبّه أكثر من أبنائه لكونه يتيماً. من الواضح أنّ هذه المحبّة قد عمّت حال هذا الطفل وغمرته، ولذلك عندما فهم - من مجيء الفرس - أنّ عمّه قد سقط على الأرض في المعركة أسرع ووصل إليه. وكما ينقل في الكتب عن هذه الحادثة، أنّه ما إن وصل إلى جسد عمّه المثخن بالجراحات، كان أحد رجال ابن زياد من قساة

---

(١) مقتل الحسين، المقرّم، ص٢٨٥.

(٢) الإرشاد، ج٦٢، ص١٠٨، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٧٥.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام، المقرّم، ص٢٨٦.

(٤) المصدر السابق، ص٢٩٤.

(٥) الفتوح، ج٥، ص١١٩-١٢٠، الآمالي، الصدوق، ص٢٢٦، بحار الأنوار، ج٤٥.

القلوب يستعدّ ليهوي بالسيف على عمّه، فاضطرب هذا الطفل بشدّة وهو يرى هذا المنظر فوضع يديه أمام السيف ليحمي جسد عمّه، إلّا أنّ ذلك الوحش لم يبال وضربه بالسيف عليهما فقطعهما. قطعت يدا الطفل، صاح ونادى، واستغاث[١]، وهنا تغيّرت حالة الإمام الحسين عليه السلام وتأثّر بشدّة، فهو لا يستطيع القيام بعمل وهم يقتلون هذا الطفل اليتيم عزيز قلبه ابن الـ١١ ربيعاً أمام عينيه.

وهنا رفع يديه إلى السماء وشرع في الدعاء من صميم قلبه ودعا عليهم ونادى: «**اللهمّ أمسك عنهم قطر السماء**»[٢].

وهنا يجدر التأمّل، أيّة حالات كانت هذه، أيّة حالات ودقائق روحيّة؟! وفي النهاية أيّ توجّه والتجاء إلى الله تعالى؟! أي أنّه في هذه الحال وبدلاً من القيام بأيّ عمل فيه غضب وغصّة وتحيّر وقنوط، لجأ إلى الدعاء والحديث مع الله.

وهذا درس لكلّ المسلمين وأتباع الحسين بن عليّ عليه السلام ومحبّيه!

نداء قلب الإمام عليه السلام في اللحظات الأخيرة

كان عليه السلام في اللحظات الأخيرة ولسانه قد جفّ وشفتاه قد يبستا من العطش وهو يلهج بالذكر والدعاء ومناجاة الله. فكما ينقل في المقاتل، عندما وقع عليه السلام على الأرض ولم يبقَ إلّا لحظات قليلة من حياته الشريفة، عزم جمع منهم على قتله، أخذوا يتسابقون على قطع رأس أبي عبد الله عليه السلام طمعاً بأخذ الجائزة من أسيادهم[٣]. وهؤلاء سمعوا الإمام الحسين عليه السلام في اللحظات

(١) اللهوف، ص٧٢، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٥٣-٥٤.
(٢) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٤٤.
(٣) تذكرة الخواص، ص٢٢٨.

الأخيرة يقول: «**اللهمّ متعالي المكان عظيم الجبروت شديد المحال غنيّاً عن الخلائق عريض الكبرياء قادراً على ما يشاء...**»[١].

كان مشغولاً بالمناجاة مع الله، أيّ لحظات معنويّة هذه؟! وأيّ لحظة عزيزة وعظيمة تلك اللحظة التي يتحدّث فيها إنسان على هذا النحو إلى الله تعالى؟! نحن لدينا ما يشبه هذه الحالة، شهداؤنا الأعزّاء الذين تعلّموا من الإمام الحسين عليه السلام وقد سمعنا ذلك أحياناً عنهم. فهؤلاء كانوا يدعون في آخر لحظات حياتهم ويناجون، وقد مضوا وهم في دعاء ومناجاة.

هذا هو درس الإمام الحسين عليه السلام. عندما انتهى الإمام من هذه الكلمات دعا بعدّة كلمات أخرى ودعاؤه معروف: «**صبراً على قضائك يا ربّ لا إله سواك**»[٢]، هذا هو نداء قلب الإمام الحسين عليه السلام الذي جرى على لسانه في اللحظات الأخيرة قبل استشهاده وهذا درس لنا. وهذه حال الدعاء في حياة الحسين عليه السلام[٣].

ليلة عاشوراء، وقت الذكر والدعاء

كانت الليالي التي تسبق العمليّات في الجبهة[٤] لياليَ عجيبة ومدهشة ومثيرة. فهؤلاء الشباب، شبابنا وإخواننا عندما كانوا يشعرون باقتراب موعدهم مع الله وأنّهم على وشك الشهادة ومجاورة الله كانوا في الليالي التي تسبق العمليّات يبدون بحال عجيبة، كنّا نشاهد فيهم صوراً مدهشة ومناظر زاهية، وحالة الدعاء والمناجاة والصلاة والذكر والتوجّه إلى الله، حالة جليلة القدر، وعندما نقرأ بعض وصاياهم نشاهد هذا الأمر، نجد التوجّه إلى الله

(١) إقبال الأعمال، ج٣، ص٣٠٤، بحار الأنوار، ج٩٨، ص٣٤٨.

(٢) مقتل الحسين، المقرّم، ٢٩٧.

(٣) في خطبة صلاة الجمعة، طهران، ٥/ ٧/ ١٣٦٤ش- ٢٧/ ٩/ ١٩٨٦ م.

(٤) أثناء الحرب المفروضة على الجمهوريّة الإسلاميّة ١٩٨١ م -١٩٨٨ م-.

في تلك الحالات، في الساعات الأخيرة والأيّام الأخيرة. يشعر الإنسان في تلك اللحظات أنّ الفرصة قد انقضت، فتصبح لديه حالة من الإقبال والتوجّه، إضافة إلى شوق لقاء الله.

وكانت هذه الحالة موجودة بنحو أرفع وبشكل مضاعف ليلة عاشوراء في خيام أصحاب أبي عبد الله الحسين عليه السلام. وقد نقل بعض الذين سمعوا ورووا تلك الوقائع: بينما كنت مارّاً في إحدى الليالي بالقرب من خيام الحسين بن عليّ، كنت أسمع أصوات تلاوة القرآن والدعاء والصلاة من كلّ الخيام، وكان الجميع في حالة ذكر ودعاء[١].[٢]

أصحاب الإمام الحسين عليه السلام أهل الذكر والعبادة

كان ممّا قاله الإمام الخمينيّ: لقد أصبحت جبهات حربنا ومتاريسنا كمساجد العبادة، فيها الصلاة والذكر، وتلاوة القرآن وترانيم الآذان[٣]، هذه هي إحدى الخصوصيّات الممتازة لدينا، وينبغي الحفاظ على ذلك. وهذا موجود لدينا بدءاً من صدر الإسلام وأصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والإمام الحسين عليهما السلام، ولا نبحث عنه في مكان آخر[٤].

---

(١) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣١٩، الإرشاد، ج٢، ص٩٤، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٩٤.

(٢) في مقرّ رئاسة الجمهوريّة، ٢٩، رمضان، ٧/ ٣/ ١٣٦٦ش- ٢٨/ ٥/ ١٩٨٨ م.

(٣) صحيفة الإمام، ج١٨، ص٤٣٩.

(٤) كلمته في مقرّ سيّد الشهداء عليه السلام، ٣٠/ ٣/ ١٣٦٣ش- ٢٠/ ٦/ ١٩٨٥ م.

الأمل

الأمل بنصر الله

في يوم عاشوراء، كان بعض أصحاب الإمام الحسين عليه السلام يتحادثون ويتمازحون[1]! والمزاح أثناء الخطر يدلّ على أنّ قلوبهم كانت مسرورة وساكنة، بمعنى أنّه لم يستولِ عليهم الهمّ والغمّ، وكلّ هذا ببركة هذا الاتكال على الله والاعتماد عليه الذي بيّنه الإمام عليه السلام في هذا الدعاء وفي الأدعية الأخرى: «**كم من همّ يضعف فيه الفؤاد، وتقلّ فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدوّ، أنزلته بك وشكوته إليك، رغبةً منّي إليك عمّن سواك، ففرّجته وكشفته، وأنت وليّ كلّ نعمة، وصاحب كلّ حسنة، ومنتهى كلّ رغبة**»[2].

إلهي، أنا في كلّ حياتي قد أنزلت بك كلّ شدائدي وقلّة حيلتي، عندما يعجز أي شخص على مساعدتي وتقديم العون لي، عندما يفرح العدوّ ويشمت بشدائدي، وأنت الذي برحمتك وقدرتك تفرّجه عنّي. ولذلك فاليوم أنا لا أشكو من أيّ غمّ مع كلّ خصومة هذا العدوّ المدجّج بالحراب حتّى أسنانه. هذه هي روح الإمام الحسين عليه السلام وهذه الشجاعة والقدرة المعنويّة قد حفظها الحسين بن عليّ عليهما السلام[3].

---

(١) اللهوف، ص٥٧-٥٨، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٦٠، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١.

(٢) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٢١، الإرشاد، ج٢، ص٦٤، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٤.

(٣) في خطبة الجمعة، طهران، ٥/ ٧/ ١٣٦٤ ش- ٢٧/ ٩/ ١٩٨٦ م.

عاشوراء، مصدر للأمل عند الشيعة على مرّ التاريخ

لطالما كان شهر المحرّم حامل رسالة على امتداد التاريخ الشيعيّ المضرّج بالدماء. فخلال عصر المحنة الأمويّ والعبّاسي، ذلك العصر الذي ديست فيه القيم الإسلاميّة الرفيعة على أعتاب الارستقراط الأمويّ والعبّاسيّ وبلاط السلطة، في عصر كان الشيعة عشّاق الإمامة والولاية يشاهدون اهتضام الحقوق الإلهيّة الحقّة تحت أقدام وحوش البلاط العبّاسيّ والأمويّ. كان محرّم وعاشوراء، في كلّ مراحل محن التاريخ، هما البوّابة التي تبعث النور والصفاء والحرارة والأمل في قلوب الشيعة، وهذا من أعاجيب مذهبنا وشريعتنا.

إنّ حادثة القتل حادثة مُرّة في العادة.. لكن ما أروع الفكر الشيعيّ الثوريّ المتمرّد، ومدرسة الفداء والجهاد والشهادة التي خلقت من هذه الحادثة الأليمة هيجاناً ونشاطاً وابتهاجاً في قلوب الشيعة، وتفجّر من حادثة وواقعة، - هي بالنسبة إلى الجميع موجبة لليأس - نبعاً فوّاراً بالأمل انسابَ إلى قلوب الموالين.

لقد ضحّى الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه بأنفسهم، في عصر حالك الظلام من القمع والاختناق لا يمكن تحمّله، في مواجهة سلطة متجبّرة. قد ترى العيون الناظرة إلى الأفق القريب نهايةَ الحسين عليه السلام والتنظيم الحسينيّ، إلّا أنّه عليه السلام بقي كبذرة ترقد تحت التراب لتنبت من جديد وتؤتي ثمارها...

الأمل اللّامحدود باللّه، منطق الإمام الحسين عليه السلام

عندما نقول إنّ الحسين بن عليّ عليهما السلام قد انتصر، فأحد الأدلّة على ذلك أنّ كلّ من جعل المنطق الحسينيّ على طول التاريخ محوراً لعمله انتصر ولا شكّ. المنطق الحسينيّ يعني عدم الخوف من الموت. المنطق الحسينيّ يعني

ترجيح الحقّ على الباطل مهما كان الثمن. المنطق الحسينيّ يعني عدم تقليل أصحاب الحقّ وعدم تكثير أهل الباطل مهما كان حجمهم وعددهم[١].

المنطق الحسينيّ يعني الأمل اللّانهائيّ حتّى لو كانت الآمال تبدو ضئيلة في الظاهر[٢].

(١) أي عدم اعتبار الحجم والعدد معياراً في الحركة والانتصار.

(٢) في جمع من عناصر ومسؤولي فيلق الإمام الرضا عليه السلام، ٢٣/ ٥/ ١٣٦٧ش- ١٤/ ٨/ ١٩٨٩ م.

الإخلاص والوفاء

الإخلاص، من أبرز صفات أبي عبد الله عليه السلام

يتميّز تألّق وجود أبي عبد الله عليه السلام بأبعاد مختلفة، وكلّ واحد من هذه الأبعاد يستتبع أبحاثاً وشروحاً عديدة، لكن إذا تناولنا صفتين أو ثلاثاً من بين كلّ هذه الإشراقات، فإنّ «**الإخلاص**» يأتي على رأسها، بمعنى رعاية التكليف والوظيفة الإلهيّة وعدم إدخال المنافع الشخصيّة والجماعيّة والدوافع الماديّة في العمل.

تجلّي الإخلاص في واقعة كربلاء

من خصائص[1] هذه الواقعة أنَّ خروج الإمام الحسين عليه السلام كان خالصاً لله ولا تشوبه أي شائبة، وكان للدّين ولإصلاح المجتمع الإسلاميّ، وهذه خصوصيّة بالغة الأهمّيّة. فعندما يقول الإمام عليه السلام: «**إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً**»[2] أي إنّ ثورتي لم تكن رياءً وغروراً ولا أطلب فيها أيّ شيء لنفسي، وليست فيها ذرّة من الظلم والفساد، بل: «**إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي**» وهذه نقطة مهمّة جدّاً، فـ«**إنّما**» يعني فقط، أي أنّه لا وجود لأيّ هدف أو قصد آخر يكدّر تلك النيّة الصافية وذلك الذهن النيّر المشعّ.

---

(١) بيّن الإمام الخامنئيّ في كلمته خصوصيّتين مهمّتين لهذه الواقعة الفريدة كربلاء. وهاتان الخصوصيّتان هما: الإخلاص التامّ أو المطلق والغربة التي لا نظير لها.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩.

حينما يخاطب القرآن الكريم المسلمين في صدر الإسلام يقول: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاء النَّاسِ﴾[1]، وهنا يقول الإمام عليه السلام: «إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً».

فها هنا نهجان وخطّان. وهناك يقول القرآن: لا تكونوا مثل الذين خرجوا «**بطراً**» أي غروراً وتكبّراً، ولا أثر للإخلاص في تحرّكهم، وما هو مطروح لديهم في هذا المنهج الفاسد هو الـ«**أنا**» و«**الذات**»، و«**رئاء النّاس**»، أي إنّه تزيَّنَ ولبس الحليّ وامتطى جواداً غالياً وخرج وهو يرتجز، إلى أين؟ إلى الحرب، التي يهلك فيها أمثال هؤلاء أيضاً، فخروج مثل هذا الشخص هو بهذا الشكل. ليس لديه سوى نفسه. فهذا خطّ.

وهناك خطّ ونهج آخر في الجهة المقابلة، ومثاله الأرقى ثورة الإمام الحسين عليه السلام، والتي لا وجود فيها للـ«**أنا**» وللـ«**ذات**» والمصالح الشخصيّة والقوميّة والفئويّة أبداً، إذاً هذه أوّل خَصيصة من خصائص ثورة الحسين بن عليّ عليهما السلام.

فكلّما ازداد الإخلاص في أعمالنا ازدادت قيمتها، وكلّما ابتعدنا عن محور الإخلاص اقتربنا من محور الغرور والرياء والعمل للمصالح الشخصيّة والقوميّة، وهذا طيف آخر.

فهناك ساحة وسيعة بين ذاك الاخلاص المطلق وتلك الأنانيّة المطلقة.

وكلّما اقتربنا من هذا الطرف (المقابل للإخلاص) نقصت قيمة عملنا، وقلّت بركته وبقاؤه وديمومته. هذه هي ميزة هذه القضيّة. وكلّما ازدادت الشوائب في الشيء كلّما أسرع فيه الفساد، فلو كان نقيّاً وخالصاً لما فسد أبداً.

وإنْ أردنا أن نعطي مثالاً من الأمور المحسوسة، نقول: إذا كان الذهب خالصاً ونقيّاً بنسبة ١٠٠؟ لم يقبل الفساد والصدأ أبداً، وإنْ كان مخلوطاً

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٧.

بالنّحاس والحديد وبقيّة الموادّ الرخيصة الثمن، احتمل الفساد أكثر، فهذا في المادّيّات.

أمّا في المعنويّات فإنّ هذه المعادلة أكثر دقّة، إنّما نحن لا نفهمها بسبب نظرتنا الماديّة، لكن يدركها أهل المعنى والبصيرة، و إنّ الله تعالى هو النقّاد والصائغ والناقد في هذه الواقعة، «**فإنّ الناقد بصير**»[1]، فوجود شائبة بمقدار رأس إبرة في العمل يقلّل من قيمة العمل بالمقدار نفسه ويخفّف من ديمومته.

فالله تعالى ناقد بصير. وإنّ حركة الإمام الحسين عليه السلام هي من الأعمال التي لم يكن فيها شائبة ولو بمقدار رأس إبرة، لذا ترون أنّ هذا الصنف الخالص النقيّ باقٍ إلى الآن وسيبقى خالداً إلى الأبد[2].

ثلاث خصال بارزة ومهمّة في شخصيّة أبي عبد الله عليه السلام

من جملة عشرات، بل مئات الخصائص التي تنفرد بها الأمّة الإسلاميّة بفضل القرآن والإسلام وأهل البيت عليهم السلام، أنّ لهذه الأمّة، نصب عينيها، قدوات كبيرة ومشرقة. ووجود القدوة في حياة الشعوب مسألة ذات أهمّيّة كبيرة، فاذا ما وجد لدى أمّة شخصيّة فيها نفحة عظمة، فإنّ تلك الأمّة لا تنفكّ عن تمجيدها والتغنّي بها وتخليد اسمها، من أجل توجيه المسار العامّ لحركة أجيال الأمّة في الاتجاه المطلوب. وقد لا يكون هناك في الواقع أي وجود حقيقيّ لمثل هذه الشخصيّة، وإنّما يُستقى من شخصيّة خياليّة مطروحة في القصص والأشعار والأساطير الشعبيّة، وهذا كلّه نابع من حاجة الأمّة لرؤية قدوات

---

(١) الاختصاص، ص٣٤١، بحار الأنوار، ج١٣، ص٤٣٢.

(٢) في حشود ضخمة من منتسبي الحرس والوحدات الخاصّة للقوّات المسلّحة بمناسبة يوم الحرس، ٢٦/ ١٠/ ١٣٧٢ش- ١٦/ ١/ ١٩٩٤ م.

عظيمة أمامها من بين ظهرانَيْها. وهذه الظاهرة موجودة في الإسلام على نحو وافر ومنقطع النظير، ومن بين الأكابر الذين صاروا قدوةً تَنهض شخصيّة أبي عبد الله الحسين عليه السلام إمام المسلمين وسبط الرسول، وشهيد تاريخ الإنسانيّة الكبير.

إنّ لتألّق شخصيّة أبي عبد الله عليه السلام أبعاداً شتّى يتطلّب كلّ واحد منها بياناً وتوضيحاً شاملاً،.. من جملتها «**الإخلاص**»، والإخلاص معناه الالتزام بالواجب الإلهيّ وعدم إدخال المصالح الشخصيّة والفئويّة والدوافع الماديّة فيه.

ومن الصفات الأخرى البارزة أيضاً[١]: هي «**الثقة بالله تعالى**»، كانت ظواهر الأمور تقضي بأنّ تنطفئ تلك الشعلة في صحراء كربلاء، مثلما كان الفرزدق الشاعر[٢] يرى ذلك في حين لم يكن يراه الحسين! ويراه الناصحون القادمون من الكوفة[٣]، ولا يراه الحسين الذي كان عين الله! لقد كانت ظواهر الأمور توحي بهذا المآل، إلّا أنّ الثقة بالله كانت توجب عليه اليقين.. وجوهر القضيّة هو أن تتحقّق نيّة المرء وغايته. والإنسان المخلص لا تهمّه ذاته فيما إذا تحقّقت الغاية التي يرمي إليها.

أمّا الخصوصيّة الثالثة فهي إدراك «**الموقف**»، وعدم الوقوع في الخطأ فيه، فقد كان الإمام الحسين متصدّياً لزمام المسؤوليّة والإمامة مدّة عشر سنوات[٤]، مارس خلالها نشاطات أخرى ليست من طراز الفعل الاستشهاديّ في كربلاء، ولكن بمجرّد أن سنحت له الفرصة للإتيان بعمل كبير استغلّ تلك الفرصة ونهض وتمسّك بها، ولم يدَعْها تفلت من بين يديه.

---

(١) إشارة إلى أنّ هناك صفات أخرى والتي هي الإخلاص والتوكّل ومعرفة الزمان.

(٢) الفتوح، ج٥، ص٧١، إعلام الورى، ج١، ص٤٤٥، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٧٤.

(٣) الأخبار الطوال، ص٢٤٧، مثير الأحزان، ص٣٠، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣١٤.

(٤) روضة الواعظين، ص١٩٥، كشف الغمّة، ج٢، ص٢٥٠، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٠٠.

لهذه الأبعاد الثلاثة طابع مصيريّ، وهي على هذا النحو في كلّ العهود. وفي أحداث ثورتنا أيضاً منح الباري تعالى إمامنا الخمينيّ منزلة رفيعة ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[١]، وصانه وحفظه وخلّده بالرغم من كلّ القوى الماديّة والاستكباريّة في العالم التي كانت تكيد له المكائد وتسعى للقضاء عليه[٢].

الوفاء

في الزيارات[٣] والكلمات[٤] الواردة عن الأئمّة عليهم السلام بشأن أبي الفضل العبّاس عليه السلام، تمّ التأكيد على خصلتين: الأولى البصيرة، والثانية الوفاء.

أمّا وفاء أبي الفضل العبّاس عليه السلام فقد تجلّى أكثر ما تجلّى في بلوغه شريعة الفرات من غير أن يشرب قطرة من الماء، فالمشهور على الألسنة أنّ الإمام الحسين عليه السلام بعث بأبي الفضل لجلب الماء[٥]، إلّا أنّ الذي رأيته في الروايات المعتبرة الواردة في كتب مثل «**الإرشاد**» للمفيد، و«**اللهوف**» لابن طاووس يختلف قليلاً عمّا ذكرته، فقد جاء في هذه الكتب المعتبرة أنّ العطش قد اشتدّ بالأطفال وبلغ مبلغه من حرم آل البيت عليهم السلام في اللحظات الأخيرة، فذهب الإمام الحسين وأبو الفضل عليهما السلام معاً في طلب الماء[٦]، وتوجّها إلى شريعة الفرات - التي هي شعبة من نهر الفرات - لعلّهما يحصلان على بعض

---

(١) سورة مريم، الآية ٥٧.

(٢) في حشود ضخمة من منتسبي الحرس والوحدات الخاصّة للقوّات المسلحة بمناسبة يوم الحرس، ٢/ ٩/ ١٣٧٧ش- ٢٣/ ١١/ ١٩٩٩ م.

(٣) كامل الزيارات، ص٤٤٠-٤٤٢، بحار الأنوار، ج٩٨، ص٢١٧-٢١٩.

(٤) سرّ السلسلة العلويّة، ص٨٩، عمدة الطالب، ص٣٥٦.

(٥) المنتخب للطريحيّ، ج٢، ص٣٠٥-٣٠٦، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٤١.

(٦) اللهوف، ص٦٩-٧٠، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٥٠.

الماء. هذان الاثنان هما من الإخوة الشجعان والأقوياء وقد كانا معاً دائماً في ساحة القتال، الإمام الحسين عليه السلام بعمره الذي شارف على الستّين عاماً[١] لكنّه لم يكن يُشقّ له غبار في البسالة والقوّة، وأخوه الشابّ أبو الفضل العبّاس الذي جاوز الثلاثين بقليل[٢]، بما يتميّز به من خصال يعرفها الجميع. فهذان الأخوان لم يفارق أحدهما الآخر في ساحة الحرب، وكان كلّ منهما يحمي ظهر الآخر عند اشتداد القتال وتخلُّل صفوف الأعداء أملاً في الوصول إلى الفرات وجلب الماء. وخلال هذه الجولة القاسية من المعركة وجد الإمام الحسين عليه السلام فجأة بأنّ العدوّ قد فصل بينه وبين أخيه العبّاس عليه السلام لدى اشتداد القتال، وفي هذه المعمعة كان أبو الفضل قد اقترب من الماء ووصل إلى شريعة النهر. وكما جاء في الروايات، فإنّه ملأ قربةً للعودة بها إلى الخيام، وفي مثل هذه الحالة يعطي كلّ واحد الحقّ لنفسه بأن يروي ظمأه، ولكنّ أبا الفضل العبّاس عليه السلام أظهر وفاءه في هذا الموقف الصعب. فعندما غرف غرفة من الماء «**فذكر عطش الحسين** عليه السلام»، وتذكّر صيحات: العطش.. العطش.. التي أطلقها أطفاله وبناته، وربّما تذكر بكاء عليّ الأصغر وظمأه، فلم يشرب وألقى الماء وغادر الشريعة[٣].

---

(١) تاريخ الأئمّة، ص٨، المعجم الكبير، ج٣، ص٩٨، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٩٠.

(٢) إعلام الورى، ج١، ص٣٩٥، سرّ السلسلة العلويّة، ص٨٩.

(٣) في خطبة صلاة الجمعة طهران، ٢٦/ ١/ ١٣٧٩ش- ١٥/ ٤/ ٢٠٠١ م.

اجتناب النزعة الدنيوية

رفض الحرص على الدنيا في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

كتب الإمام الحسين عليه السلام وصيّته التاريخيّة لأخيه محمّد بن الحنفيّة عند خروجه من المدينة وتوجّهه إلى مكّة والتي قال فيها: «**إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي**».

أي: يا شعوب العالم، يا أخي محمّد! يا أهل المدينة، أيّها النّاس الذين يعيشون في أقطار العالم الإسلاميّ في ظلّ عار حكومة يزيد! يا أجيال تاريخ البشريّة الآتية! اعرفوا ما هو هدف هذه الثورة.

لم يسمح الإمام الحسين عليه السلام للأبواق الدعائيّة المفضوحة ليزيد بن معاوية أن تشتّت أهدافه وتضيّعها. يريد الإمام الحسين عليه السلام أن يوصل الحقيقة إلى آذان الجميع وأن يفهم الجميع: «**إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً**».

والخلاصة أنّه: لم أخرج لدوافع ماديّة، ولم أخرج لكسب مقام كيزيد، لم أثُر كطلّاب الدنيا التافهين لكسب منفعة ماديّة والاستفادة منها شخصيّاً. لم أذهب إلى كربلاء اهتماماً بدنياي الماديّة، إنّما كانت حركتي وخروجي لأجل هدف آخر. لقد خرجت من المدينة ثمّ عزمت إلى مكّة لأقتلع هذا الفساد الذي أوجدَتْه الحكومة اليزيديّة والأمويّة. لقد أعددت نفسي للتضحية والشهادة لكي أسطّر بدمي وتضحيتي خطّ البطلان لكلّ التدابير والخطط اليزيديّة. لقد أتيت لكي أزلزل الأساس الفاسد لهذا النظام وهذه الحكومة[1].

---

(١) كلمته في ٢٩/ ٨/ ١٣٥٧ش - ٢٠/ ١١/ ١٩٧٩ م.

التلوّث بالدنيا، عائق أمام مواجهة جهاز الظلم والفساد

عندما نتحدّث عن فساد الجهاز (السلطة) من الداخل، فمعنى ذلك: ظهور أفراد في المجتمع ينقلون أمراضهم الأخلاقيّة المعدية والمهلكة - الدنيويّة والشهوانيّة - تدريجيّاً إلى باقي أفراد المجتمع.

في مثل هذه الحالة، من هو صاحب القلب والمبادرة والروية الذي سيمضي لمواجهة نظام يزيد بن معاوية؟! هل سيحدث مثل هذا الأمر حينها؟ فمن هو الّذي كان يفكّر بمواجهة النظام اليزيديّ الظالم والمفسد في ذلك الزمان؟

في مثل تلك الأوضاع حدثت النهضة الحسينيّة العظيمة، الّتي واجهت العدوّ مثلما واجهت روحيّة السعي للراحة والرضا بالفساد المهلك المنتشرة بين المسلمين العاديّين وعامّتهم. وهذا أمرٌ مهمٌّ. يعني أنّ الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام قام بعمل أيقظ وجدان النّاس[١].

الغفلة عن طريق الإمام الحسين عليه السلام نتيجة طلب الدنيا

هدف الإمام الحسين عليه السلام هو ذلك الهدف الذي يظهر في كلماته، مثل: «إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي»[٢] أو «أيّها النّاس إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلّاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله فلم يغيّر عليه بقولٍ ولا فعلٍ، كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله»[٣].

---

(١) في جمع من عناصر الحرس الثوريّ والقوّات العسكريّة بمناسبة ٣ شعبان، ٦/ ١١/ ١٣٧١ش - ٢٦/ ١/ ١٩٩٣م.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩.

(٣) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٠٤.

أو قوله: «فمن كان باذلاً فينا مهجته وموطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا»[١].

كلّ من هذه الكلمات درس وفصل.

فالكلام هنا عن لقاء الله، والهدف من خلق البشر، و ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[٢].

كلّ هذه المساعي والمشاقّ لأجل هذا الأمر ﴿فَمُلَاقِيهِ﴾، فمن كان موطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل مع الحسين، ولا يجوز له المكوث في البيت والتعلّق بالدنيا ومتاعها والغفلة عن طريق الحسين عليه السلام.

فيجب أن نتحرّك، وهذا يبدأ بتهذيب النفس ثمّ التحرّك إلى المجتمع والعالم[٣].

اجتناب الحرص على السلطة

ينقل عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال: «اللهمّ إنّك تعلم أنّه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فضول الحطام»[٤].

اللهمّ إنّك تعلم أنّ حركتنا، ثورتنا، مواجهتنا هذه للظلم والاستكبار ليست للوصول إلى مقام.. وليست لأجل كسب شيء لأنفسنا، حتّى تعود ملذّات الدنيا وحلوها علينا وحتّى ندّخر المال والثروة و.. وليست لكي نكسب بضعة صباحات إضافيّة نتمتّع بها في حياتنا الزهيدة والسريعة الانقضاء[٥].

---

(١) اللهوف، ص٣٨، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، ص٨٦، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٦٧.

(٢) سورة الانشقاق، الآية: ٦.

(٣) في لقاء العلماء والمبلّغين وقرّاء العزاء على أعتاب قدوم شهر محرّم الحرام، ٣/ ٣/ ١٣٧٤ش- ٢٤/ ٥/ ١٩٩٦ م.

(٤) تحف العقول، ص٢٣٩، بحار الأنوار، ج٩٧، ص٨٠-٨١.

(٥) في لقاء العلماء والمبلّغين على أعتاب شهر محرّم الحرام، ٢٣/ ١/ ١٣٧٨ش- ١٢/ ٤/ ٢٠٠٠ م.

اجتناب التفكير النفعيّ الخاطئ

يحيا الإسلام اليوم بدماء الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام، ولم يتصرّف الإمام الحسين عليه السلام انطلاقاً من التفكير النفعيّ، كما فعل بعضهم في ذلك العصر، وقال: لماذا يُقضى علينا؟! نبقى على قيد الحياة وندافع عن الإسلام. كان لبعضهم مثل هذا المنطق. وهم لم يدركوا أنّه متى كان البقاء على قيد الحياة هو الهمّ الأكبر لإنسان أو شعب أو أمّة، فلن يعود باستطاعتهم الدفاع عن الله وعن الإسلام والقيم[١].

شعلة الإيمان بدل التعلّق بالحكومة، طريقة الإمام الحسين عليه السلام

بصيص الأمل الوحيد الذي كان يحمّس القلوب ويحفّز هؤلاء على التحرّك خلال عامَيْ (١٩٦٢ و١٩٦٣م)[٢] وما تلاهما من سنيّ المحنة والاضطهاد في السجون، هو الإيمان بالجهاد، لا الرغبة في بلوغ السلطة.

وهذا الخطّ هو ذاته خطّ الإمام الحسين عليه السلام، غاية الأمر أنّه كان له طرفان والظروف الزمانيّة والمكانيّة متغيّرة، فتارة تتوفّر الإمكانيّات فترفع الحكومة الإسلاميّة رايتها، وتارة تنعدم هذه الإمكانيّات فيؤول الخطّ إلى الشهادة، وكثيراً ما شهدنا نظير ذلك عبر التاريخ[٣].

الإمامة، النقطة المقابلة للحكم بالقوّة والخداع

ماهيّة الإمامة مغايرة لماهيّة السلطنة ومناقضة لها. فالإمامة تعني القيادة الروحيّة والمعنويّة والارتباط بالنّاس بالرباط العاطفيّ والعقائديّ، وأمّا

---

(١) في لقائه عوائل شهداء كتيبة الحرس " قدر ٩"، ٢٤/ ٢/ ١٣٦٣ش - ١٤/ ٥/ ١٩٨٥ م.

(٢) بداية إرهاصات الثورة والتحرّكات الشعبيّة وبيانات الإمام والاعتقالات والإبعاد و...

(٣) في لقاء العلماء والمبلّغين على أعتاب شهر محرّم الحرام، ٢٣/ ١/ ١٣٧٨ش- ١٢/ ٤/ ٢٠٠٠ م.

السلطنة فتعني حكومة القوّة والشدّة والخداع بلا أدنى علاقة معنويّة أو عاطفيّة أو عقائديّة. فالإمامة والسلطنة تقفان على طرفي نقيض تماماً.

إنّ الإمامة حركة في وسط الأمّة ومن أجل الأمّة ولا تستهدف سوى الخير. بينما تعني السلطنة تلك السلطة المتجبّرة الآخذة بأعناق النّاس، والتي تهدر حقوقهم، وتتجاهل مصالحهم من أجل فئة خاصّة، وتعمل لإثراء الطبقة الحاكمة وإشباع نزواتها..

ما رأيناه في زمن ثورة الإمام الحسين عليه السلام هو تلك الثانية لا الأولى، أي أنّ يزيد الحاكم لم يكن على علاقة بالنّاس، ولم يكن من أهل العلم، ولم يكن تقيّاً ولا نقيّاً ولا حكيماً، كما لم تكن له سابقة في الجهاد في سبيل الله، ولم يكن يؤمن قدر ذرّة بمعنويّات الإسلام، ولم يكن سلوكه سلوك إنسان مؤمن، ولم يكن قوله قول حكيم عاقل، كان عارياً عن أيّ شبه برسول الله صلى الله عليه وآله. وفي مثل هذه الظروف سنحت الفرصة للإمام الحسين عليه السلام ليقوم بثورته، وهو الإمام الذي كان يجب أن يخلف رسول الله صلى الله عليه وآله في أداء مهمّته.

لو نظرنا إلى هذه القضيّة، في الظاهر، فإنّ هذه الثورة ثورة على حكومة يزيد الفاسدة وغير الشعبيّة، وأمّا من حيث الباطن، فهي ثورة من أجل القيم الإسلاميّة وفي سبيل العلم والإيمان والكرامة وبغية إنقاذ النّاس من الفساد والانحطاط والجهالة. ولهذا فإنّ الإمام الحسين عليه السلام لدى خروجه من المدينة كتب وصيّته التاريخيّة لأخيه محمّد بن الحنفيّة والتي قال فيها: «**إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي**»[1].

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩.

الجرأة والشجاعة

شهر محرّم يذكّر بالبطولة والشجاعة

يصادف في هذا العام أن تلتقي الذكرى السنويّة لأسبوع الدفاع المقدّس مع أيّام محرّم الحرام. وهذا يشكّل مدعاة لنا لنعود بذاكرتنا إلى هؤلاء العظماء الذين سطّروا لنا دروساً خالدة في العزيمة والإرادة والشجاعة والبصيرة الثاقبة.

وبالرغم من أنّ الإمام الحسين عليه السلام انتهى الأمر به في ساحة القتال الظاهريّ بالقتل والشهادة، إلّا أنّه هو الذي فاز وحقّق النّصر واقعاً.

شعبنا أيضاً استطاع أن ينتصر، وسيكون قادراً أيضاً - بعون الله وتوفيقه وفضله - على أن يمرّغ أنوف أعدائه بالتراب، حتّى في ساحة القتال الظاهريّ أيضاً، وسيتسنّى لأبناء شعبنا في الوقت عينه أن يأخذوا بثأر أسلافهم الماضين.

المنطق الحسينيّ يعني عدم الخوف من الموت

عندما نقول إنّ الحسين بن عليّ عليه السلام قد انتصر، فدليل هذا الكلام وتوجيهه أنّ كلّ من جعل المنطق الحسينيّ، على طول التاريخ، محور عمله قد انتصر ولا شكّ، المنطق الحسينيّ يعني عدم الخوف من الموت. المنطق الحسينيّ يعني ترجيح الحقّ على الباطل بأيّ ثمن كان. المنطق الحسينيّ يعني عدم تقليل أصحاب الحقّ وعدم تكثير أهل الباطل في أيّ حجم وعدد

كانوا[١]. المنطق الحسينيّ يعني الأمل اللانهائيّ حتّى لو كانت الآمال تبدو ضئيلة في الظاهر[٢].

عاشوراء درس الصمود والفداء والشجاعة

اعرفوا قدر أيّام محرّم وعاشوراء، اغتنموا هذه الأيّام أيّما اغتنام. إنّ ذكر الحسين بن عليّ عليه السلام وشهامته وتضحيته تهب لنا قوّة القلب والإرادة. لا نجد في كلّ التاريخ مثيلاً لتلك الشجاعة وتلك التضحية. وعلى الإخوة الأعزّاء قرّاء العزاء والعلماء المحترمين، إذا خطبوا وتحدّثوا بذكر المصيبة، أن يهتمّوا أكثر بجنبة التضحية والفداء وأن يستندوا إلى الدرس الذي يؤخذ منها.

إنّ عمل الإمام عليه السلام هو في الأساس درس لنا. يعلّمنا، نحن المسلمين، كيف ندافع عن ديننا. لم يقع أيّ واحد منّا حتّى الآن في ظروف الإمام الحسين عليه السلام. فهناك فرق كبير بين كربلاء (الحسين) وكربلاء خوزستان وإيران. ولا ترقى حادثة ولا قضيّة مرّ فيها الشعب الإيرانيّ مهما كانت مؤلمة ومرّة إلى شدّة وعظمة ومرارة واقعة الإمام الحسين عليه السلام ولن ترقى، لكن الإمام عليه السلام قاوم وصمد واستشهد بشجاعة ولم يتراجع. ينبغي أن نتعلّم ذلك. لقد تخلّى الإمام الحسين عليه السلام عن كلّ شيء في سبيل الإسلام. وهذا درس علينا أن نتعلّمه[٣].

أهمّيّة الشجاعة في مواجهة نظام الظلم

توجد نقطة مهمّة - برأيي - ما لم نفهمها فإنّنا لن نقف على أهمّيّة عمل الإمام الحسين عليه السلام في أبعاده المختلفة، وهي أنّ ذلك النظام لم يكن له في ذلك اليوم نظير في الشدّة والقسوة، ولم يتوانَ عن ذلك - فيما لو نظرنا من

(١) أي عدم اعتبار الحجم والعدد معياراً في الحركة والانتصار.

(٢) في جمع من عناصر ومسؤولي فيلق الإمام الرضا عليه السلام، ٢٣/ ٥/ ١٣٦٧ش - ١٤/ ٨/ ١٩٨٩ م.

(٣) في جمع من عناصر وقادة لواء قمر بني هاشم، ٢٦/ ٥/ ١٣٦٧ش - ١٧/ ٨/ ١٩٨٩ م.

جهة الاستقرار والاطمئنان الداخليّ لذلك النظام -، ولهذا السبب ترون أنّه في زمن معاوية، كان هناك من يعترض ويرفع الصوت، ولكن في حكومة ابنه يزيد التي دامت سنوات ثلاثاً[١] أشاحوا بوجوههم - وخاصّة في السنة الأولى - عندما بدأ الإمام الحسين عليه السلام حركته العظيمة ولم ينبسوا ببنت شفة!

لماذا كان لدى بعضهم، الجرأة على رفع الصوت ومواجهة تلك القدرة السياسيّة التي كانت لمعاوية السياسيّ المحنّك والقويّ والذي كان يتّسع نفوذه ليشمل بلاداً واسعة مترامية الأطراف من أوروبا إلى أقصى آسيا الوسطى أي أطراف خراسان[٢]؟ لماذا عُرف أشخاص في المراحل السابقة - أي في عهد الخلفاء السابقة ما خلا عهد أمير المؤمنين عليه السلام - قد استفادوا من امتيازات استثنائيّة، إلّا أنّهم سكتوا في زمن يزيد؟!

هذه الظاهرة جديرة بالتأمّل والاهتمام على الرغم من أنّ أشخاصاً - بعد ثورة كربلاء - كعبد الله بن الزبير كانوا قد نهضوا في مكان ما[٣]، أو جماعة المدينة الذين ذهبوا إلى يزيد بهدف القضاء عليه[٤]، إلّا أنّ كلّ ذلك قد حصل بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام، فمع أنّ هؤلاء تحرّكوا، لكن قد قُضي عليهم وأُبيدوا.

حدثت واقعة «**الحرّة**» بعد سنتين، أو ثلاث[٥] حيث هجموا على المدينة - التي هي مركز الإسلام وفيها بيت الرسول وبيوت الخلفاء - بهذا الشكل[٦].

---

(١) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٨٣-٣٨٤.

(٢) أطلس العالم، ص١٧٦.

(٣) أنساب الأشراف، ج٥، ص٣١٩-٣٢٠، تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٤٨.

(٤) تاريخ اليعقوبيّ، ج٢، ص٢٥٠-٢٥١، أنساب الأشراف، ج٥، ص٣٣٢، إعلام الورى، ج١، ص٩٦.

(٥) الفتوح، ج٥، ص١٥٦، تذكرة الخواص، ص٢٥٩-٢٦٠.

(٦) في لقاء أعضاء لجنة مراسم ذكرى رحيل الإمام الخميني قدس سره ٢/ ٣/ ١٣٧٥ش - ٢٣/ ٥/ ١٩٩٧ م.

كان الرعب والإرهاب والقسوة في عهد يزيد - خاصّة في السنة الأولى لعهده - شيئاً لا يوصف. لذلك نرى أشخاصاً لم يحرّكوا ساكناً أمثال العبادلة الثلاثة - ابن عبّاس، وابن جعفر، وابن الزبير نفسه - وغيرهم وغيرهم. ففي ظلّ ظروف كهذه - ومن المهمّ هنا فهم الظروف - نرى نظاماً بهذا الاستقرار والقوّة والنفوذ والانتشار، بحيث لم يجرؤ شخص ولو في أقصى الأطراف النائية، أن يرفع رأسه بوجهه، ولكن فجأة نرى شخصاً واحداً فقط يقف في مقابله ويدعوه للمواجهة بشجاعة. هذا هو الواقع السياسيّ الذي كان سائداً في قضيّة الإمام الحسين عليه السلام.

جوّ الرعب الحاكم وثورة الإمام الحسين عليه السلام

كانت سطوة النظام السلطويّ الباطل تزداد قسوة وفظاظة ووقاحة يوماً بعد يوم. لم يكن هناك مجال لأيّ أمر بالمعروف ونهي عن المنكر. كان جوّ الرعب مسيطراً إلى الحدّ الذي جعل الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ينأون بأنفسهم عنه. حتّى إنّ أشخاصاً كـ«**عبد الله بن الزبير نفسه**»، - من المعروفين بالجرأة والجسارة - كانوا يسعون إلى عدم الاصطدام بجهاز الخلافة، أي أنّ الأوضاع والأجواء كانت صعبة وقاسية جدّاً، بحيث إنّ شخصاً كعبد الله بن جعفر ابن أخي أمير المؤمنين عليه السلام وصهره وزوج زينب عليها السلام[1] كان يسعى للتقرّب من جهاز الخلافة، إذ لم يكن - أصلاً - غير هذا الشيء متصوّراً، وكذلك الأمر شخص كـ«**عبد الله بن عبّاس**» الذي انزوى ونأى بنفسه عن النّاس واختار الجلوس في زاوية. بمعنى أنّهم كانوا من أصحاب الفصاحة في اللسان ومن الشخصيّات البارزة وأبناء كبار «**بني هاشم وقريش**» ومن الشباب المعروفين في صدر الإسلام، وكلّ واحد منهم له تاريخ

---

(١) الطبقات الكبرى، الخامسة٢، ص٥-٦، الغارات، ج٢، ص٦٩٤.

طويل من الإنجازات، هؤلاء لم يكن لديهم الجرأة لينزلوا إلى الميدان، فما بالك بعامّة النّاس؟!

ولم يكن الأمر كذلك في الشام فحسب، بل كان كذلك في المدينة أيضاً - فلكم أن تقارنوا وضع المدينة ببقيّة المناطق الأخرى التي لم يكن لها تلك الموقعيّة المركزيّة. هكذا كانت أوضاعها، ذلك الاختناق العجيب والغريب.

كانت حركة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته في ذلك الوقت لقمع تلك السلطة.

عدم اضطراب الإمام الحسين عليه السلام في ظروف الغربة

في كربلاء ذلك اليوم، عندما حاصره ثلاثون ألفاً من الأراذل والأوباش مع أصحابه الذين لم يبلغوا المائة[١]، وهدّدوه هو ومن معه من أعزّائه بالموت، كما هدّدوا نساءه وحرمه بالأسر، لم تبدُ على هذا الرجل الإلهيّ والعبد الربّانيّ العزيز في الإسلام ذرّةٌ من الاضطراب[٢].

(١) الفتوح، ج٥، ص١٠١، الإرشاد، ج٢، ص٩٥، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٤.
(٢) في خطبة صلاة الجمعة، طهران، ٢٦/ ١/ ١٣٧٩ش - ١٥/ ٤/ ٢٠٠١ م.

الحكمة والصلابة

حكمة زينب عليها السلام وصلابتها في ثورة عاشوراء

انظروا إلى زينب الكبرى عليها السلام، في الواقع لا يمكننا ترسيم أبعاد شخصيّة زينب الكبرى عليها السلام في بضع جمل، كما إنّ الحديث عنها في مطوّلات الكلام والشعر ليس ممكناً.

على الإنسان أن يتعرّف إلى تلك الأوضاع والظروف وأن يلمسها وأن يدرك العمل الذي قامت به زينب عليها السلام ليفهم أيّ عظمة كانت لها عليها السلام ! لا يمكننا أن نؤدّي حقّ زينب الكبرى من بعيد، باللسان وبالإشارة وبمثل هذه الكلمات. لننظر إلى أعماق شخصيّة امرأة تعلم أنّ هذا الجمع في طريقه إلى جهاد غير متكافئ، ولا انتصار ظاهريّاً ولا دنيويّاً فيه، ومع أنّها تعرف ذلك، فقد تحرّكت مع هذا الجمع، أي أنّها تحمّلت الأخطار.

ففي هذا السفر كان الخطر والشدائد. إضافة إلى الشدائد والأخطار، كان هناك شيء أهمّ وأكثر بكثير من المصاعب والمتاعب الشخصيّة، وهو المسؤوليّة.

كانت زينب الكبرى عليها السلام تدرك أنّه لو افتقدت أخاها الحسين عليه السلام فليس هناك شخص تليق به قيادة هذا الجمع ورعايته وإدارته. فقد كان في انتظار هذا الجمع مصيرٌ فيه المرارة والتعقيد، ومع ذلك واجهت عباب أمواج البحر وأضحت كرجل بقابليّات علويّة، كأمير المؤمنين عليه السلام، كالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، ومثل أخيها الإمام الحسين نفسه عليه السلام، ودخلت هذا الميدان الصعب والشديد التعقيد. ثمّ في

المراحل كلّها، أدّت دور حكيمٍ شجاع قدير يمتاز بجاذبيّة باهرة. وكأنّها قد خطّطت لبرنامجها من قبل، وتحرّكت بناءً عليه خطوة خطوة، فلم تفاجئها الحوادث، وكأنّها قد تنبّأت بجميع هذه الحوادث وتوقّعتها ورأتها. وكان لديها لكلّ حادثة جوابها وعلاجها المناسب وعملت طبقاً لذلك. على سبيل المثال: ليلة عاشوراء، صباح العاشر، ظُهر العاشر، عصر العاشر، ليلة الحادي عشر، عندما التهمت النيران الخيام، أثناء الخروج من كربلاء مع جمع من النساء والأطفال بدون راع أو كفيل، ومع ابن أخ عليل لا يقوى على الوقوف أو الجلوس، كانت هكذا في مثل هذه الظروف وفي كلّ تلك الأوضاع. تكفي واحدة من التجارب التي كانت تواجه زينب ليل نهار، لو أنّها واجهت شخصاً في حياته واستطاع اتّخاذ القرار المناسب بوقته وأن يؤدّي ما عليه بشكل صحيح، فهو جدير بأن يُرفع ويمجَّد ويُمنح لوح فخار وافتخار، وأن يسجّل اسمه في التاريخ. فقد وقعت حوادث مهمّة عدّة في حياة هذه المرأة العظيمة وخلال مدّة قصيرة وقد تعاملت معها كلّها بحكمة وشجاعة وقوّة، وكان تعاملها مع هذه الأحداث باعثاً على التعجّب.

الصبر والحكمة في سلوك السيّدة زينب عليها السلام

عندما يُبتلى الإنسان بمصيبة ما فإنّه لا يستطيع القيام حتّى بأعماله اليوميّة. عندما يكون مضطرباً، يواجه مشكلة ما تجلس على صدره كجبل، فهو يفتقد القوّة والنشاط حتّى لهذه الصلاة التي يريد القيام بها. ليس لديه قدرة على الحديث حتّى مع رفيق أو صديق، وإذا كان مشاركاً في جلسة مسامرة، فليس لديه الحَيْل والقوّة، وليس باستطاعته القيام بعمل. في ذلك الوقت، كانت هناك امرأة مع كلّ ذلك الحزن، مع جبال الغمّ الثقيلة، مع معاينتها لمقتل أولئك الرجال، وتلك الشدائد، استشهاد أبنائها، إخوتها، تشرذم عائلتها[1]، وقد أحاطت بها تلك

(١) الإرشاد، ج٢، ص١٢٥-١٢٦، الاستيعاب، ج١، ص٣٩٦، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٦٢-٦٣.

الحادثة المرّة، ولم يكن هناك في العالم كلّه آنذاك عين تدمع لها أو تغتمّ لحالها، مثل ذلك الغمّ الكبير وتلك الحادثة القاسية والقاصمة للظهر يمكن أن يُحطِّما الكبار والعظماء، في ذلك الوقت تدافعت عشرات الحوادث القاسية والمرّة على امرأة، لكنّها إضافة إلى أنّها لم تضعف ولم تفقد صوابها، فهي لم تعجز أيضاً عن التصميم واتّخاذ القرار، بل أدارت الأمور وتدبّرت الأحوال على أفضل وجه، وبقيت بكامل قدرتها ومهارتها توجّه دفّة تلك السفينة التي تقطّعت وتحطّمت بفعل تلاطم أمواج عاتية، وتحافظ عليها وترعاها للوصول إلى المقصد المطلوب، هذه هي عظمة زينب[١].

في ذلك العالم الصعب، بقدر ما كانت شهادة الحسين عليه السلام شامخة متألّقة وتختلف عن أيّة شهادة أخرى بدءاً من صدر الإسلام وإلى ذلك اليوم، ولا يمكن مقارنة أيّ يوم - لا في عصر النبيّ صلى الله عليه وآله ولا عصر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ولا في زماننا - بيوم عاشوراء، كان لزينب عليها السلام ولحركتها ذلك القدر من العظمة أيضاً.

ليست عظمة زينب عليها السلام في صبرها وحسب، إنّما في اجتماع كلّ الخصوصيّات المتألّقة لإنسان عظيم وشخصيّات التاريخ العظيمة في هذه المرأة، إذ أوصلت هذا الحمل خلال تلك الأيّام الأخيرة من شهر محرّم حتّى رجوعها إلى المدينة وأودعت الأمانة وأتمّت مسؤوليّتها، حيث أدارت - خلال شهر أو شهرين[٢] - أعظم الحوادث على أفضل وجه وبحكمة متعالية، هي إنسانة ذات امتياز عظيم[٣].

---

(١) في لقاء جمع من الممرّضات والأخوات بمناسبة يوم الممرّض، ١٥/ ١٠/ ١٣٦٥ش - ٥/ ١/ ١٩٨٧ م.

(٢) إقبال الأعمال، ج٣، ص١٠٠، بحار الأنوار، ج٩٨، ص٣٣٤-٣٣٥.

(٣) في لقاء جمع من الممرّضات والأخوات بمناسبة يوم الممرّض، ١٥/ ١٠/ ١٣٦٥ش.

طلب العزّة وصناعة المجد

الإمام الحسين عليه السلام مظهر العزّة والفخار

الحسين بن عليّ عليهما السلام هو مظهر العزّة الحقيقيّة والنموذج التامّ للمجد والفخار، سواء بالنسبة إلينا نحن أسرى هذا النظام الماديّ في العالم، أو حتّى بالنسبة إلى الأبرار والصدّيقين في عالم الملكوت. الإمام الحسين عليه السلام مظهر العزّة، وهو الذي قال: «هيهات منّا الذلّة»[1]. [2]

الأبعاد الثلاثة للعزّة والفخر الحسينيّ

هذا العام[3] هو عام «**العزّة والمجد الحسينيّ**»، فأيّة عزّة هذه، وأيّ مجد هذا؟ وبمَ هذا الفخار والمجد يا ترى؟ إنّ العارف بحركة الحسين بن عليّ عليهما السلام يدرك أيّ عزّة كانت هذه العزّة. يمكن لنا أن نطلّ على هذه النهضة الحسينية الكبرى التي خلّدها التاريخ، من خلال أبعاد ثلاثة تؤطّرها ثلاث رؤى. وإن ما يلفت الأنظار أكثر من غيره في كلّ من هذه الأبعاد هو الشعور بالعزّة والشموخ والفخر:

البعد الأوّل: هو ثورة الحقّ بوجه باطلٍ قويّ، وهذا ما قام به الإمام الحسين عليه السلام ونهضت به حركته الثوريّة الإصلاحيّة.

---

(١) مثير الأحزان، ص٣٩، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٨٣، مع اختلاف بسيط في: تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص٢١٩.

(٢) بيان رأس السنة، وبيان النوروز، بداية العام ١٣٨١ش- ٢٠٠٢ م.

(٣) عام ١٣٨١ش. ٢٠٠٢م-.

والبعد الآخر: هو أنّ نهضة الحسين بن عليّ عليه السلام كانت تجسيداً للمعنويّات والأخلاق.

وما عدا الجانب الاجتماعيّ والسياسيّ والتحرّك الثوريّ والمواجهة الصريحة بين الحقّ والباطل، ثمّة ميدان آخر للصراع في هذه النهضة، وهو نفوس النّاس وسرائرهم وبواطنهم، فحيثما تراكمت نقاط الضعف والمطامع البشريّة والضّعة والشهوات والأهواء النفسيّة في كيان الإنسان صدّته عن المبادرة للخطوات الكبرى، وهذا ميدان حرب أيضاً، وهي حرب مضنية للغاية، وحيثما يقتفِ المؤمنون المضحّون من الرجال والنساء أثر الحسين بن عليّ عليه السلام إذ ذاك تتضاءل في أعينهم الدنيا وما فيها من متع وزخارف في قبال الشعور بالتكليف، وتنتصر المعنويّات الكامنة المتبلورة في أعماق البشر وسرائرهم على جنود الشيطان القابعة في باطنهم - وهم جنود العقل والجهل الذين تذكرهم رواياتنا - وهكذا كانت غلبة العقل على الجهل في بواطن ثلّة من العظماء الأماجد الذين خُلّدوا أسوةً يُحتذى بها عبر التاريخ. (هذا هو البعد الثاني).

والبعد الثالث: هو المصائب والفجائع والغصص والأحزان وحسرات القلوب التي تطبع يوم عاشوراء، وكثيراً ما تهيمن على النّاس. غير أنّ في هذا البعد الثالث عزّة ومجداً أيضاً، فعلى ذوي الفكر والرأي والنظر البحث في هذه الأبعاد الثلاثة.

تبلور العزّة والمجد الحسينيّين في مواجهة الطاغوت المتسلّط

ففي البعد الأوّل حيث قام الإمام الحسين عليه السلام بحركة ثورية، وكانت مظهر العزّة والمجد، ولكن من هو الذي وقف في الجهة المقابلة للحسين بن عليّ عليه السلام ؟ إنّها تلك الحكومة الظالمة الفاسدة المنحرفة (المتجسّد

عملها في): «**يعمل في عباد الله بالجور والعدوان**»[١]، العلامة الأساس لهذه الحكومة أنّها كانت تتعامل مع الأمّة الرّازحة تحت سلطتها ومع عباد الله وخلقه بالظلم والعدوان والغرور والتكبّر والأنانيّة والاستعباد. وهذه كانت هي الخصوصيّة البارزة لتلك الحكومة. فهي قد تنكّرت للمعنويّات والالتزام بحقوق النّاس. وكانت قد بدّلت الحكومة الإسلاميّة إلى تلك الحكومة الطاغوتيّة نفسها التي كانت سائدة في الأرض قبل الإسلام وخلال مختلف المراحل التاريخيّة، في حين أنّ من أبرز مزايا النظام الإسلاميّ هي الحكومة، وأنّ من أبرز مظاهر المجتمع المثاليّ الذي يريد الإسلام تشييده هو شكل الحكومة وطبيعتها وسيرة الحاكم. وكما عبّر شخصيّات بارزة في ذلك العصر أنّ سلاطين الجور كانوا قد بدّلوا الإمامة إلى سلطنة.

والإمامة إنّما تعني قيادة ركب الدّين والدّنيا، في قافلةٍ يسير فيها الجميع نحو هدف سام وباتجاه واحدٍ، وهناك شخص يرشد الباقين، فإن ضلَّ أحدهم عن مسار القافلة انتشله وأعاده إليها، وإذا تعب أحدهم حثّه على مواصلة الطريق، وإن جُرحت قدم واحد منهم داواها، وهو من يرفد الجميع بالعون المعنويّ والماديّ، وهذا ما يُسمّى في الإصطلاح الإسلاميّ باسم «**الإمام**»، أي إمام الهدى، وأمّا السلطنة فهي في الجهة المقابلة. والسلطنة التي بمعنى الملكيّة الموروثة هي أحد أشكال السلطنة، لذلك لا يطلق على بعض السلاطين في العالم اسم سلطان، لكنّ بواطنهم سلطويّة تختزن التسلّط على البشر، فأيّما شخص جاء وفي أيّة حقبة تاريخيّة - وأيّاً كان اسمه - إذا ما قابل شعبه أو الشعوب الأخرى بمنطق القوّة فذاك هو ما يسمّى «**سلطنة**».

وفي عهد الإمام الحسين عليه السلام بدّلوا الإمامة الإسلاميّة بذلك الشيء الذي: «**يعمل في عباد الله بالجور والعدوان**».

---

(١) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٠٤، بحار الأنوار، ج٤، ص٣٨٢.

فكان أن انبرى الإمام الحسين عليه السلام لمقارعة هذا الوضع، وقد تمثّلت مقارعته هذه في البيان والإيضاح والهداية والتميّيز بين الحقّ والباطل، سواء في عصر يزيد أو في زمن من سبقه، غاية الأمر أنّ ما وقع في عهد يزيد وزاد عليه، أنّ إمام الجور والضلال والانحراف هذا كان يتوقّع من إمام الهدى الاعتراف بحكومته[1]! وهذا ما تعنيه «**البيعة**»، أن يبادر الإمام الحسين عليه السلام إلى إعلان تأييده لحكومة ذلك الجائر والاعتراف بها بدلاً من إرشاد النّاس وتوجيههم وبيان ضلال تلك الحكومة!

ومن هنا كان منطلق ثورة الإمام الحسين عليه السلام. ولولا تلك التوقّعات الهوجاء البلهاء من تلك الحكومة لكان ممكناً أن يرفع الإمام الحسين عليه السلام راية الهدى فيرشد الأمّة ويتكفّل هدايتها ويبيّن لها الحقائق - كما فعل الأئمّة عليهم السلام من بعده، ومثلما صنع هو في عهد معاوية أيضاً - ويستمرّ على ذلك، لكنّه على أثر الجهل والتكبّر والابتعاد عن الفضائل والمعنويّات الإنسانيّة تقدّم يزيد خطوة إلى الأمام وتوقّع من الإمام الحسين عليه السلام التوقيع على تلك الوثيقة السوداء القاضية باستبدال الإمامة الإسلاميّة بالسلطنة الطاغوتيّة، أي أن يبايع. لكنّ الإمام الحسين عليه السلام ردّ قائلاً: «**مثلي لا يبايع مثله**». فالحسين لا يصدر عنه هذا الاعتراف، يبقى إلى الأبد حامل راية الحقّ، وراية الحقّ لا تقف مع صفّ الباطل ولا تقبل صبغته، وذلك ما صرّح به الإمام الحسين بقوله: «**هيهات منّا الذّلّة**»[2].

كانت حركة الإمام الحسين عليه السلام حركة العزّة، أي عزّة الحقّ وعزّة الدّين وعزّة الإمامة وعزّة ذلك الدرب الذي رسمه النبيّ صلى الله عليه وآله. لقد كان الإمام

(١) الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٤، اللهوف، ص١٦، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٤.

(٢) اللهوف، ص٥٩، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٨٣، مع اختلاف بسيط: تاريخ مدينة دمشق، ج١٤، ص٢١٩.

الحسين عليه السلام مظهراً للعزّة، وبصموده أضحى مصدراً للمجد والفخر، وهذه هي العزّة الحسينية والمجد الحسينيّ. قد يأتي من يطلق كلاماً ما هنا، لكنّه لا يصمد عليه، بل يعلن انسحابه، وهذا لا يسعه الافتخار، بل الفخر هو من نصيب الإنسان أو القوم أو الأمّة التي تقف عند حدّ ما تقوله، ولا تسمح للعواصف أن تُسقط تلك الراية التي ترفعها أو تقضي عليها، وتحافظ عليها بكلّ صلابة، ولقد حافظ الإمام الحسين عليه السلام على تلك الراية وصمد حتّى استُشهد أحبّاؤه وسُبيت عياله، وهذه هي العزّة والمجد في بُعد الحركة الثوريّة.

تبلور العزّة والمجد الحسينيّين في الانتصار المعنويّ للإمام عليه السلام

في بُعد تبلور المعنويّة، الأمر كذلك أيضاً. قد ذكرتُ مراراً أنّ الكثيرين كانوا يأتون الإمام الحسين عليه السلام ويلومونه على إصراره هذا، وهؤلاء لم يكونوا أُناساً طالحين أو من البسطاء، بل كانوا من عظماء الإسلام، لكنّهم أساؤوا الفهم وغلبت عليهم نوازع الضعف البشريّ، لذلك أرادوا للحسين بن عليّ عليهما السلام أن يستسلم لتلك النوازع! لكنّه لم يُغلب، وصبر. وكذلك جميع من كانوا مع الإمام الحسين عليه السلام ظفروا بالنّصر في هذا الصراع الباطنيّ والمعنويّ، فالنصر كان من نصيب تلك الأمّ التي أرسلت ابنها الشابّ إلى ساحة المعركة[1] وهي فخورة مستبشرة. وذلك الشابّ الذي تخلّى عن لذائذ الدنيا الظاهريّة ودخل ميدان الجهاد والصراع هو المنتصر في هذه المعركة. وأولئك الشيوخ من قبيل: حبيب من مظاهر، ومسلم بن عوسجة الذين أعرضوا عن راحة الشيخوخة وأحضان الأسرة الدافئة وتجرّعوا الشدّة، هم المنتصرون في هذا الصراع الباطنيّ والمعنوي، وذلك القائد الشجاع - الحرّ بن يزيد الرياحيّ - الذي كان يتبوّأ منزلة لدى الأعداء ولكنّه أعرض عنها

(١) مقتل الحسين عليه السلام، الخوارزميّ، ج٢، ص٢٥، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٢٧.

والتحق[١] بالحسين بن عليّ عليهما السلام كلّ أولئك هم المنتصرون في هذه المعركة.

إنّ أولئك الذين انتصروا في ذلك اليوم في الصراع المعنويّ بين فضائل الأخلاق ورذائلها، وأولئك الذين استطاعوا - يومها - تغليب جنود العقل على جنود الجهل، كانوا قلّة قليلة، لكنّ وجودهم وصمودهم وثباتهم على الاستقامة في ميدان الشرف كانت هي التي حدتّ بالملايين على مرّ التاريخ إلى استلهام الدروس منهم واقتفاء ذات الدرب، فلو أنّ هؤلاء لم يغلّبوا الفضيلة على الرذيلة في وجودهم، لجفّت شجرة الفضيلة عبر التاريخ، إلّا أنّ هؤلاء كانوا هم من سقوا هذه الشجرة.

تبلور العزّة والمجد الحسينيّين في ساحات عاشوراء المثقلة بالمصائب

أمّا على صعيد البعد الثالث الذي يمثّل صورة الفاجعة في عاشوراء، يمكن أيضاً مشاهدة ملامح العزّة والشموخ والفخر، فعلى الرغم من المصيبة والاستشهاد، وعلى الرغم من أنّ استشهاد أيّ من شباب بني هاشم وأطفالهم وصغارهم والأنصار الطاعنين بالسنّ إلى جانب أبي عبد الله الحسين عليه السلام يعدّ مصيبة وفاجعة كبرى، إلّا أنّ كلّ واحدة منها نالتْ جوهرة العزّة والمجد.

من هو مظهر الشابّ المضحّي في كربلاء؟ إنّه عليّ الأكبر بن الإمام الحسين عليه السلام ذلك الشابّ الذي كان متألّقاً وأنموذجاً بين شباب بني هاشم، الشابّ الذي اجتمع فيه الجمال الظاهريّ والباطنيّ وحاز المعرفة الممزوجة بالشجاعة والتضحية.. لقد كان شاباً من هذا النوع، وإنّ معرفته بالإمامة الحقّة والولاية لأبيه الحسين بن عليّ عليهما السلام واستعداده لمبارزة عدوّه الشقيّ، هما

(١) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٢٤-٣٢٥، الأمالي، الصدوق، ص٢٢٣-٢٢٤، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٠-١١.

اللذان دفعا بهذا الشابّ الأوحديّ المتألّق إلى ساحة المعركة، ليرجع إليهم جسداً مضرّجاً بدمائه على مرأى من أبيه والنسوة اللاتي كنَّ يضطربن قلقاً عليه[١]، مثل هذه المصيبة وهذا العزاء لم يكونا سهلَيْن، لكن تقدّم هذا الشابّ نحو الميدان وهذا الاستعداد للجهاد من قبله هو أمثولة عزّة وعظمة وافتخار بالنسبة إلى المسلم، وهو تجسيد لقول الله عزَّ وجلّ: ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[٢]. فمظهر العزّة أن يكرّس المسلم طاقته ونشاطه وشبابه لهدفه ومبدئه السامي، وذلك في غاية الأهمّيّة. وإنّ الحسين بن عليّ عليه السلام بإرساله هذا الشابّ إلى ساحة المعركة قد جسّد بدوره العزّة المعنويّة، أي أنّ الإمام الحسين عليه السلام حافظ بقوّة على اللواء الشامخ الذي رفعه، وهو لواء الإباء وحاكميّة الإسلام، لواء التمييز بين الإمامة الإسلاميّة والسلطنة الطاغوتيّة، إنّه بذلك يحافظ على هذا اللواء بقوّة وإن كان ثمنه روح ابنه الحبيب.

لم يكن الإمام الحسين عليه السلام يسارع في إعطاء الإذن لأيّ من صحبه وأنصاره عندما كانوا يأتون ويستأذنونه للتوجّه إلى ساحة المعركة والبراز، بل كان يمانع خروج بعضهم[٣] ويشير على آخرين بالانصراف من كربلاء كلّيّاً[٤]، وهكذا كان يتصرّف سواء مع شباب بني هاشم أو مع الأصحاب، ولكن لمّا أتاه حبيبه وولده الغالي عليٌّ الأكبر يستأذنه للبروز إلى المعركة لم يتوانَ عليه السلام لحظة وسرعان ما أَذِنَ له[٥]، وهنا يتسنّى إدراك معرفة الابن وعظمة مقام الأبّ.

عندما كان الأصحاب على قيد الحياة، كانوا لا يسمحون لبني هاشم

---

(١) مقاتل الطالبيّين، ص١١٥، الإرشاد، ج٢، ص١٠٦-١٠٧، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٤٢-٤٤.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٣) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٢٦، مقتل الحسين، الخوارزميّ، ج٢، ص٣١، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٢٧.

(٤) الطبقات الكبرى، الخامسة ١، ص٤٦٨، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٢٢-٢٣.

(٥) اللهوف، ص٤٧.

بالتوجّه إلى ساحة المعركة قائلين لهم: نحن فداكم، ولم يسمحوا لأبناء أمير المؤمنين والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام بالبروز إلى الميدان، بل كانوا يقولون: نحن الذين نبرز أوّلاً، فإذا قُتلنا ابرزوا أنتم إن شئتم[١] - في ذلك الوقت كان أوّل من تقدّم مستأذناً هو ذلك الشاب العارف بمسؤوليّته (عليّ الأكبر) وهو ابن الإمام وأقرب النّاس إليه، فهو إذاً أحقّ من الجميع بالشهادة، فتقدّم لها.

هنا يتجلّى مظهر من مظاهر الإمامة الإسلاميّة، فهذا ليس محلاً ليتمّ فيه مقاسمة الدنيا والمنافع الماديّة والأرباح الاقتصاديّة والشهوات النفسيّة، بل هو موقع الجهاد والشدّة، وأوّل المتقدّمين هو عليّ بن الحسين الأكبر، وهنا تظهر «**معرفة**» هذا الشابّ، وقد قابله الإمام الحسين عليه السلام بإظهار عظمته الروحيّة، فبمجرّد أن طلب منه الإذن سمح له الإمام الحسين عليه السلام بالبروز إلى الميدان، وفي ذلك عبرة لنا. وهذه هي الدروس الخالدة عبر التاريخ والمواقف التي تحتاج إليها البشريّة في حاضرها ومستقبلها.

فما دامت أنانيّة الإنسان هي الغالبة عليه فهو يزداد خطراً كلّما ازدادت قدرته العمليّة، وما دامت الأهواء النفسيّة هي الطاغية على الإنسان وكان يسعى للاستحواذ على كلّ شيء، فكلّما ازداد قدرةً أصبح أكثر خطراً ووحشيّة وأذيّة، وها أنتم تشاهدون نماذج ذلك في العالم.

إنّ إبداع الإسلام يتمثّل في أنّه يختار من يتسلّقون سلَّم السلطة من بين الذين أفلحوا في خوض الامتحان وبلوغ النجاح في بعض مراحله على أقلّ تقدير، فالشرط الذي يضعه الإسلام لتسنّم المناصب هو التجرّد عن الكثير من هذه الأهواء والنوازع.[٢]

---

(١) مقتل الحسين، المقرّم، ص٢٢٦-٢٢٧، و٢٥٧.

(٢) في لقاء حشود كبيرة من المشاركين في "راهيان نور" وجموع من مختلف أطياف الشعب، في معسكر "دو كوهة"، ٩/ ١/ ١٣٨١ش - ٢٩/ ٣/ ٢٠٠٣ م.

حاكميّة المشاعر والعواطف في كربلاء

عندما يمعن الإنسان النظر في واقعة عاشوراء فإنّه سيجد أنّه قد اجتمع فيها عدد من الجوانب التي ربّما لا تبدو متلائمة فيما بينها إلى حدٍّ كبير.

ينبغي لنا أن نلاحظ جيّداً المشاعر الإنسانيّة الصادقة التي تجلّت بوضوح في واقعة كربلاء. وإنّها لمفارقة جديرة بالاهتمام والملاحظة أن نجد العواطف والمشاعر حاكمة ومسيطرة في قضيّة هي على هذا القدر من الجدّيّة. في مثل هذا النوع من القضايا، يعمل الإنسان عادة من أجل أن يضمّ إلى معسكره وإلى صفوف جنده أيّ جنديّ ومقاتل. لكنّنا وجدنا أن الإمام الحسين عليه السلام يعطي الرخصة لجميع المقاتلين الذين كانوا معه[1]، بل هو أساساً لم يعمل على أن يحشد المقاتلين أو على أن يجمع جيشاً، بل قال: «**ومن كان باذلاً فينا مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا**»[2].

والآن أنظروا جيّداً! هذا في حدِّ نفسه يشكّل عنصراً إضافيّاً من مكوّنات هذه الملحمة. ولو أنّنا دقّقنا وأعملنا النظر في هذه النهضة الكبرى التي أحدثها سيّد الشهداء عليه السلام لوجدنا فيها العديد من النقاط والعناصر المضيئة، والتي تجعل من هذه القضيّة، بما آلت إليه من أحداث

---

(١) الأمالي، الصدوق، ص٢٢٠، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٥٧-٥٨، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٩٢-٢٩٣.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٦٧، اللهوف، ص٣٨. نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، ص٨٦.

عجيبة ومواقف بطوليّة خالدة سطّرتها لاحقاً أسرة الإمام الحسين عليه السلام، من إخوته وبناته ومن بقي من أولاده، تجعل منها قضيّة استثنائيّة لا قبل للزمان بمثلها[1].

عاشوراء بين المنطق والملحمة والعاطفة

إنّ ما نقوله حول قضيّة عاشوراء - وهو في الحقيقة لا يعدو كونه سطراً واحداً في كتاب أو سِفر كبير الحجم - هو أنّ عاشوراء ليست مجرّد واقعة من وقائع التاريخ. عاشوراء ثقافة، ومدرسة ونهج مستمرّ ومتواصل، وأنموذج حيّ تستلهم منه الأمّة الإسلاميّة على الدوام. وقد تمكّن أبو عبد الله الحسين عليه السلام، من خلال هذا التحرّك الذي قام به، والذي كان في ذلك الوقت يمتلك مبرّراته العقلائيّة والمنطقيّة الواضحة والشفّافة، تمكّن من أن يقدّم للأمّة الإسلاميّة خير مثال تحتذي به وتهتدي بهداه. هذا الأنموذج والمثال لا ينحصر أيضاً في الشهادة، بل هو أمر آخر مركّب، أكثر تعقيداً، وأبعد غوراً. وذلك أن هناك عناصر ثلاثة كان لها حضور فاعل في حركة سيّد الشهداء عليه السلام، وهذه العناصر هي: عنصر المنطق والعقل، عنصر العزّة والحماسة، عنصر العاطفة.

عنصر المنطق والعقل في ثورة عاشوراء

يتجلّى عنصر المنطق والعقل في هذه النهضة من خلال كلمات ذلك العظيم، فكلّ جملة وكلّ فقرة من كلماته النورانيّة التي نطق بها عليه السلام - قبل نهضته، عندما كان في المدينة، وإلى يوم شهادته - تُظهر منطق متيناً. خلاصته: أنّه عندما تتوفّر الظروف المناسبة يتوجَّب على المسلم (النهوض)، سواء أدّى ذلك إلى مخاطر جسيمة أم لا.

---

(١) في لقاء أعضاء لجنة إحياء ذكرى رحيل الإمام الخميني قدس سره ٢/ ٣/ ١٣٧٥ ش - ٢٣/ ٥/ ١٩٩٧ م.

وإنَّ أعظم المخاطر يتمثّل في أن يقدّم الإنسان نفسه وأعزّاءه وأهل بيته المقرّبين - زوجته وأخواته وأولاده وبناته - إلى ساحة المعركة وجعلهم في معرض السبي على طبق الإخلاص. إنَّ مواقف عاشوراء هذه أصبحت أمراً طبيعيّاً عندنا، لكثرة تكرراها، مع أنَّ كلّ موقف من هذه المواقف يهزّ الأعماق.

بناءً على ذلك، فحتّى مع وجود خطر إلى هذا المستوى، عندما تتوفّر الشروط المتناسبة مع هذه المخاطر، على الإنسان أن يؤدّي وظيفته، وأن لا يمنعه عن إكمال مسيرته التعلّق بالدنيا والاحتياط والتحفّظ وطلب الملذّات والخلود إلى الراحة الجسديّة، بل عليه أن يتحرّك لأداء وظيفته. فلو تقاعس عن الحركة، فإيمانه وإسلامه ليسا في محلّهما.

«إنّ رسول الله ﷺ قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلّاً لحرم الله ولم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله»[1].

هذا هو المنطق، فلو أنّ أصل الدّين تعرّض لخطر - كما حصل في فاجعة كربلاء - ولم يُغيّر ذلك بقول أو فعل، كان حقّاً على الله أن يبتلي الإنسان غير المبالي وغير الملتزم، بما يُبتلى به العدوّ المستكبر والظالم.

لقد بيّن الإمام الحسين عليه السلام هذه المسؤوليّة من خلال كلماته المختلفة - في مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة وفي أماكن كثيرة خلال مسيره، وبيّن ذلك في وصيّته إلى أخيه محمّد بن الحنفيّة[2]. لقد كان الإمام الحسين عليه السلام على علم بعاقبة هذا الأمر، وينبغي أن لا يُتوهّم أنَّ الإمام عليه السلام كان قد علّق آماله للحصول على السلطة - وإن كانت هذه السلطة من الأهداف المقدّسة - وأنّه تحرّك من أجل ذلك، كلّا، فلا ينبغي أن تجرّنا

(١) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٠٤.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩-٣٣٠.

رؤيــة فكريّــة كهــذه إلى الاعتقــاد بــذلك، فعاقبــة هــذا الطريــق متوقّعــة وواضــحة طبــق الحســابات الدقيقــة للإمــام الحســين عليه السلام مــن زاويــة الرؤيــة الإماميّــة، إلّا أنّ المســألة علــى قــدر كبــير مــن الأهمّيّــة، حــتّى عنــدما يقــف شــخص بعظمــة روح الإمــام الحســين عليه السلام في مقابــل هــذه المســالة، يجــب أن يقــدّم نفســه علــى طبــق الإخــلاص ويجرّهــا إلى ســاحة الحــرب، وهــذا يعتــبر درســاً عمليّــاً بالنســبة إلى المســلمين إلى يــوم القيامــة، ولــيس درســاً نظريّــاً يُكتب على لوحٍ أسود ثمّ يُمحى، كــلّا، فقد خُطَّ هذا النهج بأمر إلهيّ على جبين التاريخ، ونودي به، وآتى ثماره إلى يومنا هذا.

إنّ ثورة الإمام الخميني رحمه الله في محرّم عام ١٩٦٣م التي نتجت منها واقعة الخامس عشر من خرداد العظيمة، استلهمت من ثمار التطبيق العمليّ لدرس عاشوراء، وكذلك في محرّم ١٩٧٨م استلهم إمامنا العزيز نهضته منها حيث قال: (لقد انتصر الدم على السيف)[1]. وأدّت هذه الحادثة التاريخيّة - التي ليس لها نظير في التاريخ - إلى انتصار الثورة الإسلاميّة.

هذا ما تحقّق في عصرنا، وأمام أعيننا، وإنَّ راية الفتح والظفر التي حملها الإمام الحسين عليه السلام ماثلة للشعوب على مرّ التاريخ، ولا بدّ أن تكون كذلك في المستقبل، وهو ما سوف يكون إن شاء الله تعالى. هذا هو جانب المنطق العقلائيّ في حركة الإمام الحسين عليه السلام والاستدلال عليه. لذلك لا يمكن لنظرة عاطفيّة صرفة أن تبيّن وتفسّر حركة الإمام الحسين عليه السلام.

العنصر الثاني في ثورة عاشوراء، الملحميّة والعزّة

العنصر الثاني: الحماسة (الملحميّة)، أي أنَّ العملية الجهاديّة الملقاة على عاتقنا، يجب أن تقترن بالعزّة الإسلاميّة، لأنَّ ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ**

(١) صحيفة الإمام، ج٥، ص٧٥.

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، وعلى المسلمين في الوقت عينه الذي يتحرّكون فيه نحو الهدف ويتحمّلون المسؤوليّة الجهاديّة، أن يحافظوا على عزّتهم وعزّة الإسلام، ولا بدّ أن يتحلّى الشخص بسمات الشموخ والعزّة في أشدّ الأزمات.

فلو نظرنا إلى الصراعات السياسيّة والعسكريّة المختلفة في تاريخنا المعاصر، فسنجد أنّه حتّى أولئك الذين كانوا يمتشقون السلاح ويواجهون الحرب بأبدانهم، يُعرِّضون أنفسهم أحياناً لمواقف الذلّة، إلّا أنّ هذه المسألة ليس لها وجود في فلسفة عاشوراء، فعندما كان الإمام الحسين عليه السلام يطلب أن يمهلوه ليلة واحدة[٢]، فهو كان يطلبها من موقع العزّة، وفي الوقت الذي كان يقول: (هل من ناصرٍ ينصرنا)[٣] - يطلب النصرة - كان يطلبها من موقع العزّة والاقتدار، وعندما تلتقي به الشخصيّات المختلفة في الطريق بين المدينة والكوفة، ويكلّمهم ويطلب النّصرة من بعضهم[٤]، لم يكن ذلك من موقع الضعف وعدم القدرة، وهذا أحد العناصر البارزة في نهضة عاشوراء.

وهذا العنصر ينبغي أن يُطبّق في جميع الأعمال الجهاديّة المدرجة على جدول أعمال السالكين على طريق النهضة الحسينيّة، وأن تكون جميع الأعمال والمواقف الجهادية- سواء كانت سياسيّة، أو إعلاميّة، أو المواقف التي تستدعي التضحية بالنفس - منطلقة من موقف العزّة[٥].

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٢) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣١٥-٣١٧، الإرشاد، ج٢، ص٩٠-٩١، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٩١-٣٩٢.

(٣) المنتخب للطريحيّ، ج٢، ٣٧٩.

(٤) أنساب الأشراف،ج٣، ص١٧٤-١٧٥، تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٢٩٨-٢٩٩، روضة الواعظين، ص١٧٨، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣١٥و ٣٧١-٣٧٣.

(٥) في لقاء العلماء والمبلّغين على عتبة قدوم شهر محرّم الحرام، ٥/ ١١/ ١٣٨٤ش- ٢٥/ ١/ ٢٠٠٦ م.

العنصر الثالث: العاطفة

العنصر الثالث: العاطفة، أي أنّه قد أصبح للعاطفة دورٌ مصيريٌّ مؤثّرٌ جدّاً في واقعة كربلاء نفسها وفي استمرارها، أدّى إلى إيجاد برزخٍ بين الثورة الحسينيّة والشيعيّة من جهة وبين الثورات الأخرى من جهة ثانية، فواقعة كربلاء ليست قضيّة جافّة ومقتصرة على الاستدلال المنطقيّ فحسب، بل قضيّة ترافق معها العشق، الحبّ، والعاطفة والشفقة والبكاء. فقوّة العاطفة قوّة مهمّة، ولهذا أُمرنا بالبكاء والتباكي، وتفصيل جوانب الفاجعة[١]. ولقد كانت زينب الكبرى عليها السلام تخطب في الكوفة[٢] والشام[٣] خطباً منطقيّة، إلّا أنّها كانت تقيم مآتم العزاء في الوقت عينه، وقد كان الإمام السجّاد عليه السلام بتلك القوّة والصلابة[٤] ينزل كالصاعقة على رؤوس بني أميّة عندما يصعد المنبر، إلّا أنّه كان يعقد مجالس العزاء في الوقت نفسه.

إنَّ مجالس العزاء مستمرّة إلى يومنا هذا، ولا بدّ أن تستمرّ إلى الأبد، لأجل استقطاب العواطف. فمن خلال أجواء العاطفة والمحبّة والعشق يمكن أن تُفهم كثير من الحقائق، التي يصعب فهمها خارج نطاق هذه الأجواء.

هذه العناصر الثلاثة هي العناصر الأساس التي قامت عليها

---

(١) كامل الزيارات، ص٢٠١-٢١١.

(٢) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص١٢١-١٢٢، الأمالي، المفيد، ص٣٢١-٣٢٣، مثير الأحزان، ص٧٠-٧١، بحار الأنوار،ج٤٥، ص١٠٨-١١٠و١١٥ ١١٦.

(٣) بلاغات النساء، ص٢١-٢٣، الاحتجاج، ج٢، ص٣٤-٣٧، بحار الأنوار،ج ٤٥، ص١٣٢-١٣٥.

(٤) الفتوح، ج٥، ص١٣٢-١٣٣، مقتل الحسين، الخوارزميّ، ج٢، ص٧٦-٧٨، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٣٧-١٣٩.

نهضة عاشوراء الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام. هذا على مستوى الكلام والتحليل، وزاوية من زوايا عاشوراء الحسين عليه السلام، إلّا أنّ هذه الزاوية تمثّل لنا دروساً عمليّةً كثيرةً[1].

عدم تضييع الهدف

لقد وصل الإمام الخميني قدس سره نهضته بنهضة الإمام الحسين عليه السلام من البداية، ونظر إلى أحداث وقضيّة إيران بالمنظار الحسينيّ. فهو افترض أنّه لو قام وتحرّك ولم يجبه أحد، فماذا سيحدث؟ بالطبع كان على ثقة بأنّ الشعب سيجيبه. هذه إحدى خصوصيّات الإمام قدس سره حيث كشف حقيقةً لم يكن أحدٌ حتّى ذلك اليوم قد عمل على كشفها. مع هذا كلّه، فلو أنّ أحداً لم ينهض مع الإمام لمضى في طريقه حتّى لو بقي وحيداً. وقد أشار مرّات عدّة إلى هذه القضيّة. كلّ من يعرف طبيعة الإمام، كان يعلم أنّه قد استعدّ لحمل عبء النهضة والثورة حتّى لو بقي وحيداً.

لقد بلّغ الإمام الخميني قدس سره أهمّ رسالة في قضيّة عاشوراء وقد استفاد أيّما استفادة من مراسم العزاء في محرّم. في أحداث العام ١٩٦٣، كنت أنا من جملة الذين حملوا رسالته إلى جماعة من علماء مشهد - وفي الواقع إلى أهل مشهد - وذهبت إلى المدينة حينها. كان قد أصدر بيانات ثلاثة لتصل إلى علماء مشهد. اثنان منها كانا مرتبطين بجميع العلماء وواحد كان موجّهاً إلى اثنين من العلماء البارزين في مشهد آنذاك، حيث كان من المفترض تسليمهما البيان وحسب. وقد ذهبت لمقابلة هذين العالمين وسلّمتهما الرسالة بعد حديث خاصّ معهما. كانت الرسالة متعلّقة بالتحرّك خلال أيّام محرّم العشرة وربط النهضة بمحرّم

(١) في لقاء العلماء والمبلّغين على أعتاب شهر محرّم الحرام، ٥/ ١١/ ١٣٨٤ ش -٢٥/ ١/ ٢٠٠٦ م.

وعاشوراء. وقد فهمت أنّ هذين العالمين لم يكن لديهما رؤية واضحة ولم يكونا على اطّلاع واسع على المسألة. وهذا كان واضحاً مع أنّهما كانا مشاركين في النهضة ومساهمين فيها، أي أنّهما في المواجهة لم يكونا مقصّرين، لكن المسألة أنّه لم يكن لديهما الفهم الدقيق والواضح حول يوم السابع من محرّم ولم يكن لهما مشاركة فيما كان على أهل المنبر أن يقولوه يوم السابع من محرّم على منابرهم فيما خصّ الأحداث التي جرت في مدرسة الفيضيّة، وفيما كان على قرّاء العزاء أن يقيموه يوم التاسع من محرّم من مجالس العزاء واللطم والرثاء لما جرى في تلك المدرسة. كانت رسالة الإمام لهذين العالمين تتمحور حول ماينبغي فعله يومي السابع والتاسع من محرّم. هذا هو البيان، وأمّا الجواب الذي قدّمه أحدهما فقد كان فيه أحداث وتفاصيل كثيرة. وفي ذروة أحداث تلك السنة، أحداث محرّم وتسارع حوادث محرّم وذلك البيان العجيب الذي كان في الواقع حسينيّاً بامتياز.

كانت العناصر الموجودة في شخصيّة الإمام ﷺ عناصر مستخلصة ومرسومة من العناصر الحسينيّة نفسها. نحن لا نريد القول إنّ الإمام كان مثل الإمام الحسين ﷺ. لقد كان إمامنا من أشياع الإمام الحسين ﷺ وأتباعه، إلّا أنّ مثل تلك العناصر كان موجوداً في هذا العظيم أيضاً: عنصر الوضوح، عنصر الإخلاص، عنصر العاطفة والمحبّة، عنصر الاستقامة وعدم الانحراف عن الطريق، عنصر الشجاعة والمواجهة ضدّ النظام المتسلّط، كلّها عناصر كانت موجودة في ثورة عاشوراء وكلّها كانت موجودة أيضاً في شخصيّة الإمام الخمينيّ. ينبغي أن نطّلع في هذه الدائرة على تفاصيل أحداث الثورة، وأن نشاهد أحداثها. ولو حصل ذلك، فالنتيجة بالنسبة إلينا، بالدرجة

الأولى، هي أنّنا لن نضيّع طريقنا ولن نضلّه.. هذا هو المهمّ. في غالبيّة الثورات الكبيرة والحركات المختلفة، كان يحصل انحراف عن الطريق بعد مضي مدّة من الزمن. ويحصل أن ينحرف المسار بسبب الحوادث التي تحدث قهراً، وهو أمر لا مفرّ منه. فوجود السياسة، المواجهة، القضايا العالميّة، التأثير والتأثّر المتبادل، ذهاب شخص ومجيء آخر، اختلاف السلائق الذهنيّة والفكريّة، كلّ تلك العوامل أو واحد منها كانت تؤدّي إلى التذبذب والتلوّن في الثورات والحركات.

كنت فيما مضى في أيّام الشباب، كثيراً ما أتردّد إلى الجبال والصحارى وأصعد الارتفاعات المختلفة. أثناء صعود الجبل يأتي وقت لا يعود بإمكانك أن ترى الطريق الذي سلكته. وقد يخطر في البال أنّه لا طريق أصلاً وقد انمحت. وأينما نظرت لا ترَهُ. هنا ينبغي التدقيق في النظر حتّى يعثر متسلّق الجبل على الطريق. وإنّ جزءاً مهمّاً من دقّة النظر هنا يكمن في أن يرجع هنا المتسلّق قليلاً إلى الخلف ليتحقّق من أين جاء. وهناك جزءٌ آخر من دقّة النظر، وهو أن يشخّص جيّداً - ومنذ البداية - الطريق الموصل إلى المقصد مع وجود المنعطفات والمنحدرات الكثيرة. حينها يمكنه أن يقطع الطريق بوضوح. وحينما يجد الطريق يرى ويفهم أنّها كانت واضحة ومشخّصة منذ بداية المسير، ولكنّه لسبب ما - مثلاً: ضعف الباصرة لديه أو ضعف القدرة على التشخيص- تصوّر أنّها قد انمحت.

تحدث هذه الحالة في كلّ الثورات والأحداث الاجتماعيّة وفي جميع حالات تغيُّر الأنظمة. وهذه ليست حالة غير معلومة أو مجهولة، ومن يدقّق في كلمات الإمام الخمينيّ ورسائله سيجد أنّه كان ملتفتاً ومهتمّاً بهذه الحالة. يقول الإمام ما يقرب من هذا التحليل: «**أخشى أن يأتي يوم تقول فيه النّاس: لماذا ذهبتم واستوليتم على السفارة الأمريكيّة (في طهران)؟ أو لماذا يقوم ذلك**

الشخص بهذا العمل؟ أو لماذا قمتم بالحرب؟». كان ملتفتاً إلى هذا المعنى. أي الإشارة إلى مرحلة عدم وضوح المحجّة وعدم جلاء الطريق.

هذه الحالة تحدث في الثورات كلّها وهي أمر طبيعيّ، لا ينبغي أن نتعجّب كثيراً أنّه لو حصل عدم وضوح أحياناً في بعض الأمور ماذا سنفعل؟ إلى أين نذهب؟ في هذه الحادثة الخطرة، في هذه الزلزلة العظيمة، في هذا التهديد الكبير، ما هو الخيار الذي سنعمل به؟ هذه حالة تحدث عادة! أقول إنّ أسبابها عديدة. هذا الذي أشرنا إليه هو العوامل الإيجابيّة والمثبتة كما قلت سابقاً: قد يذهب شخص ويأتي آخر، أو أنّه قد تحدث حادثة غير معروفة.

والمثال البارز على ذلك، في بلدنا وفي ثورتنا: الحرب المفروضة. الحمد لله أنّ هذه الحرب قد بدأت في زمن الإمام (رضوان الله عليه) وانتهت في زمن الإمام. وإلّا لو لم تبدأ في زمن الإمام ووقعت بعد رحيله لحدثت فوضى في الآراء والكلمات «**هل ندافع؟ وأصلاً هل نرسل قوّاتنا؟ هل نتفاوض مع العراق؟ كيف يمكن أن نعطي جزءاً من خرّمشهر، لتذهب؟..**». وأيضاً لو لم تنتهِ الحرب في زمن الإمام. لسمعنا هذا الكلام: «**كيف ننهيها؟ هل نوقفها؟ لا نوقفها؟**» إلى غير ذلك من الكلام ذلك أنّه تظهر في العادة مثل هذه الأسئلة في حياة أيّ شعب.

حسناً، ما هو العامل الذي يمكن أن ينجي الإنسان؟ وبالتالي ألا يوجد منظار أو مجهر أو نور يرشد الإنسان إلى الطريق؟ بلى، يوجد. فالعامل والنور الذي ينبغي أن يدلّنا على الطريق هو طبيعة هذه الحركة. فما هي طبيعة هذه الحركة؟ هل هي طبيعة حسينيّة؟ جيّد، هذه في نفسها لها معنىً وقيمة. فإذا ما استخلصنا من كلمات الإمام، من حوادث الثورة، من مصادر الثورة ومتونها، من بيّنات الثورة والنهضة، من محكمات آيات الثورة، من متشابهاتها،

استخلصنا وفهمنا أنّ هذه الحركة هي حركة حسينيّة، وأنّها حركة قائمة على أنّ على الإنسان أن يلحظ هدفاً ثمّ يشقّ طريقه إليه بكلّ وجوده وبكلّ إخلاص وسعي ممكن وما أوتي من قوّة وأن يمضي بهذا الطريق.

بالطبع، الحركة باتجاه ما.. ليست بمعنى الخطأ والعمل غير العقلانيّ والحكيم، ليست بمعنى ممارسة الخداع السياسيّ والحدّة، فهذه واضحة ومعلومة ومحفوظة في مكانها! إلّا أنّه لا ينبغي الغفلة عن هذا الهدف للحظة واحدة.

عندما تستقلّون سيارة، وتنطلقون في طريق. عندما تركبون قطاراً وتسيرون باتجاه مقصد وتنطلقون شرقاً، فلو رأيتم أنّ السيارة قد غيّرت مسارها باتجاه الغرب مثلاً، ألا يجب أن توقفوا السيارة وتترجّلوا وتسألوا: «**ألا نسير باتّجاه الشرق؟**» هذا الفعل يسمّى تكتيكاً بالاصطلاح المعاصر، وبلُغتنا نحن هو أسلوب وكيفيّة سلوك الطريق. ولأنّنا لا نستطيع العبور من وسط الجبل نضطرّ للعبور من جانبه أو على سفحه. وفي كلّ حال توصلنا هذه الحركة إلى الطرف الآخر من الجبل. إن نرَ جبلاً واقعاً أمامنا لا ينبغي لنا القول: «**الآن لم يبق طريق للوصول إلى تلك الجهة من الجبل**». لا ينبغي أن نضلّ الطريق. لا ينبغي أن نغيّر الهدف وأن نبدّل القيم. افرضوا أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يواجه يزيدَ ويقول: «**هذا يزيد**» لا يمكن أن يكون في رأس السلطة. عندما يكون شخص مثل يزيد على رأس الحكومة - أيّ يزيد كان، فلا شأن لنا بشخص يزيد - فـ«**على الإسلام السلام**»:[1] **ومعنى «على الإسلام السلام»** أي «**يذهب الإسلام ونودّعه ونقول له مع السلامة**» هذا، وقد بدا واضحاً أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يرِد أن يقول: «**على الإسلام السلام**»، وإنّما أراد حفظ

(١) الفتوح، ج٥، ص١٦-١٧، اللهوف، ص١٨، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٦.

الإسلام، لذلك كان ينبغي النهوض لمواجهة يزيد.

فالآن لو اعتبرنا أنّ مواجهة يزيد هي هدف قريب ومن الدرجة الثانية لأنّه كان شديداً وقاسياً، لنقل: كنّا نريد المواجهة ولكن لأنّه صعّب الأمر واشتدّ، فلا نواجهه وفي مقابل ذلك نذهب إلى مواجهة إمبراطور الرومان! فهل هذا صحيح؟! هل هذا حفظ للطريق؟ وحفظ للهدف؟ لم يقم الإمام الحسين عليه السلام بمثل هذا العمل[1].

(١) في لقاء أعضاء لجنة إحياء ذكرى رحيل الإمام الخميني قدس سره ٢/ ٣/ ١٣٧٥ش- ٢٣/ ٥/ ١٩٩٧ م.

التوجيه الأخلاقيّ في كربلاء

التوجيه الأخلاقيّ في كربلاء

أقرأ عليكم مقتطفات من كتاب المقتل - المعروف باللهوف - لابن طاووس.. ونمرّ على بعض تلك المشاهد العظيمة لذكر مصيبة الحسين عليه السلام.

من جملة المشاهد العظيمة والمدهشة التي يصوّرها في كتابه هذا هو بروز «**القاسم بن الحسن**» إلى الميدان، وكان فتىً لم يبلغ الحلم[1]. أعلم الحسين أصحابه في ليلة عاشوراء بأنّ المعركة ستقع وأنّهم مقتولون جميعاً، فأحلّهم وأذن لهم بالانصراف، فأبوا إلّا أن يكونوا إلى جنبه. وفي تلك الليلة سأل هذا الفتى - ابن الثلاثة عشر أو الأربعة عشر عاماً - عمّه الإمام الحسين عليه السلام: «**يا عمّاه! وأنا فيمن يُقتل أيضاً؟**» فأراد الإمام الحسين اختباره - على حدّ تعبيرنا - فقال له: «**كيف ترى الموت؟**» قال: «**أحلى من العسل**»[2].

لاحظوا، هذا مؤشّر على التوجيه الأخلاقيّ الذي كان يمارسه أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله ومن تربّى في حجور أهل البيت عليهم السلام. فقد ترعرع هذا الفتى منذ نعومة أظفاره في حجر الإمام الحسين عليه السلام. فكان عمره حين شهادة أبيه ثلاث أو أربع سنوات. فتكفّل الإمام الحسين عليه السلام تربيته. وفي يوم عاشوراء وقف هذا الفتى إلى جانب عمّه[3].

---

(١) مقتل الحسين، الخوارزميّ، ج٢، ص٣١، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٤.

(٢) الهداية الكبرى، ص٢٠٤.

(٣) في خطبة صلاة الجمعة، طهران، ١٨/ ٢/ ١٣٧٧ ش - ٨/ ٥/ ١٩٩٩ م.

السعي المستمرّ في التهذيب والسياسة

نرى أنّ الإمام الحسين عليه السلام، مع كونه سبط النبيّ صلى الله عليه وآله، وابن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وابن فاطمة الزهراء عليها السلام - وهذه قيم عظيمة بحدّ ذاتها تهب الإنسان السموّ والرفعة- إضافة إلى أنّه قد نشأ في تلك الدار وتربّى في ذلك الحجر وترعرع في تلك الأجواء المعنويّة وذلك النعيم الروحيّ، لكنّه لم يكتف بذلك. حينما رحل رسول الله صلى الله عليه وآله كان الحسين عليه السلام غلاماً في السادسة أو السابعة من عمره، وعند استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام كان شابّاً في السابعة أو الثامنة والثلاثين من العمر[1]. وفي عهد أمير المؤمنين الذي كان عهد ابتلاء وجهد وعمل، كان هذا الجوهر المستعدّ يتلقّى التربية بالأعمال العظيمة ويتأهّل على يد أبيه على الدوام حتّى عاد قويّاً ومزهراً ومشرقاً.

إذا كانت همّة المرء كهمّتنا، سنراه يقول: «**وهذا القدر يكفيني وهو حسبي وبه ألقى ربّي**». هذه ليست همّة حسينيّة.

وفي حياة أخيه المباركة حيث كان الحسين عليه السلام مأموماً وأخوه الحسن عليه السلام إماماً، استمرّ في حركته العظيمة، وهو يسير قُدماً ويؤدّي واجباته إلى جانب أخيه وفي ظلّ طاعته المطلقة لإمام زمانه، وكلّ ذلك علوّ ورفعة. تأمّلوا حياته لحظة فلحظة.

ثمّ إنّه واجه استشهاد أخيه. واستمرّت حياته المباركة بعد هذا الحدث عشر سنوات - مرّت عشر سنوات ونيف منذ استشهاد الإمام الحسن عليه السلام حتّى وقت استشهاده[2] - لاحظوا ماذا كان يفعل الحسين عليه السلام خلال هذه السنوات العشر التي سبقت واقعة الطفّ.

---

(١) تاريخ الأئمّة عليهم السلام، ص٧-٨، كشف الغمّة، ج٢، ص٢٥٠، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٠٠-٢٠١.

(٢) الهداية الكبرى، ص٢٠١، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٠٠.

كانت العبادة والتضرّع والتوسّل والاعتكاف في حرم الرسول ﷺ، والرياضة المعنويّة والروحيّة أحد أطراف القضيّة. وطرف آخر سعيه الحثيث في نشر العلم والمعرفة والتصدّي للتحريف. كان التحريف آنذاك أكبر تحدٍّ معنويّ يهدّد الإسلام، ويجري كالسّيل الجارف من الفساد والماء الآسن فيركد في أذهان أبناء المجتمع الإسلاميّ. كان عصراً، طلبوا فيه من الولايات والبلدان والشعوب الإسلاميّة أن يلعنوا أعظم شخصيّة في تاريخ الإسلام![1] وملاحقة مَن يُتّهم بموالاة أمير المؤمنين ويقول بإمامته، حيث ساد آنذاك «**القتل بالظنّة والأخذ بالتهمة**»[2]. في مثل هذه الظروف وقف عليه السلام كالطود الشامخ وكقِطْع الفولاذ يخرق حجب التحريف. تظهر أقواله وكلماته التي خاطب فيها العلماء وما ورد عنه وقد احتفظ التاريخ بشيء من عظمة الحركة التي كان يأتي بها في هذا المضمار.

والوظيفة الأخرى كانت هي النهي عن المنكر والأمر بالمعروف في أرفع أشكاله، والذي جاء في كتابه إلى معاوية، وهذا الكتاب حسبما أتذكر نقله المؤرّخون[3] من أهل السنّة ولا أظنّ الشيعة قد نقلوه - أي إنّي لم أعثر عليه من طرق الشيعة - وحتّى إن كانوا قد ذكروه فقد نقلوه عنهم. واستمرّ أسلوب الكتاب المذكور والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتّى خروجه من المدينة بعد وصول يزيد إلى السلطة، وهذا يدخل أيضاً في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث قال: «**أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر**»[4].

---

(١) الإيضاح، ص٥٢-٥٣، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٤، ص٥٦-٥٧، بحار الأنوار، ج٣٣، ص٢١٤-٢١٥.

(٢) الإمامة والسياسة، ج١، ص٢٠٢-٢٠٤، الاحتجاج، ج٢، ص١٧-١٨، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٦٨-٦٩.

(٣) أنساب الأشراف، ج٥، ص١٢٠-١٢٢، الاحتجاج، ج٢، ص٢٠-٢١، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢١٢-٢١٤.

(٤) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩.

تلاحظون هذا الإنسان يأتي بتلك الحركة العظيمة في مجال تهذيب نفسه وترويضها، وفي المجال الثقافيّ أيضاً دأب على مكافحة التحريف ونشر الأحكام الإلهيّة وتربية التلاميذ والشخصيّات الكبيرة، وعلى الصعيد السياسيّ أيضاً كان يمارس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ثمّ تبع ذلك جهاده العظيم الذي يتعلّق بدوره في الجانب السياسيّ. فهو مشغول بترويض نفسه على الأصعدة الثلاثة والترقّي فيها.

أعزّائي! إنّه قدوة وأسوة. وكلّ هذا يتعلّق بالمرحلة التي سبقت واقعة كربلاء.

يجب عدم التوقّف لحظة، يجب التقدّم باستمرار، فالعدوّ يتربّص نقطة الضعف والتراخي ليتسلّل، ينتظر منكم أن تتوقّفوا لكي يهجم. وأفضل الطرق لإحباط هجوم العدوّ وإجهاض استعداده هو الهجوم عليه. وتقدّمكم هو بالهجوم على العدوّ.

العدوّ ليس غافلاً عن هذا المانع، وينشبُ فيه مخالبه، ويعمل فيه حيله. وعلينا التصدّي لجميع ذلك ومواجهته.

إنّ الحركة والسعي ضروريّان، سواء في تهذيب النفس وبناء الذات، وهو مقدّم على ما سواه، كما فعل الإمام الحسين عليه السلام، وهو سيّدكم ومولاكم، أو على الصعيد السياسيّ حيث التحرّك، والأمر بالمعروف، والحضور السياسيّ، وفي المواضع الضروريّة، بيان المواقف السياسيّة في مواجهة العالم الاستكباريّ، أو على صعيد الجهاد الثقافيّ، أي بناء الإنسان، تقويم الذات، وتهذيب بناء الفكر الذاتيّ، ونشر الفكر والثقافة. وهذا واجب على كلّ من يتّخذ الإمام الحسين عليه السلام قدوة له.

من دواعي السرور أنّ شعبنا بأسره ينظر إلى الحسين عليه السلام نظرة إجلال

وإكبار، وهذا هو شعور الكثير من غير المسلمين أيضاً[١].

الإيمان بالمواجهة في سبيل الحقّ

رُوي أنّ الإمام السجّاد عليه السلام وبعد عودته إلى المدينة[٢] عقب واقعة عاشوراء - وربّما بعد مضي عشرة أو أحد عشر شهراً من مغادرة قافلة والده المدينة[٣] وعودتها إليها - جاءه رجل وقال له: يا بن رسول الله، أرأيتَ ما صُنع بكم بخروجكم هذا[٤]؟! كان يصدق في قوله، فالقافلة حين خروجها كان على رأسها ويتوسّطها الحسين بن عليّ عليهما السلام شمس أهل البيت الزاهرة وابن رسول الله وحبيبه، وخرجت بنت أمير المؤمنين معززة مكرّمة، وخرج في القافلة أيضاً أبناء أمير المؤمنين عليه السلام - العبّاس وإخوته - وأبناء الإمام الحسن عليه السلام وخيرة شباب بني هاشم وصفوتهم، ثمّ عادت هذه القافلة ومعها رجل واحد فقط وهو الإمام السجّاد عليه السلام، وتجرّعت النسوة الأسر ورأينَ المصائب والأحزان، فلا الإمام الحسين ولا عليّ الأكبر ولا حتّى الطفل الرضيع مع تلك القافلة..

فأجابه الإمام السجّاد: تأمّل بما سيحصل لو لم نخرج! أجل، إن لم يخرج هؤلاء ستبقى أجسامهم، ولكن ستطمس الحقيقة وتنصهر الروح وتُسحق الضمائر ويُدان العقل والمنطق على مرّ التاريخ، بل ولا يبقى ذكرٌ للإسلام أيضاً.

---

(١) في لقاء حشود من حراس الثورة الإسلاميّة بمناسبة يوم الحرس، ٢٤/ ٩/ ١٣٧٥ش، ١٤/ ١٢/ ١٩٩٦ م.

(٢) إقبال الأعمال، ج٣، ص١٠٠، بحار الأنوار، ج٩٨، ص٣٣٤-٣٣٥.

(٣) الفتوح، ج٥، ص٢١-٢٢، إعلام الورى، ج١، ص٤٣٥، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٦.

(٤) الأمالي، الطوسيّ، ص٦٧٧، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٧٧.

وفي زماننا هكذا كانت حركة الثورة الإسلاميّة والنظام الإسلاميّ بهذا الاتجاه، ولربّما كان قد خامر ذهن الذين انطلقوا بهذه الحركة أنّهم سيقيمون الحكومة والنظام اللذين يصبون إليهما، ولكن كانت تملأ أذهانهم أيضاً فكرة إمكانيّة استشهادهم في هذا السبيل أو أنّهم يفنون عمرهم في الجهاد والكفاح وتحمّل الشدائد، فكلا الخيارين كان ماثلاً - تماماً كما كان عليه الحال في حركة الإمام الحسين - وبصيص الأمل الوحيد الذي كان يحمّس القلوب ويحفّز هؤلاء على التحرّك خلال عامَيْ (١٩٦٢ و١٩٦٣م) وما تلاهما من سني المحنة والاضطهاد في السجون هو الإيمان بالجهاد لا الرغبة في بلوغ السلطة. وهذا الخطّ هو ذاته خطّ الإمام الحسين عليه السلام[1].

(١) في لقاء المسؤولين والعاملين في النظام ٢٧/ ١٢/ ١٣٨٠ش - ١٨/ ٣/ ٢٠٠٢ م.

انتصار الدم على السيف

عندما وقف في يوم عاشوراء فلذة كبد الزهراء عليها السلام مع ٧٢[١] من أصحابه أمام عدوّ مؤلّف من ٣٠ ألف مقاتل[٢] مجهّز، وكان بين أصحابه الطفل ذو العشر السنوات[٣] والشابّ ذو الـ ١٣ سنة[٤] والشيخ العجوز ذو الـ ٧٠ سنة[٥]. ظنّ العدوّ أنّ الحسين عليه السلام قد انتهى، خاصّة في تلك اللحظات الأخيرة من يوم عاشوراء، عندما استُشهد جميع أصحابه وتضرّجت أجسادهم بالدماء في صحراء كربلاء، وشاهدوا الحسين عليه السلام يحمل قماط طفل رضيع، تيقّن الجميع - حينها - أنّه لن يبقى أثر للحسين عليه السلام ولرسالته. في النهاية كان جميع أصحابه عليهم السلام قد اجتمعوا هناك وكلّ المضحِّين قد مضوا معه، كانت المدينة كلّها في كربلاء، وقد اختُصرت الكوفة ومكّة والحجاز والعراق في (صحراء كربلاء) ذلك الميدان نفسه. لم يبق شخص يمكنه الادّعاء أنّه من أصحاب الحسين عليه السلام، أنصاره جميعهم قد ضُرّجوا بالدماء واحداً تلو الآخر، ونالوا درجة الشهادة.

في عصر ذلك اليوم، كانت عين الدنيا شاخصة باتّجاه الحسين عليه السلام، مقاتل واحد وحيد وابنه الرضيع على يديه، وقد ظهر أمام جيش العدوّ، ظنّ العدوّ - القصير النظر - أنّ الحسين عليه السلام قد انتهى.

---

(١) الأمالي، الصدوق، ص٥٤٧، عمدة الطالب، ص١٩٢، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٩٨.

(٢) أنساب الأشراف، ج٣، ص١٨٧، الإرشاد، ج٢، ص٩٥، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٤.

(٣) مقتل الحسين، الخوارزميّ، ج٢، ص٣١، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٤.

(٤) مقتل الحسين، المقرّم، ص٢٩٤.

(٥) التاريخ الكبير، ج٢، ص٣٠، رجال الطوسيّ، ص٢١.

عندما خاطبهم الإمام قائلاً: «**إن لم ترحموني فارحموا هذا الطفل**»[١]، يا قساة القلوب! أيّها الخارجون من ربقة الإنسانيّة! إذا لم يكن لديكم تلك الرحمة والرأفة فتمنعونني من شرب الماء، فما ذنب هذا الطفل الصغير ذي الأشهر الستّة؟ مرّة أخرى لم يفهموا أيضاً ماذا كان يفعل الإمام الحسين عليه السلام. ومرّة أخرى لم تتضح السياسة الإلهيّة لهؤلاء الذين خُتم على قلوبهم. استغلّ عمر بن سعد قسوة قلب حرملة وقال له: أرحنا من الحسين (اقطع نزاع القوم)[٢]. وبدل أن يسقوا الطفل شربة ماء سقوه سهماً مثلّثاً مسموماً[٣].

تململ الطفل بين يدي والده وفارت الدماء من منحره. بدأ الحسين عليه السلام عمله من هنا. لم يدع دماء عليّ الأصغر تتلوّث وتذهب هدراً، لم يدع مثيري الشائعات والكذّابين والمخادعين يقولون: مات طفل الحسين عليه السلام لوحده بمفرده أو مات من حرارة الشمس. وضع الحسين عليه السلام يديه تحت منحر عليّ الأصغر حتّى امتلأتا دماً رمى به إلى السماء أمام الجميع[٤]، أي: أيّها الجبناء انظروا، لقد قتلتم عليّ الأصغر! وهنا وقّع الإمام الحسين عليه السلام وثيقة ومستند حقّانيّته (بالدماء)، أي أفهم العالم بأسباب مواجهته، أفهم التاريخ ماذا كان يحارب ومن! ومن أجل ماذا حارب! لقد دوّن الحسين عليه السلام في التاريخ أنّه ضحّى وحيداً وأنّ جيوش العدوّ قد هاجمته من كلّ ناحية. وقف وحيداً وقلّة من الأصحاب، لم يقل: أنا وحيد، ولم يقل: «**الجميع ضدّي ومعارض لي ولن أستطيع فعل شيء**»،

---

(١) تذكرة الخواص، ص٢٢٧.

(٢) من المدينة إلى المدينة، ج٥، ص٦٨٨.

(٣) تذكرة الشهداء، ج١، ص٥٠٤.

(٤) مقاتل الطالبيّين، ص٩٥، الملهوف، ص١٦٨-١٦٩، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٤٦.

لم يقل: «**أنا ضعيف ولم أحارب بدون جدوى**».

لقد وقف على مفترق طريقي الحقّ والباطل، ومن المقطوع به أنّه يختار الحقّ، ومستعدٌّ ليقدّم روحه في سبيل الحقّ. من هذه النقطة بدأ انتشار ثقافة الحسين بن عليّ عليه السلام، هو لم يقيّد يزيد بن معاوية والسلسلة الأمويّة بدماء عليّ الأصغر ودماء شهداء كربلاء فحسب، إنّما بدأت الثورات العالميّة في تاريخ المسلمين والثورات الكبرى من نقطة دماء هؤلاء المضحّين. فكلّ مصر من أمصار المسلمين قد دخل إليه اسم الإسلام، دخل معه أيضاً اسم الحسين عليه السلام، كمؤشّر على الإسلام وكدليل عليه.

فكلّ من كان مع الحسين عليه السلام كان الإسلام ملكاً له. وكلّ من اقتفى أثر الحسين كان صادقاً في دعواه، كلّ من يختار طريق الحسين عليه السلام ينطق صدقاً وهو من أمّة النبيّ صلى الله عليه وآله آخر الزمان.

لقد افتُضح اليزيديّون في التاريخ، وانتصر الدم على السيف[1].

دماء الحسين بن عليّ عليهما السلام أماتت السلالة الأمويّة

في واقعة عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام، بدا أنّ رعد جبابرة الظلم وبرقهم قد أنهيا كلّ شيء - في الظاهر -. وقعت جماعة في اليأس، إلّا أنّه وكما رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام فقد قضت دماء الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام ودماء أصحابه على سلالة بني أميّة وأحفاد أبي سفيان وأطاحت بها، كما إنّ دماء زيد بن عليّ وأصحابه كانت هي الأساس في اقتلاع واجتثاث السلالة المروانيّة،[2] [3].

---

(١) في خطبة الجمعة، طهران، ٢٣/ ٨/ ١٣٥٩ش - ١٤/ ١١/ ١٩٨١ م.

(٢) ثواب الأعمال، ص٢٢٠، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٠٥.

(٣) في خطبة الجمعة، طهران، ١٥/ ٣/ ١٣٦٠ش - ٥/ ٦/ ١٩٨٢ م.

انتصار الدم على الخبث

في حادثة كربلاء تعرّض الإمام الحسين عليه السلام لمظلوميّتين،

الأولى: مظلوميّة تلك الواقعة وأذيّة شخص الحسين عليه السلام ثمّ قتله ومضيّه شهيداً.

الثانية: عمليّة التشويش المنافقة والضجّة الخبيثة التي عمَّت أرجاء الدنيا، ففي الكوفة أثاروا الأوضاع وخرّبوها، وكذلك في الشام و.. وقدّموا الإمام الحسين عليه السلام للعالم الإسلاميّ[1] على أنّه خارجيّ قد خرج على إمام زمانه والحكومة القائمة، وقد امتلأت المنابر والخطب والألسنة الخبيثة والحناجر النجسة بالتهم والافتراءات والإهانات والدعايات التي زادت من مظلوميّة الحسين بن عليّ عليهما السلام[2].

وفي نهاية المطاف لقد أدّت هذه المظلوميّة دورها وفعلت فعلها، فخرقت الحجب وفضحت الوجوه الخبيثة وفرضت الحقيقة نفسها على الأذهان والقلوب، على الرغم من عدم إرادتهم لأن تظهر الحقيقة وتتجلّى، لكنّ العدوّ انهزم وانتصر الحسين عليه السلام في نهاية المطاف[3].

ثورة الإمام عليه السلام ودماؤه، ضمنتْ بقاء دين النبيّ صلى الله عليه وآله

ذكر بعضهم في معنى حديث النبيّ صلى الله عليه وآله: «**حسين منّي وأنا من حسين**»، إنّ معنى «**وأنا من حسين**»: أنّ ديني قد استمدّ بركة من الحسين وبقي خالداً

---

(١) الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٢، تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٣١، الخرائج والجرائح، ج٢، ص٥٨١، تذكرة الخواص، ٢٦٠، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١١٤.

(٢) الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٢-١٣، تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٥٢، الفتوح، ج٥، ص١٣١، الإرشاد، ج٢، ص١١٧، مقتل الحسين، الخوارزميّ، ج٢، ص٦٥-٦٦، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٣٠٥، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٦١.

(٣) في خطبة الجمعة، طهران ٢٣/ ٥/ ١٣٦٦ش- ١٤/ ٨/ ١٩٨٨ م.

وضمن بقاءه. وهذا صحيح تماماً، أي أنّه من الممكن أن يكون هذا هو معنى هذه الجملة ومن الممكن أن لا يكون هذا هو معناها. لكن أن يكون دين النبيّ ﷺ قد بقي واستمرّ من خلال ثورة الحسين فهذا لا شكّ فيه، لأنّه لولا ثورة الإمام الحسين عليه السلام لما وصلت الواجبات والتكاليف إلى النّاس ولما حصلت تلك الثورات في عهود بني أميّة وبني العبّاس، ولما استمرّت الحركة المتوهّجة والحيّة والفدائيّة والاستشهاديّة، ولما بقيت حياة التشيّع في التاريخ، ولاعتادت أذهان النّاس على تقبّل أيّ شخص يأتي على رأس الحكومة، مهما كانت رؤيته وأخلاقه ومنهج عمله، وينبغي أن يطيعوه كوليّ للأمر!! حتّى لو كان فاسقاً فاجراً، ولما وُجد في مواجهة هذا الفكر الباطل والمنحرف أيّ فكر صحيح وأصيل، وفي هذه الحالة كانت ستستمر هذه الحالة الانحرافيّة بسبب عدم قيام الثورة التي وصلت اليوم، إمّا أنّه لم يكن سيصل إلينا اسم الإسلام، أو إن وصل إلينا اسمه فسيكون فارغ المحتوى.

وإنّ الذي حفظ هذا المحتوى هو ثورة الإمام الحسين عليه السلام. وإنّ ثورة الشعب الإيرانيّ تابعة لهذه الثورة. وإنّ سياسة انتصار الدم على السيف كانت جزءاً من هذه الحركة والفلسفة التي أوجدها الحسين بن عليّ عليهما السلام[1].

انتصار الجهاد المظلوم

من الدروس الأخرى[2] التي تقدّمها عاشوراء، والتي ينبغي أن تكون محلّ اهتمام لدينا، هو أنّ المواجهة والجهاد مطلوبان حتّى لو تمّ إبادتهما كما حصل في كربلاء فإنّ الله سبحانه لن يدع هذه الدماء تجفّ أبداً! إنّ دماء

(١) من كلمته في أعضاء تجمّع الجهاد الجامعي، ١٠/ ٦/ ١٣٦٦ش- ١/ ٩/ ١٩٨٨ م.

(٢) هذا المقطع هو تتمّة لكلام سماحته الذي جاء في الدرس السابق تحت عنوان:" الصمود وعدم الخوف من الوحدة والغربة" في الفصول السابقة.

الإمام الحسين فوّارة متجدّدة، وقد سقت مدرسة الإسلام ومدرسة التشيّع العظيمة على مدى تاريخ الإسلام الطويل، بعثت فيه الحياة وأوصلته إلى عصرنا الحاليّ. انظروا اليوم، لقد نهض الإسلام بكم وقد تعلّمنا من عاشوراء. لولا عاشوراء لما تعلّمنا كيف نقف في مواجهة ظلم النظام الجبّار السابق وجَوْره (نظام الشاه) ! هذا هو درس الحسين بن عليّ عليه السلام.

القدرة الماديّة، مغلوبة للقدرات المعنويّة

انظروا كيف واجهت زينب الكبرى عليها السلام بنتُ فاطمة الزهراء عليها السلام[1] وهي مسبيّة، أقوى سلاطين عصرها، ذلك السلطان الظالم السفّاك، قائلةً له: «**كِدْ كيدك واسعَ سعيك، فوالله لا تمحو ذكرنا**»[2]، ولو كانت القوّة الماديّة قادرة على هذا لما قصّر ذلك الظالم في فعله ولما خُذلت القوى الماديّة عنه اليوم[3].

الدماء والمظلوميّة، لغة التاريخ الخالدة

لنهضة الإمام الحسين هدفان، يمكن أن يسفر كلّ واحد منهما عن نتيجة طيّبة، الأوّل: أن يستطيع الإمام الحسين عليه السلام التغلّب على حكومة يزيد واسترداد السلطة من يد أولئك الذين يقمعون النّاس ويتلاعبون بمصيرهم، ووضع الأمور في نصابها الصحيح، فلو كان حدث ذلك لتغيّرت مسيرة التاريخ.

وأمّا الثاني فكان عدم تمكّن الإمام الحسين عليه السلام من إحراز هذا النصر السياسيّ والعسكريّ لأيّ سبب من الأسباب، وعندئذٍ لم يكن أمامه سوى استبدال المواجهة بالقول، إلى المواجهة بالدم، والمظلوميّة بلسان لن ينساه

---

(١) الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٤، تاج المواليد، ص٢٣، بحار الأنوار، ج٤٢، ص٧٤.

(٢) بلاغات النساء، ص٢١-٢٣، الاحتجاج، ج٢، ص٣٤-٣٧، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٣٣-١٣٤.

(٣) في لقاء قادة ومسؤولي الحرس الثوري، ٢٦/ ٦/ ١٣٧٦ش - ١٧/ ٩/ ١٩٩٧ م.

التاريخ على مدى الزمان، لتبقى كلمته تيّاراً جارفاً لا ينقطع أبد الدهر. وهذا هو ما فعله الإمام الحسين عليه السلام.

فقد وقع التقصير، وبسبب تقصير الآخرين لم يتحقّق الهدف (البعد) الأوّل، بينما تحقّق الهدف الثاني، وهو الشيء الذي لم يكن باستطاعة أيّة قوّة سلبه من الإمام الحسين عليه السلام، حيث إنّ قوّة التوجّه إلى ميدان الشهادة، والتضحية بالنفس والأحبّة، هما ذلك الحدث العظيم الذي تضاءلت وتلاشت أمام عظمته قوّة العدوّ وعظمته[1].

السنّة الإلهيّة، الانتصار مشروط

درس عاشوراء هو أنّه: يجب القيام والنهوض مهما كان العدوّ قويّاً. بالطبع يوجد مصيران في نهاية هذا الطريق: الأوّل الانتصار الظاهريّ، والثاني الهزيمة الظاهريّة، وأحد هذين المصيرين هو في انتظار الإنسان.

للتاريخ قوانين وسنن، بالتأكيد عندما تُنجز سلسلة الواجبات والأعمال، سيتحقّق النّصر.

فلو أنّ المسلمين الذين دعوا الإمام الحسين عليه السلام في ذلك العصر، أي أهل الكوفة أنفسهم - وليس جميع المسلمين - قاوموا واستقاموا لكان النّصر حليف الإمام الحسين عليه السلام. فالقضيّة لم تكن على النحو الذي نتصوّره بأنّ الإمام الحسين عليه السلام كان سينتهي به الأمر في المعركة إلى الشهادة حتماً. نعم كان الإمام الحسين عليه السلام يعرف مصيره، لكن في صورة ما لو نهض النّاس وتحرّكوا وصمّموا لتبدّل هذا المصير، كما تمكّنّا نحن. فالشعب الإيرانيّ مع أنّه كان لديه تجربة هزائم قاسية على طول التاريخ إلّا أنّه استطاع في النهاية أن ينتصر، وهذه هي القضيّة في يومنا هذا.

---

(١) في خطبة الجمعة طهران، ٢٦/ ١/ ١٣٧٩ش. - ١٤/ ٤/ ٢٠٠٠.

حينما ينهض شعب، ويحافظ على وحدته، ويتحمّل مقداراً من الشدائد والمحن لمدّة قصيرة، حتّى لو لم يستمرّ على الدوام، فإنّه سيتمكّن من الظفر. لقد ثار الإمام الحسين عليه السلام في ذلك اليوم وأدّى وظيفته، لكنّ الآخرين لم يتعاونوا معه، فكانت النتيجة أن وقعت تلك الفاجعة التاريخيّة العظيمة. بالطبع، هذا درس للنّاس والشعوب، وإلى الأبد. هذا هو تقييم الإمام الحسين عليه السلام للموقف والموقع[1].

سرّ الانتصار على العدوّ

لا شيء يمكنه أن يردع أعداء الإسلام وأدواتهم المجهّزة ويجبرهم على التراجع غير قوّة الإيمان لدى الشعب المسلم. فبهذا العامل الوحيد يمكن إجبار أعداء الدّين، وأعداء الثورة، وأعداء استقلال الشعب على التراجع، وبالتالي يُسقَط في أيديهم.

يمكن للوسائل الماديّة أن يقابل بعضُها بعضاً وتتواجه، إلّا أنّه عندما يحضر عنصر الإيمان والمعنويّات وقوّة الإنسان المؤمن، فلا يمكن لأيّة وسيلة ماديّة أن تتغلّب عليه. فلو لم يكن الأمر كذلك، لما بقيت الحقيقة والعدالة والدّين الحقّ على طول التاريخ، فقد تمّ خلال التاريخ مواجهة الفكر الحقّ والطريق الحقّ. فقد وقف كلّ أصحاب القدرة والمستكبرين في مقابل الحقّ، ونهض كلّ الجبابرة لمواجهته واستخدموا ما حازوا عليه من قدرات وأموال وإمكانات باهظة الثمن حتّى لا يبقى الحقّ، وليزيلوا فكر الحقّ من الدنيا. وإنّ الذي ساهم في بقائه على طول التاريخ وبين النّاس وأبقاه حيّاً هو هذا.

ثمّة أداة تجعل كلّ قوّة المال والذهب والسلطة والفرعونيّة والتجبّر عديمة الفعاليّة، وهي قوّة الإنسان المؤمن ذاتها. عندما يقتحم الإنسان المؤمن

---

(١) في خطبة صلاة الجمعة، طهران ٥/ ٧/ ١٣٦٤ ش- ٢٧/ ٩/ ١٩٨٦ م.

ميدان العمل بالإيمان، تُعطّل الوسائل الماديّة[١].

الانتصار الحقيقيّ والخالد في ظلّ عوامل القدرة المعنويّة

إنّ كلّاً من هؤلاء الرجال الذين أناروا التاريخ بشكل أو آخر- الحسين بن عليّ عليه السلام والإمام السجّاد عليه السلام وأبي الفضل العبّاس عليه السلام - ظهر في عهده من كان لهم تخيّلات ماديّة باطلة في شأنهم، وهؤلاء قد زالوا واندثروا بالكامل. استُشهد الإمام الحسين عليه السلام في الغربة مع جميع من كان معه من الشباب والوجوه البارزة من عائلته - الإخوة والأولاد والأقارب والصحابة الغيارى - ودُفنوا في منتهى الغربة[٢]، ولم يُشيَّعوا، ولم يُقِم أحد عليهم العزاء.

بعضهم كان يتوهّم أنّ بقاء هذه الثلّة قد يدعوهم للانتقام، كانوا يتصوّرون أنّ المسألة ستنتهي بالقضاء على الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه. فالإمام السجّاد عليه السلام يبدو أنّه عاش بعد الإمام الحسين عليه السلام مدة أربع وثلاثين سنة في حالة انزواء في الظاهر بدون أن يشكّل تكتّلاً أو جماعة أو عسكراً أو تمرّداً. أمّا أبو الفضل عليه السلام فقد أصبح واحداً من الشهداء الذين سقطوا يوم عاشوراء.

كانت القوى الماديّة - التي تتسلّط على النّاس بالمنطق الماديّ- تتصوّر أنّ الأمر- كما في العادة - قد انتهى بمجرّد القضاء على هذه الشخصيّات، لكنّ واقع الأمر كان مختلفاً عمّا كانوا يتصوّرون، فلم يُقضَ عليهم، بل خُلّدوا، وأخذ جلالهم وجاذبيّتهم وتأثيرهم يزداد يوماً بعد آخر، فقد استولوا على قلوب النّاس وفتحوها، فزادوا من دائرة وجودهم. واليوم يتبرّك بأسمائهم مئات الملايين - من الشيعة وغير الشيعة - وينهلون من كلامهم، ويبجّلون ذكراهم، إنّه النّصر التاريخيّ، النّصر الحقيقيّ والخالد.

---

(١) في لقاء عوائل شهداء وقادة عمليّات كربلاء، ٤ و ٥، ١٥/ ١٢/ ١٣٦٥ش- ٦/ ٣/ ١٩٨٧ م.

(٢) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٤٨، الإرشاد، ج٢، ص١١٤، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٦٢.

إنّ السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: ما هو واقع الأمر في هذه القضيّة؟ وما هو سبب البقاء والخلود؟

برأيي إنّها إحدى أكثر الحقائق أساسيّةً، وفي الوقت نفسه من أوضح حقائق الحياة البشريّة وأشدّها رواجاً، إلّا أنّ شأنها شأن جميع الحقائق الواضحة والبديهيّة، فلا تثير اهتمام الغافلين. فحقائق العالم جميعها حقائق وظواهر مهمّة، كالشمس والقمر والليل والنهار ومجيء الفصول المختلفة، والحياة والموت، في كلّ واحدة من هذه الحوادث درسٌ جديرٌ بالتدبّر بالنسبة إلى الإنسان، إلّا أنّ الغافلين لا يلتفتون إليها، بينما يعتني بها المتدبّرون وينهلون منها زادهم.

إنّ الحقيقة التي أشرنا إليها هي من تلك الحقائق الواضحة التي كانت على مرّ العصور، وهي أنّه لدينا نوعان من عوامل القدرة: العوامل الماديّة، والنوع الآخر هو القدرة الناشئة عن عوامل معنويّة.

إنّ عوامل القدرة الماديّة هي المال والقوّة التي مارسها الجبابرة على طول التاريخ، صحيح أنّ هذه القدرات قد أثمرت نتيجة ما، إلّا أنّه لم يكتب لهذه القدرة البقاء سوى أيّام معدودة. انظروا إلى جبابرة العالم كم عُمّروا، خاضوا فيه المعارك وسعوا ومارسوا السياسة لأجل اقتطاف ثمار لم تدم إلّا سنوات قليلة، في الواقع هم لم يجنوا أيّ شيء.

لكنّ هناك مجموعة أخرى من العوامل المعنويّة للقدرة، وهي الإيمان والطهر والتقوى والصدق والحقّانيّة، والقيم الدّينيّة التي تقترن بالجهاد والسعي. فهذه القدرة قدرة خالدة، وهذه القدرة لا تعني الأخذ والتخزين والربح والتمتّع، بل هي القدرة على الخلود التاريخيّ، والقدرة على صناعة مصير البشريّة والبقاء، كما هو الحال بالنسبة إلى الأنبياء، فهم أحياء حتّى اليوم. كما إنّ عظماء حَملة مشاعل العدل والحقّ لا زالوا أحياءً في تاريخ

البشريّة، وماذا يعني «أنّهم أحياء»؟ أي أنّ النهج الذي سعوا وجاهدوا وناضلوا في سبيل توطينه في نفوس البشريّة، قد بقي في حياة النّاس وغدا مفهوماً خالداً، وصار درساً لا زالت البشريّة تنهل منه.

إنّ الخيرات والصالحات والمحاسن التي نجدها عند البشريّة اليوم ناشئة من تلك الدروس وهي استمرار لتعاليم الأنبياء وجهود كلّ المصلحين والخيّرين، فهذه تبقى وتخلد.

كان لدى الإمام الحسين عليه السلام كلّ عوامل القدرة المعنويّة، ورغم أنّه استشهد في النهاية، إلّا أنّ جهاده لم يكن لأجل التمتّع بلذائذ الدنيا لأيّام معدودة لكي نقول إنّه خسر المعركة بشهادته، بل إنّ جهاده كان لأجل إبقاء منهج التوحيد وحكومة الله ومنهج الدّين والنجاة وصلاح الإنسان، وتخليد هذا المنهج في حياة البشريّة، لأنّه كان ذلك في وقت يسعى فيه عملاء ومأجورون لطمس هذا المنهج كلّيّاً، وأنتم ترون نماذج من أولئك اليوم!

في وقت ما، كانت هذه القضايا تعدّ تصوّرات ذهنيّة إذا ما طُرحت، إلّا أنّ هذه الحقائق الذهنيّة تحقّقت اليوم وأصبح لها واقع[1].

(١) في لقاء جموع كبيرة من منتسبي وقادة الحرس الثوريّ بمناسبة يوم الحرس، ٢٢/ ٨/ ١٣٧٨ش- ١٣/ ١١/ ١٩٩٩ م.

إحياء ذكرى كربلاء

الإمام السجّاد عليه السلام وبكاؤه الشجيّ

كان الإمام السجّاد عليه السلام هو الشاهد والراوي لحوادث عاشوراء الدامية، وكان أيضاً رسول تلك الثورة، فبعد تلك الحادثة المضرّجة بالدماء ظلّ يبكي أكثر من ٣٠ سنة[١]. لم يكن بكاؤه هذا بكاء أسى وغمّ، بل كان بكاء لهيب الثورة[٢].

تدبير الإمام السجّاد عليه السلام لإحياء كربلاء

لقد (حمل) الإمام السجّاد عليه السلام حادثة عاشوراء بما قام به من تبليغ طوال هذه المدّة إلى كلّ العالم الإسلاميّ، ولم يدع هذه الواقعة تنتهي في طيّ الانزواء والغربة، لأنّه كان يعلم أنّ جهاز بني أميّة كان يريد لجهاز الإمام الحسين عليه السلام أن يُطمس ويندثر في مكانه في كربلاء. استُشهد الإمام الحسين عليه السلام مع أقرب أصحابه وأوفى أبنائه وعائلته هناك، ثمّ قالوا في الكوفة: إنّ هؤلاء قد خرجوا[٣]، هؤلاء قوم قاموا بأعمال مخالفة، ثاروا ضدّ الخلافة وضدّ الحكومة، ومن يَثُر ضدّ الحكومة الإلهيّة فحكمه معروف.

وقد أسروا عياله حتّى لا يدعوها تحيي له اسماً أو ذكرى، إلّا أنّ الإمام

---

(١) كامل الزيارات، ص٢١٣، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٤٩.

(٢) كلمته في ١٧/ ٦/ ١٣٥٩ش- ٨/ ٩/ ١٩٨١ م.

(٣) المنتخب للطريحيّ، ج٢، ص٤٦٤، بحار الأنوار، ج٤٥، ١١٤.

السجّاد عليه السلام من خلال تدبيره وإدارته أحيى مسألة عاشوراء في سوق الكوفة[١] وفي مجلس ابن زياد[٢] وفي الشام[٣] وفي المدينة[٤] وفي مناسبات عديدة.

تلك القضيّة التي حدثت في إحدى بقاع صحراء الغربة- وفي العادة لا يتحدّث النّاس عنها - التهبت شعلتها، وقد حاول خلفاء بني أميّة وبني العبّاس من بعدهم أن يطفئوا هذه الشعلة بنحو من الأنحاء فلم يستطيعوا. وكلّما تقدّم الزمن أضحت أكثر اشتعالاً، إلى حدّ وصل الأمر أن أصبح زوّار كربلاء عقبة ومشكلة لجهاز الخلافة، يقطعون الأيدي، الأرجل، الرؤوس، يودعونهم السجون[٥] حتّى يمتنع النّاس عن المجيء إلى كربلاء فلا تزداد هذه الشعلة إلّا توقّداً. كانوا يخافون من عواقب ذلك، لكنّهم لم يستطيعوا شيئاً.

جهاد أهل البيت عليهم السلام: في طريق إحياء كربلاء

لا زال تاريخ البشريّة إلى الآن ينهل من دماء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، سيّد شهداء التاريخ، المسفوكة بغير حقّ، ذلك أنّ وارثي هذه الدماء قاموا باستخدام أكثر الوسائل تدبيراً وأكثرها بلاغة لإحياء هذه الدماء.

ففي بعض الأحيان، لا تقلّ الجهود والمساعي لإبقاء دماء الشهيد حيّة عن الشهادة نفسها. وإنّ المشقّة التي تحمّلها الإمام السجّاد عليه السلام لثلاثين أو أربعين سنة، وكذلك عمّته زينب الكبرى لعدّة سنوات، كانت من هذا

(١) الاحتجاج، ج٢، ص٣١-٣٢، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١١٢-١١٣.
(٢) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٥٠، الإرشاد، ج٢، ص١١٦-١١٧، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١١٧-١١٨.
(٣) أنساب الأشراف، ج٣، ص٢٢٠، روضة الواعظين، ص١٩٠-١٩١، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٦١-١٦٢.
(٤) مثير الأحزان، ص٩٠-٩١، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٤٨-١٤٩.
(٥) تاريخ الطبريّ، ج٧، ص٣٦٥، الأمالي، الطوسيّ، ص٣٢٩، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٤٠٣-٤٠٤.

القبيل. لقد جاهدا وسعوا لحفظ هذه الدماء. وبعدهما بقيّة الأئمّة عليهم السلام الذين تحمّلوا العناء والنَصب في هذا السبيل حتّى عصر الغيبة[١].

عندما تدقّقون في التاريخ سترون أنّه، في مرحلة ما، عزم الجهاز الإعلاميّ لبني أميّة وبني العبّاس فيها على طمس حوادث كربلاء التي هي إحدى معارف الزمان بشكل تامّ ليقولوا إنّها لم تحدث من الأساس. لا تتصوّروا أن ذلك لم يقع، لقد حدث. نحن نرى الآن في زماننا أموراً عندما كنّا نقرأ في السابق أحداث صدر الإسلام وقضاياه ونرى أشباهها كنّا نتعجّب. والآن نراها أمامنا، أبداً، فلا عجب فيه، وهو ممكن تماماً. يمكنهم التعامل مع ما جرى في كربلاء، مع ما لها من عظمة، على أنّها حادثة قتل وجناية حصلت في أحد الأطراف النائية من الصحراء، إلّا أنّ الأئمّة عليهم السلام، هم وشعراؤهم، قد أبقوا هذه الواقعة حيّة.

يُروى أنّه جاء رجل إلى الإمام الصادق عليه السلام. قال له الإمام: «**أنشدني في الحسين شعراً**»[٢]. فما هو سبب ذلك؟ ألم تكن هناك مجالس رثاء؟ أراد الإمام من هذا الشخص عندما يرجع أن ينقل هذه القضيّة ليعرف الجميع، أي ليكون مصباحاً مضيئاً على الدوام. تلاحظون؟ هكذا تمّ الحفاظ على هذه المعارف حيّة. لذا نرى اليوم أنّه لو اجتمع كلّ مؤرّخي العالم وتكاتفوا وعملوا لمائة عام لما استطاعوا القضاء على هذه المعارف، لماذا؟، لأنّها قد أثبتها التاريخ[٣].

ألقت دماء الحسين عليه السلام الطاهرة التي أُريقت على رمال الغربة في كربلاء أكبر مسؤوليّة على عاتق الإمام السجّاد والسيّدة زينب عليهما السلام، ومنذ

---

(١) كلمته في عناصر دوريات - حرس ثار الله والعاملين في البلديّة.

(٢) الأمالي، الصدوق، ص٢٠٥، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٨٢-٢٨٣.

(٣) في لقاء ثلاث من عائلات الشهداء، ٤/ ١/ ١٣٧٩ ش- ٢٤/ ٣/ ٢٠٠١ م.

اللحظة الأولى التي تَلَقّى فيها هذه الرسالة عمل على نقلها إلى أرجاء العالم الإسلاميّ بأشكال مختلفة. وكانت هذه الحركة من أجل إحياء الدّين الحقيقيّ ودين الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام والهدف الذي استشهد من أجله أمراً ضرورياً ولازماً. بالطبع كان هناك أجر إلهيّ محفوظ بالنسبة إلى الإمام الحسين عليه السلام، وكان بإمكانهم (أي الأئمّة) التزام الصمت. لماذا كان الإمام السجّاد حتّى آخر عمره - حيث عاش أكثر من ٣٠ سنة بعد الإمام الحسين[١] - يأتي على ذكر اسم الحسين ودماء الحسين وشهادة أبي عبد الله (صلوات الله عليه) عند أيّ مناسبة، ويذكّر النّاس به؟ لماذا كان هذا السعي؟ بعضهم تخيّل أنّ ذلك كان بهدف الانتقام من بني أميّة، مع أنّ بني أميّة قد اندثروا بعدها. لماذا طلب الإمام الرضا عليه السلام - وهذا بعد مجيء بني العبّاس - من الريّان بن شبيب أن يقرأ مصيبة أبي عبد الله؟[٢]. وبنو أميّة في ذلك الوقت كانوا قد هزموا وتشتّتوا. لقد كان هذا العمل من أجل أن يصبح طريق الإمام الحسين ودماؤه رايةً للحركة العظيمة للأمّة الإسلاميّة نحو الأهداف الإسلاميّة، وينبغي أن تبقى هذه الراية مرفوعةً، وقد بقيت إلى اليوم مرفوعة وشامخة، ولا زالت تقود النّاس وتهديهم[٣].

---

(١) يوجد اختلاف في شهادة الإمام السجّاد عليه السلام فقد ذُكر أنّ فترة حياته بعد والده في محرّم ٦١هـ كانت: ٣٩, ٣٨, ٣٣, ٣٢, ٣١ و٤٠ سنة- التاريخ الصغير، ج١، ص٢٤٢، أنساب الأشراف، ج١٠، ص٢٣٧-٢٣٨، الثقات، ج٥، ص٦٣. الأمالي، الصدوق، ص٢٠٤، الإرشاد، ج٢، ١٣٧، التمهيد، ج٩، ص١٥٨، تاريخ دمشق، ج٤١، ص٤١٤، بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٥١-١٥٤.

(٢) عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٢٦٨-٢٦٩، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٨٥-٢٨٦.

(٣) كلمته في لقاء عوائل الشهداء والجرحى والأسرى المحرّرين في محافظة همدان، ١٦/ ٤/ ١٣٨٣ش- ٧/ ٧/ ٢٠٠٥ م.

خلود عاشوراء، مقتضيات السنّة الإلهيّة

برأيي إنّ زينب الكبرى عليها السلام هي التي شيّدت بناء حفظ الوقائع بالأدب والفنّ. ولولا حركة وجهود السيّدة زينب، ومن ثمّ بعد تلك السيّدة العظيمة أيضاً لولا أعمال الأئمّة عليهم السلام: الإمام السجّاد وبقيّة الأئمّة عليهم السلام، لم تكن لتبقى حادثة عاشوراء على مرّ التاريخ.

نعم، إنّ السنّة الإلهيّة تقضي أنّ مثل هذه الحوادث والوقائع تخلّد في التاريخ، إلّا أنّ كلّ السنن الإلهيّة، تقتضي أن تتحقّق نتيجتها من خلال طرق وآليّات محدّدة. وإنّ آليّة (وطريق) بقاء هذه الحقائق في التاريخ هما أن يضع أصحاب السرّ وأهل الألم والأمناء (عليها) والذين اطلعوا على هذه الدقائق، أن يضعوها بين النّاس.

والبيان الفنّي هو الأصل، مثلما كانت خطبة زينب عليها السلام في مدينة الكوفة[١]، وفي مدينة الشام[٢] هو من ناحية جاذبيّة البيان وجماله آية في البيان الفنّي، بالنحو الذي لا يمكن، أساساً، لأي شخص التغاضي عنه. فعندما يسمع أيّ مخالف أو خصم هذا الخطاب سينزل عليه كالطلقة القائلة وكالسكين القاطع، شاء أم أبى، سيفعل هذا العمل فعله. وإنّ تأثير الفنّ لا علاقة له بمشيئة الشخص الذي هو مخاطب بالفنّ. فهو شاء أم أبى سيترك هذا الأثر. فالسيّدة زينب والإمام السجّاد عليهما السلام في خطبتيهما البليغتين في مسجد الشام[٣] قد فعلا هذا الأمر.

---

(١) الفتوح، ج٥، ص١٢١-١٢٢، الاحتجاج، ج٢، ص٢٩-٣١، بحار الأنوار، ج٢٥، ص١٦٤-١٦٦.

(٢) بلاغات النساء، ص٢٠-٢٣، الاحتجاج، ج٢، ص٣٣-٣٤، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٣٣-١٣٥.

(٣) الفتوح، ج٥، ص١٣٢-١٣٣، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٣٠٥، بحار الأنوار ج٤٥، ص١٦٤-١٦٦.

تثبيت سنّة الزيارة وإحياء ذكرى كربلاء في الأربعين

من أين تأتي أهمّيّة الأربعين؟ ما هي خصوصيّة مرور أربعين يوماً؟ إنّ خصوصيّة الأربعين هي حياة ذكرى شهادة الحسين عليه السلام وهذا الأمر بالغ الأهمّيّة. افرضوا أنّه حصلت هذه الشهادة العظيمة في التاريخ، أي استشهاد الحسين بن عليّ عليهما السلام وبقيّة شهداء كربلاء، لكنّ بني أميّة - مثلما أنّهم في ذلك اليوم قتلوا الحسين بن عليّ عليهما السلام وأصحابه وأزالوهم وأخفوا أجسادهم المطهّرة تحت التراب - استطاعوا أيضاً محو ذكراهم من أذهان جيل النّاس في ذلك اليوم وفي الأيّام اللاحقة، فما هي فائدة هذه الشهادة بالنسبة إلى العالم الإسلاميّ؟! أو إذا ما تركت أثراً في ذلك اليوم، فهل سيكون لهذه الذكرى بالنسبة إلى الأجيال الآتية أثر مبين وفاضح للظلمات والظلم والآلام والمرارات وفاضح لليزيديّين في حقب التاريخ التي ستلي؟ إذا ما استُشهد الإمام الحسين عليه السلام، ولم يفهم أهل ذلك اليوم والنّاس والأجيال الآتية أنّه قد استُشهد، فما هو الأثر والدور الذي يمكن أن تتركه هذه الخاطرة في رشد وبناء وتوجيه وحثّ الشعوب وتحريك المجتمعات والتاريخ؟ تعرفون أنّه لن يكون له أثر.

نعم، يصل الإمام الحسين عليه السلام بشهادته إلى أعلى عليّين، هناك شهداء لا يعرفهم أحد وقد مضوا في الغربة وطواهم الصمت والسكوت، هم سيصلون إلى أجرهم في الآخرة، وستنال أرواحهم الفتح والرحمة في المحضر الإلهيّ، لكن كم ستكون درساً وأسوة؟؟

فإلى أيّ حدٍّ يصبح الشهداء أسوة؟ تصبح سيرة ذلك الشهيد درساً عندما تعرف وتسمع الأجيال المعاصرة والآتية بمظلوميّته وشهادته. يصبح ذلك الشهيد أسوة ودرساً عندما يفور دمه ويصبح سيّالاً في التاريخ. يمكن لمظلوميّة أمّة أن تبلسم جرح جسد مظلوم وترفع السياط عن أمّة وتداوي جراحها، وعندما يتسنّى لهذه المظلوميّة أن تنادي وتصدح، وأن تصل إلى

مسامع النّاس الآخرين، ولهذا السبب فإنّ المستكبرين في عصرنا الحاضر يصدحون ويرفعون أصواتهم تترى حتّى لا يرتفع صوتنا، ومن أجل ذلك هم حاضرون لصرف الأموال الطائلة حتّى لا تفهم شعوب العالم لماذا كانت الحرب المفروضة على الجمهوريّة الإسلاميّة، وما هي الدوافع والأسباب والأيدي المحرّكة لها.

في ذلك اليوم كانت الأجهزة الاستكباريّة على استعداد لبذل كلّ ما لديها حتّى لا يبقى ولا يعرف اسم الحسين ودم الحسين وشهادة عاشوراء كدرس لناس ذلك الزمان وللشعوب التي ستأتي فيما بعد. بالتأكيد هم في بداية الأمر لم يفهموا قيمة هذه المسألة وكم هي عظيمة، لكن مع مرور الوقت عرفوا ذلك. حتّى إنّهم في أواسط العهد العبّاسيّ دمّروا قبر الحسين بن عليّ عليه السلام وأجروا الماء عليه وأرادوا أن لا يبقى له أثر[١].

وهذا هو دور ذكرى الشهداء والشهادة. فالشهادة من دون خاطرة وذكرى ومن دون غليان دماء الشهيد لا تؤثّر أثرها، والأربعون هو ذلك اليوم الذي بدأ فيه رفع علم رسالة شهادة كربلاء عالياً ويوم تخليد ذكرى ورثة الشهداء. وهنا، سواء أتتْ عائلة الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء في الأربعين الأوّل[٢] أم لم تأتِ[٣].

أمّا الأربعون الأوّل فهو اليوم الذي جاء فيه الزوّار العارفون بالإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء للمرّة الأولى[٤]. فقد جاء إلى هناك جابر بن عبد

---

(١) مقاتل الطالبيّين، ص٤٧٨-٤٧٩، مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص٥٣، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٩٤-٣٩٥.

(٢) الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص٤٢٢.

(٣) العدد القويّة، ص٢١٩، بحار الأنوار، ج٩٨، ص٣٣٤-٣٣٥.

(٤) رجال الطوسيّ، ص٣١-٣٢، الاستيعاب، ج١، ص٢١٩-٢٢٠.

الله[١] الأنصاريّ، وعطيّة[٢]، وهما من صحابة النبيّ ﷺ وحواريي أمير المؤمنين عليه السلام. وكما جاء في الأخبار والروايات أنّ جابراً كان كفيفاً وأخذ عطيّة بيده ووضعها على قبر الحسين.

لمس القبر وبكى وتكلّم مع الحسين عليه السلام[٣]. فبمجيئه وكلامه قد أحيا ذكرى الحسين بن عليّ عليهما السلام، وثبّت سنة زيارة قبر الشهداء. إنّ يوم الأربعين هي على هذا القدر من الأهمّيّة[٤].

إنّ توجّه عائلة الإمام الحسين عليه السلام في أي مكان كانوا - من المدينة أم من الشام - إلى كربلاء لأجل إحياء واقعة عاشوراء، كانت حادثة مقاومة وحادثة شهادة[٥].

الأربعون، حركة امتداد عاشوراء

سأذكر لكم جملة واحدة في مسألة الأربعين. لم يكن مجيء أهل بيت الإمام الحسين عليه السلام إلى أرض كربلاء - أصل مجيئهم هو محلّ اتفاق[٦]، لكن غير معلوم أنّ ذلك هل كان في السنة الأولى أم الثانية - بهدف بثّ لواعج القلوب وتجديد العهد مثلما يتردّد أحياناً على بعض الألسنة، فالمسألة أرفع من ذلك بكثير، فلا يصحّ حمل أعمال شخصيّة كالإمام السجّاد أو كزينب

(١) قاموس الرجال، ج٧، ص٢٠٩-٢١١.

(٢) تنبيه الغافلين، ص٩٠، مقتل الحسين، الخوارزميّ، ج٢، ص١٩٠-١٩١، بحار الأنوار، ج٦٥، ص١٣٠-١٣١.

(٣) في لقاء جموع غفيرة من عوائل الشهداء في طهران وضواحيها، ٢٢/ ٨/ ١٣٦٣ش- ١٣/ ١١/ ١٩٨٥ م.

(٤) في لقاء اتحادات الطلبة الإسلاميّة في مختلف مناطق البلاد، ١٢/ ٨/ ١٣٦٤ش- ٣/ ١١/ ١٩٨٦م.

(٥) الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص٤٢٢، مثير الأحزان، ص٨٦، بحار الأنوار، ج٩٨، ص٣٣٥-٣٣٦.

(٦) في خطبة صلاة جمعة طهران، ٢٤/ ٧/ ١٣٦٦ش- ١٦/ ١٠/ ١٩٨٨ م.

الكبرى عليها السلام على هذه المسائل العاديّة الرائجة في الظاهر. إذ ينبغي البحث في أعمال وتوجّهات شخصيّات بهذه العظمة عن أسرار أكبر.

ففي الحقيقة كانت مسألة القدوم إلى مزار سيّد الشهداء امتداداً لحركة عاشوراء. فقد أرادوا من خلال هذا العمل أن يفهموا أتباع الحسين بن عليّ عليهما السلام وأصحاب عائلة النبيّ صلى الله عليه وآله والمسلمين الذين وقعوا تحت تأثير هذه الحادثة أنّها لم تنته، وأنّ المسألة لا تنتهي بالقتل والدفن والأسر، ومن ثمّ تحرير الأسرى، بل هي مستمرّة. تُذكّر الشيعة أنّ هنا محلّ اجتماعكم، وهنا الميعاد الكبير الذي سيعيد التذكير بهدف المجتمع الشيعيّ والهدف الإسلاميّ الكبير لمجتمع المسلمين. وإنّ تشكيل النظام الإسلاميّ والسعي في سبيله ولو اقتضى الشهادة هو بذلك الوضع! وهو الشيء الذي لا ينبغي أن يذهب من ذاكرة المسلمين وأن تبقى ذكراه حيّة دائماً. لقد كان مجيء آل النبيّ صلى الله عليه وآله والإمام السجّاد وزينب الكبرى عليها السلام إلى كربلاء لهذا الغرض[1].

الأربعون، بداية تفجّر ينابيع المحبّة الحسينيّة

لقد تفتّح أوّل البراعم العاشورائيّة في الأربعين. وظهر أوّل الينابيع الفوّارة للمحبّة الحسينيّة التي أجرت على الدوام شاطئ الزيارة خلال كلّ تلك القرون. ولقد جذب المغناطيس ذو الجاذبيّة العالية القلوب الأوائل نحوه في الأربعين. وكان ذهاب جابر بن عبد الله وعطيّة لزيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم الأربعين بداية حركة تفيض بالبركة حيث أصبحت خلال القرون وإلى يومنا هذا متّصلة وغدت شيئاً فشيئاً أكثر عظمة وغاية في الجذب وأكثر هيجاناً وحياة وأصبح اسم الحسين وذكره يوماً بعد يوم أكثر حياة في العالم[2].

---

(١) في خطبة صلاة جمعة طهران، ٢٤/ ٧/ ١٣٦٦ش- ١٦/ ١٠/ ١٩٨٨ م.

(٢) بيان النوروز بمناسبة بداية العام الهجريّ الشمسيّ ١٣٨٥، ١/ ١/ ١٣٨٥ش- ٢١/ ٣/ ٢٠٠٧ م.

الأربعون، بداية الاجتذاب الحسينيّ للقلوب

سواء أكان قدوم عائلة الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء - الذي تحدّثت عنه بعض الروايات[١] - صحيحاً أم لا، يظهر أنّه لا شكّ في أنّ جابر بن عبدالله الأنصاري قد طوى هذا الطريق برفقة أحد التابعين - واسمه عطيّة[٢] أو عطا[٣]، وهو على كلّ حال من التابعين الكبار، كان يسكن في الكوفة[٤] - وقد وصلوا في هذا اليوم[٥] إلى القبر المطهّر لسيّد الشهداء. كانت بداية جاذبيّة المغناطيس الحسينيّ في يوم الأربعين، فقد أيقظت جابر بن عبدالله من المدينة وسحبته إلى كربلاء. وهذه الجاذبة المغناطيسيّة هي نفسها اليوم التي تجذبنا أنا وأنتم بعد مضي قرون متمادية. فالذين استقرّت في قلوبهم معرفة أهل البيت عليهم السلام يحيا عشق كربلاء وشغفهم بها دائماً في قلوبهم. وهذا قد بدأ منذ ذلك اليوم، عشق التربة الحسينيّة ومرقد سيّد الشهداء عليه السلام.

كان جابر من مجاهدي صدر الإسلام الأوّل، من أصحاب بدر[٦]، أي أنّه كان في خدمة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قبل ولادة الإمام الحسين عليه السلام، وجاهد إلى جانبه، وكان قد شهد بعينه طفولة الحسين، ولادته، نموّه، نشوءه. ومن المتيقّن به أنّ جابراً كان قد رأى مرّات عديدة النبيّ صلى الله عليه وآله يحضن الحسين عليه السلام ويقبّل عينيه ووجهه ويطعمه بيده ويسقيه، من المحتمل بقوّة أنّ جابر بن عبدالله قد رأى بعينه كلّ هذا، ومن المحتوم أنّ جابراً قد سمع من النبيّ صلى الله عليه وآله

---

(١) الآثار الباقية عن القرون الخالية، اللهوف، ص١١٤، بحار الأنوار، ج٩٨، ص١٣٠-١٣١.

(٢) بشارة المصطفى، ص١٢٤-١٢٦، بحار الأنوار، ج٦٥، ص١٣٠-١٣١.

(٣) بحار الأنوار، ج٩٨، ص٣٢٩.

(٤) قاموس الرجال، ج٧، ص٢٠٩-٢١١، الاعلام، ج٤، ص٢٣٧.

(٥) العدد القويّة، ص٢١٩، بحار الأنوار، ج٩٨، ص٣٣٤-٣٣٥.

(٦) التاريخ الكبير، ج٢، ص٢٠٧، اختيار معرفة الرجال، ج١، شرح الأخبار ج٣، ص٢٠٥-٢٠٨.

أنّ الحسن والحسين هما سيّدا شباب أهل الجنّة[١]، ثمّ فيما بعد، أي بعد النبيّ ﷺ كانت أمام ناظريه: شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام ومكانته وموقعيّته - سواء في عهد الخلفاء أم في عهد أمير المؤمنين عليه السلام أم في الكوفة أم المدينة - كلّ ذلك كان أمام ناظريه.

لمّا سمع جابر أنّ الحسين عليه السلام قد استشهد، أنّ فلذة كبد رسول الله ﷺ قد قتل عطشانَ. خرج من المدينة، ورافقه عطيّة من الكوفة. يروي عطيّة أنّ جابراً اقترب من شطّ الفرات، اغتسل ووضع عمامة بيضاء نظيفة على رأسه، ثمّ تقدّم بخطوات متثاقلة وبكامل الاحترام نحو قبر الإمام الحسين عليه السلام.

وفي الرواية التي رأيتها يقول: عندما وصل إلى القبر قال ثلاث مرّات بأعلى صوته: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أي أنّه عندما رأى كيف قُتل فلذة كبد النبيّ ﷺ على أيدي مهاجمين أعمتهم الشهوات بتلك المظلوميّة، كبّر. ثمّ قال: أُغشي على جابر - من كثرة البكاء والنحيب على قبر الإمام الحسين عليه السلام - ووقع على الأرض. لا نعرف ماذا جرى حينها، لكن يقول في هذه الرواية إنّه عندما أفاق بدأ بالحديث مع أبي عبدالله عليه السلام: «**السلام عليكم يا آل الله السلام عليكم يا صفوة الله**[٢]»[٣].

---

(١) المعجم الكبير، ج٣، ص٣٩، شرح الاخبار، ج٣، ص٧٦، بحار الأنوار، ج٢٧، ص١١٩.

(٢) بحار الأنوار، ج٩٨، ص٣٢٩.

(٣) من كلمته في صحن الجامع الرضويّ، ١/ ١/ ١٣٨٥ش - ٢١/ ٣/ ٢٠٠٧ م.

تقييم النّاس

كلّما فكّر الإنسان وحلّل سيجد أنّ دروس عاشوراء هي أكثر ممّا وصل إليه فكره. أحد الدروس المهمّة لعاشوراء أنّها قسّمت النّاس إلى صنفين الواحد مقابل الآخر. وإنّ واحدة من بركات عاشوراء أنّه تمّ تقييم النّاس وفرزهم بنحو واقعيّ، وهذا درس كبير. كان هناك أناس كثيرون لم يقطعوا انقيادهم واتباعهم للإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام وبقوا معه طالما أنّ مسألة الدماء والتضحية غير مطروحة في البين، ولم يدركوا جيّداً معنى تحرّك الإمام الحسين عليه السلام من المدينة أو مكّة، لأنّهم كانوا لا يزالون في إطار السلامة والعافية.

كتب كثيرون من وجهاء الكوفة وزعمائها رسائل إلى الإمام الحسين عليه السلام، دعوه فيها إلى القدوم، وكان ذلك بعد خروج الإمام عليه السلام من المدينة[1]. كانوا لا يزالون غير مدركين لحقيقة المسألة. لم يتخيّلوا أنّ ذلك كان يكتنف امتحاناً صعباً ضاغطاً ينزل بثقله عليهم. في مكّة رافقته جماعة كثيرة حين خروجه، بالرغم من أنّ ظواهر الأمور كانت تبدو مرّة، لأنّه حتّى الآن ليس معلوماً كيف ستنتهي القضيّة، لكن بمجرّد أن أفصحت المسائل عن وجهها الحقيقيّ، قلّ أهل الحقّ والحقيقة. فأزاحت المرارات أهل الدنيا، كما عبّر الإمام عليه السلام نفسه في إحدى كلماته: «النّاس عبيد الدنيا والدّين لعقٌ على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم، فإذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الديّانون»[2].

---

(١) روضة الواعظين، ص١٧٢، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٠، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٣٢-٣٣٣.

(٢) تحف العقول، ص٢٤٥، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٨٣، وورد الحديث أيضاً في مصادر أهل

كان هذا رسماً للواقع. عندما تبرز الشدائد يقلّ الديّانون، وطالما أنّ العافية والراحة موجودتان فالمدّعون كثر. في ذلك الوقت كان كثيرون في مكّة والمدينة والكوفة وفي العالم الإسلاميّ كلّه يدّعون أنّهم أتباع الدّين ومسلمون بلا قيد أو شرط. وكثيرون كانوا يحبّون الإمام الحسين عليه السلام ويقبلون به ويقدّمونه كابن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، إلّا أنّ هؤلاء أنفسهم عندما أراد الإمام التحرّك من مكّة لم يكونوا مستعدّين للمجيء معه. لا تتخيّلوا أنّ عبد الله بن جعفر لم يكن يقبل بالإمام الحسين عليه السلام وأنّ الكثير من بني هاشم لم يذهبوا معه، فهؤلاء كانوا يعتبرون الإمام الحسين عليه السلام إماماً وابن نبيّهم صلى الله عليه وآله، وإنساناً عظيماً، لكنّهم لم يكونوا على استعداد للتحرّك معه لأن الأمر صعب! وقبل وصول خبر شهادة مسلم بن عقيل إلى الإمام أثناء الطريق كان مع الإمام الحسين جماعة كبيرة، وعندما وصل الخبر من الكوفة أنّهم قتلوا مسلماً وأنّ الأوضاع صعبة، تركه جماعة في حينها[1]. وفي الكوفة نفسها، لم يبق معه حتّى نفر واحد من الذين اعتقدوا بإمامته واعتبروه ابن النبيّ صلى الله عليه وآله، كانوا عدّة آلافاً[2]. وكان بين هؤلاء شخصيّات كبيرة وأعيان.

بالطبع لو دقّقنا النظر في الرسائل التي أرسلوها للإمام الحسين عليه السلام فإنّنا سنجد جذر المشكلة. فهناك نوعان من الرسائل التي وُجّهت للإمام الحسين عليه السلام. وكلاهما دعوة إلى القدوم.

فبعضهم كتب للإمام: «**إنّه ليس علينا إمام فأقبل**» أي ليس لدينا قائد!

السنّة: "الناس عبيد المال، والدّين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت به معايشهم فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الدّيّانون" نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، ص٨٧.

(١) أنساب الأشراف، ج٣، ص١٦٩، إعلام الورى، ج١، ص٤٤٧، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٧٤.

(٢) الإمامة والسياسة، ج٢، ص٤، الفتوح، ج٥،ص٢٠، مروج الذهب، ج١، ص٥٤، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ٢٤٢، مثير الأحزان، ص١٦، الدرّ النظيم، ص٥٤١-٥٤٢، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٣٥-٣٣٦.

نريد قائداً. كانوا يرومون القائد والإمام ليقودهم وليأخذ بأيديهم وليتقدّم بهم خطوة فخطوة. وهذا الاستنتاج صحيح، لأنّ هذه الرسالة قد وُقّعت من أمثال حبيب بن مظاهر[١]. وقد كتبوا في شأن يزيد وفي شأن الحكومة الأمويّة.

وبعضهم الآخر- الصنف الثاني - كتبوا رسالة للإمام أيضاً، دعوه فيها للقدوم. بيد أنّهم لم يدعوه كقائد وإمام. بالطبع هم يريدون إماماً، وهم قد اعتقدوا بإمامته لأنّهم من الشيعة - فغالبيّة أهل الكوفة كانوا شيعة - أمّا لحن الرسالة فيظهر منه أنّها دعوة لضيف. فقد كتبوا للإمام أنّه قد جرت أنهارنا وأينعت ثمارنا، فكأنّهم كانوا يدعونه ليقدم عليهم كضيف! أي بمعنى: أن أقدم فالنعيم الماديّ والحياة هنا وافران. جيّد، لكنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يكن ليقاتل من أجل التنعّم الماديّ. وإنّما كان تحرّكه من أجل القيام بوظيفة وتكليف. وقد وقّع هذه الرسالة شبث بن ربعي[٢] الذي كان أحد قتلة الإمام الحسين عليه السلام[٣].

كان هناك نظرتان لحركة الإمام الحسين عليه السلام: جماعة نظرت إلى حركته بمنظار دنيويّ، وجماعة أخرى نظرت إليها بالنظرة الأخرويّة. فواحدة كانت تنظر إليها من زاوية الجاه والمال والمقام، وجماعة أخرى كانت تنظر إليها من زاوية الواجب والوظيفة.

فالذين مشوا مع الحسين بن عليّ عليهما السلام ابتغاء الجاه والمال والموقع ما إن رأوا أنّهم أقبلوا على الخطر حتّى كانوا يقولون: «**مع السلامة، نحن ذاهبون! لم يعد لدينا وظيفة**». لقد أتوا من أجل المعاش. وعندما افتقدوه، فماذا

---

(١) الإرشاد ج٢، ص٣٦-٣٧، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٠، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٣٢-٣٣٣.

(٢) تجارب الأمم، ج٢، ص٤٠، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٤١، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٣٤.

(٣) الطبقات الكبرى، الخامسة ١، ص٥١٥-٥١٦، الهداية الكبرى، ص١٣٤-١٣٥، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٩٧.

يفعلون إن بقوا؟! لقد جاؤوا من أجل المنصب والجاه، فعندما افتُقد المقام وكان الموجود هو المحنة، فلماذا يبقون؟ فكانوا يتركونه ويذهبون.

وجماعة أخرى جاءت ابتغاء التكليف. فلم يكونوا ليغيّروا موقفهم سواء استشهد الحسين بن عليّ عليه السلام أم وصل إلى الحكومة. كانوا يقولون: نحن نؤدّي تكليفنا. والتكليف هو في ذلك الظرف والموقع الذي يقوم فيه ابن النبيّ صلى الله عليه وآله لاستعادة الحقّ ولأجل هداية النّاس وإدارة المجتمع الإسلاميّ يقف المؤمنون والمسلمون خلفه وينصرونه. يقولون: نريد القيام بهذه الوظيفة ومن الممكن أن يكون في طريق أداء هذه الوظيفة مصيران، أحدهما النّصر، وقرّة العين وتحقيق المبتغى. والمصير الآخر هو القتل، وهؤلاء كانوا حاضرين لكلتا النتيجتين. كما إنّ الحسين بن عليّ عليه السلام كان هو نفسه قد تحرّك بهذه الروحيّة. وهؤلاء هم الذين بقوا مع الحسين عليه السلام حتّى آخر لحظة. كانوا معه ليلة عاشوراء. وفي يوم عاشوراء كانوا يتسابقون إلى الشهادة[1] ويتمازحون[2]، ولمَ لا؟! فهؤلاء سيصلون إلى لقاء الله ويستشهدون. وهذا محكّ (اختبار) قد استخدمه الحسين بن عليّ عليه السلام[3].

(١) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٣٧، اللهوف، ص٦٦-٦٧، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٩٧.
(٢) تاريخ الطبريّ، ج٤، ص٣٢١، اللهوف، ص٥٧-٥٨، بحار الأنوار، ج٤٥، ص١.
(٣) في جمع من عناصر مركز دعم الجبهة قوّة الجنوب-، ٢٩/ ٥/ ١٣٦٧ش- ٢٠/ ٨/ ١٩٨٩ م.

ملحق

وضع المدينة ومكّة خلال النصف الثاني من القرن الأوّل

ثمّة عاملٌ آخر إلى جانب هذا الرّعب وهو الانحطاط الفكريّ للنّاس، في كلّ أطراف العالم الإسلاميّ وأرجائه، وهو الّذي نشأ من عدم الاهتمام بتعاليم الدّين في مرحلة العشرين سنة التي سبقت واقعة الطف. وفيما بعد هُجر التعليم الدّينيّ وتعليم الإيمان وتفسير الآيات وبيان الحقائق منذ زمن النبيّ ﷺ - في مرحلة العشرين سنة بعد عام ٤٠ للهجرة وإلى ذاك الوقت - فابتُلي النّاس من ناحية الاعتقاد والأصول الإيمانيّة بالخواء والفراغ. عندما يضع المرء حياة النّاس في ذلك العهد تحت المجهر يتّضح هذا الأمر من خلال التواريخ والروايات المختلفة الموجودة...

حتّى عندما كانوا يريدون هجاء الخليفة كانوا يقولون: «**خليفة الله**»! وأينما كان الشعراء المعروفون في ذلك الزمان كجرير والفرزدق وكُثيِّر وغيرهم، ومئات الشعراء المعروفين والكبار، عندما يريدون مدح الخليفة كانوا يطلقون عليه لقب «**خليفة الله**»، لا خليفة رسول الله ﷺ وهذا نموذجٌ واحد. لقد ضعُفت عقائد النّاس بهذا الشكل حتّى فيما يتعلّق بأصول الدّين. أمّا أخلاقهم فقد انحطّت بشدّة.

ثمّة نقطة لفتت نظري أثناء مطالعتي لكتاب الأغاني لأبي الفرج، وهي أنّه في الأعوام ٧٠ و٨٠ و٩٠ و١٠٠ إلى ١٥٠ و١٦٠ تقريباً، فإنّ أشهر المغنّين والمطربين واللاعبين والعابثين في العالم الإسلاميّ كانوا في المدينة أو في

مكّة، وكلّما كان يضيق صدر الخليفة في الشام شوقاً للغناء، ويطالب بمغنٍّ أو مطرب، كانوا يرسلون له من المدينة أو مكّة أحد المطربين أو المغنّين المعروفين. فأسوأ الشعراء والماجنين كانوا في مكّة والمدينة. فمهبط وحي النبيّ ﷺ ومنشأ الإسلام أضحى مركزاً للفحشاء والفساد. ومن الجيّد أن نعرف هذه الأمور بشأن تاريخ المدينة ومكّة. وللأسف في الآثار الّتي لدينا، لا يوجد مثل هذه الأشياء، وهي أمورٌ واقعيّة حدثت. وأنا هنا أعرض لنموذجٍ من رواج الفساد والفحشاء.

كان في مكّة شاعرٌ يُدعى عمر بن أبي ربيعة، وهو من شعراء الإباحيّة والمجون، وقد مات في أوج عطائه وفنّه الشعريّ. ولو أردنا ذكر قصص هذا الشاعر وماذا كان يفعل في مكّة لاحتاج الأمر إلى فصلٍ مشبّعٍ بالتاريخ المؤسف لذلك العصر، في مكّة والطواف ورمي الجمرات. وهذان البيتان مذكوران في كتاب المغني:

بدا لي منها مِعصَمٌ حينما جَمَّرت ... وكفٌّ خضيبٌ زُيّنت ببنان[1]

فوالله ما أدري وإن كنت دارياً ... بسبعِ رميتُ الجمر أم بثماني

وعندما مات عمر بن أبي ربيعة، ينقل الراوي أنّه أقيم في المدينة عزاءٌ عامّ وكان النّاس يبكون في أزقّة المدينة. ويقول: إنّني أينما ذهبت كنت أجد مجموعة من الشباب، نساءً ورجالاً، واقفين ويبكون عمر بن أبي ربيعة في مكّة، فشاهدت جارية تسعى في عملها وتحمل سطلاً لتُحضر الماء، وكانت دموعها تنهمر على خدّيها بكاءً على عمر بن أبي ربيعة غمّاً وأسفاً، وعندما وصلت إلى مجموعة من الشباب سألوها: لماذا تبكين لهذا الحدّ؟ فقالت: لأنّ هذا الرجل قد مات وخسرناه، فقال لها أحدهم: لا تحزني هناك شاعرٌ آخر في المدينة هو خالد المخزوميّ، والّذي كان لمدّةٍ حاكماً على مكّة من قِبَل علماء

(١) مغنى اللبيب، ص٢٠.

الشام، وقد كان من شعراء الإباحيّة والمجون أيضاً، كعمر بن أبي ربيعة، فذكروا لها ذاك البيت وأرادوا أن يذكروا لها بعض الأبيات الشعريّة لهذا الشاعر، فاستمعت هذه الجارية قليلاً- وقد ذُكر في «**الأغاني**» هذا الشعر وخصائصه، فمسحت دموعها وقالت: «الحمد الله الّذي لم يخلِ حرمه». فإذا فُقد شاعرٌ جاء آخر، هذا نموذج من الوضع الأخلاقيّ لأهل المدينة.

والقصص كثيرة عن سهرات مكّة والمدينة. ولم تكن المسألة منحصرة بالأفراد المنحطّين، بل شملت الجميع في المدينة، بدءاً من ذاك المتسوّل المسكين أشعب الطمّاع المعروف الّذي كان شاعراً ومهرّجاً، ومروراً بالأفراد العاديّين وأبناء السوق وأمثال هذه الجارية إلى الشخصيّات المعروفة من قريش وحتّى بني هاشم- لا أذكر أسماء من الشخصيّات المعروفة لوجهاء قريش نساءً ورجالاً- كانوا من هؤلاء الذين غرقوا في هذه الفحشاء.

وفي زمن إمارة هذا الشاعر المخزوميّ، جاءت عائشة بنت طلحة وكانت تطوف، وكان يحبّها، وعندما حان وقت الأذان أرسلت هذه المرأة رسالةً أن لا تؤذّنوا حتّى أنهي طوافي، فأُمر بعدم رفع أذان العصر! فقيل له: أنت تؤخّر الأذان من أجل شخصٍ واحد وامرأة تطوف: أوَتؤخّر صلاة النّاس؟! فقال: واللّهِ لو أنّ طوافها بقي إلى الصبح لقلت لهم أن يؤخّروا الأذان إلى الصبح! هذا كان حال ذلك الزمن[1].

(١) من كلمة في ٢٨/ ٤/ ١٣٦٥- ١٩/ ٦/ ١٩٨٦ م.

المحتويات

المقدمة ٥

حول الكتاب: ٧

تنـوّع دروس عاشوراء وخلودها ٩

المحاور التي تتوزّع إليها الدراسات العاشورائيّة ٩

وقائع عصر الإمام الحسين عليه السلام: دروس ورسائل متنوّعة ١٠

عاشوراء، مشهد مكتمل عن الحياة ١١

كثرة دروس عاشوراء ١١

عاشوراء، الأنموذج والقدوة في مختلف الساحات ١١

دروس متنوّعة من عاشوراء ١٢

بيان وظيفة المسلمين في مختلف الظروف ١٢

خطاب الإمام الحسين عليه السلام إلى التاريخ كلّه ١٢

درس عاشوراء، درس خالد ١٣

كربلاء، النموذج الدائم والمجرّب ١٣

الإمام الحسين عليه السلام النموذج الحيّ والساطع ١٤

عالميّة دروس الإمام الحسين عليه السلام ١٥

الدرس الأساس المستفاد من عاشوراء ١٥

الدافع، الهدف والغاية من نهضة عاشوراء ١٦

التكليف ١٨

معرفة التكليف الأساس، الدرس المهمّ في عاشوراء ١٨

أكابر ووجوه بلا بصيرة ١٩

معرفة الحركة اللّازمة والمتعيّنة على المجتمع في مواجهة العدوّ ١٩
التسليم أمام الله والتكليف ٢٠
بيان «التكليف الأهمّ» على لسان الإمام عليه السلام ٢٠
التكليف (المطلق) بدون قيد أو شرط ٢٢
نتيجة تقصير الخواصّ في العمل بالتكليف ٢٣
ضرورة العمل بـ «تكليف اللحظة» ٢٥
معرفة الإمام عليه السلام للزمان ٢٦
تجنّب تأخير التكليف ٢٦
ترك الحجّ من أجل قيام عاشوراء ٢٧
عاشوراء ومعرفة «حاجة الزمان» ٢٧

التغيير على السلطان الجائر ٢٩
أهمّيّة مواجهة فساد المجتمع ٢٩
القيام والتغيير: تكليف إسلاميّ ٢٩
التصدّي لنظام الظلم، المواجهة الحقيقيّة لأبي عبد الله عليه السلام ٣٠
مواجهة الظلم، الركن الإسلاميّ المهمّ ٣١
عاقبة السكوت واللاّمبالاة في وجه السلطان الجائر ٣٣
معاتبة سيّد الشهداء عليه السلام للنّخَب الساكتة عن مواجهة الظلم ٣٤
هدف الثورة على الظالم ٣٧
حرمة القبول بالذلّة ٣٨
عاشوراء، إقامة العدل والقضاء على الطواغيت ٣٩
استمرار (خطّ) النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ٤١
مواجهة الإمام عليه السلام لمحاولات تحويل الإمامة إلى سلطنة ٤٢

الإصلاح ٤٤
وجوب النهوض لإصلاح المجتمع الإسلاميّ ٤٤
وجوب الثورة عند ظهور فساد جذريّ ٤٥

انحراف المجتمع الإسلاميّ، أرضيّة موجبة للثورة ٤٦
وظيفة المجتمع في مقابل الانحراف عن النظام الإسلاميّ ٤٧
الإصلاح في المجتمع الإسلاميّ، الواجب الكبير ٤٩
بيان الأرضيّة المناسبة للثورة الإصلاحيّة ٥٠
الإصلاح في كلام الإمام الحسين عليه السلام ٥٢
الإصلاح، صعب لكنّه ممكن ٥٢
نتيجة النهوض والثورة الإصلاحيّة ٥٣

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٥٤
روح ثورة عاشوراء ٥٤
الإصلاح في إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٥٤
ثورة أبي عبد الله عليه السلام مصداق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٥٤

وجوب النهوض لحفظ الإسلام ٥٧
إحياء سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله والنظام الإسلاميّ ٥٧
النهوض لرفع الخطر عن الدّين ٥٧
تحمّل الأخطار في سبيل مواجهة أعداء الإسلام ٥٨
وجوب السعي لإبقاء الإسلام حيّاً ٥٨
ضرورة إنقاذ المجتمع من الضلال والجهل ٥٩
التصدّي لفصل الدّين عن السياسة ٦٠

الجهاد والمقاومة ٦٤
المقاومة، درس الحسين بن عليّ عليهما السلام للمسلمين ٦٤
تبلور الفكر الثوريّ والجهاديّ عند الشيعة ببركة عاشوراء ٦٤
الجهاد وعدم الخوف من الغربة والوحدة ٦٥
مواجهة العدوّ الخارجيّ والوهن الداخليّ ٦٥
عاشوراء، جهاد العدوّ والنفس ٦٦
حماية الدّين على جبهتي الداخل والخارج ٦٩

عدم المساومة مع العدوّ ٧٠
رفع مستوى الجهوزيّة والاستعداد ٧١
الإيمان، منبع المقاومة ٧٢
المقاومة الواعية، علاج الحرص على السلطة لدى أصحاب القوّة والنفوذ ٧٢
الإمام الحسين عليه السلام المعلّم الكبير للمقاومة الواعية ٧٣
خاصيّة مقاومة الإمام الحسين عليه السلام ٧٣
تحرّك الإمام للقيام بثورة، مهما كانت النتيجة التي اختتمت بها هذه الثورة ٧٤
سياسة المظلوميّة المقاومة ٧٥

الاستقامة ٧٧
الاستقامة في طريق الحقّ، روح ثورة الإمام الحسين عليه السلام ٧٧
استقامة في غربة لا نظير لها ٧٩
الاستقامة الحسينيّة الاستثنائيّة ٨١
الاستقامة الرفيعة لزينب الكبرى عليها السلام ٨٥
وحدة الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة عالم الظلمة والانحراف ٨٧
أشكال الاستقامة والثبات ٩٠
الاستقامة في المواقع الحسّاسة والباعثة على التردّد ٩٣

الصمود ٩٦
الصمود، رمز الانتصار ٩٦
الصمود في مواجهة لوم الخواصّ ٩٦
حفظ الدّين في ظلّ الاستقامة والصمود ٩٧
صمود في ظروف استثنائيّة ٩٨
إنّ درس مقاومة الإمام الحسين عليه السلام درس لا يُنسى. ٩٨
صمود الإمام عليه السلام في ظروف الوحدة والغربة ٩٩
عدم الخوف من الغربة والوحدة ١٠٠
الصمود في الثورة الإسلاميّة، درس عاشوراء ١٠٢

ثورة عاشوراء، نموذج نهضة الإمام الخميني ﵀ ١٠٢
الأربعون، صمود في مواجهة الاستكبار ١٠٤

الصبر ١٠٥
الصبر والتسليم أمام الله ١٠٥
مفهوم الصبر ومراتبه في مرآة عاشوراء ١٠٦
سيّد الشهداء ﵇، صبر لا نظير له ١٠٧
صبر أبي عبد الله الحسين ﵇ واحتسابُه ١٠٨
صبر الإمام الحسين ﵇ وثماره ١٠٩
الصبر والشكر عند الإمام ﵇ وأهل بيته ١١١
صبر زينب الكبرى ﵂ واستقامتها ١١٢
تحمّل أقسى أنواع الأسر والسبي ١١٣
الصبر والبصيرة ١١٤

التضحية والفداء ١١٥
الإمام الحسين ﵇ ملهم الفداء ١١٥
تضحية أبي عبد الله ﵇ لأجل بقاء الحقّ ١١٥
التضحية لأجل الدّين، رسالة الإمام الحسين ﵇ الخالدة ١١٦
أكبر الدروس التي قدّمها لنا شهر المحرّم ١١٦
التضحية والجهاد، ضروريّان لحفظ الإسلام ١١٧
التضحية، من لوازم اتّباع الإمام الحسين ﵇ ١١٨
المسلم الواقعيّ (الحقيقيّ) ١١٩
ضرورة التضحية للدفاع عن الدّين في أحلك الظروف ١١٩
رسالة الشهيد: ضرورة التضحية في سبيل الأهداف الإلهيّة ١٢٠
المباهلة العمليّة للإمام الحسين ﵇ في كربلاء ١٢٠
التضحية الاستثنائيّة ١٢٢
التضحية في ظروف صعبة جدّاً واستثنائيّة ١٢٣

الإسلام، أعزّ من نفس الحسين عليه السلام ١٢٥
تضحية الأولياء في سبيل الإسلام والأهداف ١٢٨
شهادة قادة الدّين، الأداة المعنويّة للانتصار على الباطل ١٢٩
التضحية الواعية ١٣١
ثمن حفظ الإسلام برأي الإمام الحسين عليه السلام ١٣١
التضحية هي كلمة السرّ للوصول إلى الهدف ١٣٢
التضحية، المفتاح لتحقّق أهداف النظام الإسلاميّ السامية ١٣٢
نتائج التضحية، القريبة والبعيدة الأمد ١٣٣

طلب الشهادة ١٣٥
الإمام الحسين عليه السلام ملهم طلّاب الشهادة ١٣٥
الشهادة في خطبة الإمام عليه السلام مقابل جيش الحرّ ١٣٥
انتظار الإمام للشهادة منذ بداية حركته ١٣٦
الشهادة، أوّل شروط الدفاع عن القيم والأهداف الإلهيّة ١٣٧
بذل النفس والمال والاستعداد للقاء الله، لوازم الثورة الاصلاحيّة ١٣٨
قيمة الشهادة ١٣٨
الإيمان الراسخ، من لوازم الشهادة ١٣٩
طلب الشهادة، أساس الاستقلال وانتصار الشعوب ١٤٠
الشهادة رمز صمود الشعوب ١٤١
دم الشهيد الضامن لعزّة الإسلام ١٤١
شهادة الإمام الحسين عليه السلام، الضمانة لحياة الإسلام الأبديّة ١٤١
نظريّتان خاطئتان حول استشهاد الإمام الحسين عليه السلام ١٤٣
الحكومة أم الشهادة، نتيجتان للثورة ١٤٣
وجوب الثورة وجدواها في صورتي: الحكومة والشهادة ١٤٤
معنى شهر محرّم بحسب المنطق الشيعيّ ١٤٥

المحتويات **٢٥٣**

البصيرة **١٤٦**

بصيرة الإمام الحسين بشأن الأحداث المرّة، الحاضرة والمستقبليّة ١٤٦

أهمّيّة معرفة ساحة المعركة ١٤٧

معرفة ساحة المعركة، الفنّ الكبير والوظيفة الخطيرة ١٤٨

معرفة العدوّ، درس عاشوراء المهمّ ١٤٩

أهمّيّة وضرورة إيجاد البصيرة في المجتمع ١٥٠

انعدام البصيرة، فرصة للعدوّ وخسارة للشعوب ١٥١

البصيرة، من توابع الدفاع عن الدّين ١٥٣

بصيرة زينب الكبرى عليها السلام ١٥٣

بصيرة قمر بني هاشم عليه السلام ١٥٥

الهداية والتنوير ١٥٦

زينب وسكينة عليهما السلام مشعلان للعلم والمعرفة ١٥٦

الاشتغال بالذكر والدعاء **١٥٨**

مناجاة الله، من الأبعاد المهمَّة في عاشوراء ١٥٨

الدعاء، أمر عجيب ١٥٨

الدعاء عند القوّة والضعف، من دروس الإمام الحسين عليه السلام ١٦٠

رسالة الإمام الحسين التاريخيّة في قالب الدعاء ١٦١

الانقطاع إلى الله، مقدّمة الجهاد الحقيقيّ والشهادة ١٦٢

قوة القلب في ظلّ الدعاء والمناجاة **١٦٣**

قوّة القلب في ظلّ الدعاء والمناجاة ١٦٣

إشارات التأثّر في مناجاة الإمام الحسين عليه السلام ١٦٤

نداء قلب الإمام عليه السلام في اللحظات الأخيرة ١٦٦

ليلة عاشوراء، وقت الذكر والدعاء ١٦٧

أصحاب الإمام الحسين عليه السلام أهل الذكر والعبادة ١٦٨

الأمل ١٦٩
الأمل بنصر الله ١٦٩
عاشوراء، مصدر للأمل عند الشيعة على مرّ التاريخ ١٧٠
الأمل اللّامحدود بالله، منطق الإمام الحسين عليه السلام ١٧٠
الإخلاص والوفاء ١٧٢
الإخلاص، من أبرز صفات أبي عبد الله عليه السلام ١٧٢
تجلّي الإخلاص في واقعة كربلاء ١٧٢
ثلاث خصال بارزة ومهمّة في شخصيّة أبي عبد الله عليه السلام ١٧٤
الوفاء ١٧٦
اجتناب النزعة الدنيوية ١٧٨
رفض الحرص على الدنيا في ثورة الإمام الحسين عليه السلام ١٧٨
التلوّث بالدنيا، عائق أمام مواجهة جهاز الظلم والفساد ١٧٩
الغفلة عن طريق الإمام الحسين عليه السلام نتيجة طلب الدنيا ١٧٩
اجتناب الحرص على السلطة ١٨٠
اجتناب التفكير النفعيّ الخاطئ ١٨١
شعلة الإيمان بدل التعلّق بالحكومة، طريقة الإمام الحسين عليه السلام ١٨١
الإمامة، النقطة المقابلة للحكم بالقوّة والخداع ١٨١
الجرأة والشجاعة ١٨٣
شهر محرّم يذكّر بالبطولة والشجاعة ١٨٣
المنطق الحسينيّ يعني عدم الخوف من الموت ١٨٣
عاشوراء درس الصمود والفداء والشجاعة ١٨٤
أهمّيّة الشجاعة في مواجهة نظام الظلم ١٨٤
جوّ الرعب الحاكم وثورة الإمام الحسين عليه السلام ١٨٦
عدم اضطراب الإمام الحسين عليه السلام في ظروف الغربة ١٨٧

المحتويات **٢٥٥**

الحكمة والصلابة **١٨٨**

حكمة زينب عليها السلام وصلابتها في ثورة عاشوراء ١٨٨

الصبر والحكمة في سلوك السيّدة زينب عليها السلام ١٨٩

طلب العزّة وصناعة المجد **١٩١**

الإمام الحسين عليه السلام مظهر العزّة والفخار ١٩١

الأبعاد الثلاثة للعزّة والفخر الحسينيّ ١٩١

تبلور العزّة والمجد الحسينيّين في مواجهة الطاغوت المتسلّط ١٩٢

تبلور العزّة والمجد الحسينيّين في الانتصار المعنويّ للإمام عليه السلام ١٩٥

تبلور العزّة والمجد الحسينيّين في ساحات عاشوراء المثقلة بالمصائب ١٩٦

حاكميّة المشاعر والعواطف في كربلاء **١٩٩**

عاشوراء بين المنطق والملحمة والعاطفة ٢٠٠

عنصر المنطق والعقل في ثورة عاشوراء ٢٠٠

العنصر الثاني في ثورة عاشوراء، الملحميّة والعزّة ٢٠٢

العنصر الثالث: العاطفة ٢٠٤

عدم تضييع الهدف ٢٠٥

التوجيه الأخلاقيّ في كربلاء **٢١١**

التوجيه الأخلاقيّ في كربلاء ٢١١

السعي المستمرّ في التهذيب والسياسة ٢١٢

الإيمان بالمواجهة في سبيل الحقّ ٢١٥

انتصار الدم على السيف **٢١٧**

دماء الحسين بن عليّ عليهما السلام أماتت السلالة الأمويّة ٢١٩

انتصار الدم على الخبث ٢٢٠

ثورة الإمام عليه السلام ودماؤه، ضمنتْ بقاء دين النبيّ صلى الله عليه وآله ٢٢٠

انتصار الجهاد المظلوم ٢٢١

القدرة الماديّة، مغلوبة للقدرات المعنويّة ٢٢٢

الدماء والمظلوميّة، لغة التاريخ الخالدة ٢٢٢
السنّة الإلهيّة، الانتصار مشروط ٢٢٣
سرّ الانتصار على العدوّ ٢٢٤
الانتصار الحقيقيّ والخالد في ظلّ عوامل القدرة المعنويّة ٢٢٥

إحياء ذكرى كربلاء ٢٢٨
الإمام السجّاد عليه السلام وبكاؤه الشجيّ ٢٢٨
تدبير الإمام السجّاد عليه السلام لإحياء كربلاء ٢٢٨
جهاد أهل البيت عليهم السلام: في طريق إحياء كربلاء ٢٢٩
خلود عاشوراء، مقتضيات السنّة الإلهيّة ٢٣٢
تثبيت سنّة الزيارة وإحياء ذكرى كربلاء في الأربعين ٢٣٣
الأربعون، حركة امتداد عاشوراء ٢٣٥
الأربعون، بداية تفجّر ينابيع المحبّة الحسينيّة ٢٣٦
الأربعون، بداية الاجتذاب الحسينيّ للقلوب ٢٣٧

تقييم النّاس ٢٣٩
ملحق ٢٤٣
وضع المدينة ومكّة خلال النصف الثاني من القرن الأوّل ٢٤٣
المحتويات ٢٤٧